

مركز جيل البحث العلمي

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية



ISSN 2311-5181

مجلة علمية دولية محكمة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي

Liban - Tripoli: Branche Abou Samra P.O. Box 8 - jilrc-magazines.com - social@jilrc-magazines.com



العام الرابع - العدد 34 - سبتمبر 2017



المشرفة العامة: د. سرور طالبلي

المؤسس ورئيس التحرير: أ. جمال بلبكاي

jilrc-magazines.com - social@jilrc-magazines.com



ISSN 2311-5181

هيئة التحرير:

- أ.د. عاصم شحادة علي (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا).
د. ديبش فاتح (جامعة 8 ماي 1945، قالمة، الجزائر).
أ.م.د. فليح مضحي أحمد السامرائي (جامعة المدينة العالمية، ماليزيا).
د. سامية ابريغم (جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر).
أ.م.د. السيد محمد سالم سالم العوضي (جامعة المدينة العالمية، ماليزيا).
د. رضوان شافو (جامعة الشهيد حمّـة لخضر، الوادي، الجزائر).

رئيس اللجنة العلمية: أ.د. علي صباغ (جامعة قسنطينة 2، الجزائر)

اللجنة العلمية:

- د. نعموني مراد (جامعة لونيبي علي، البليدة 2، الجزائر).
د. براك خضراء (جامعة تبسة، الجزائر).
أ.م.د. داود عبد القادر إيليغا (جامعة المدينة العالمية، ماليزيا).
د. بوزيد مومني (جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل، الجزائر).
د. بشري سعيدي (جامعة مولاي اسماعيل، المغرب).
د. مراد علة (جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر).
د. طيب العيادي (جامعة محمد الخامس الرباط، المغرب).
د. ساسي سفيان (جامعة الطارف، الجزائر).
د. تاج الدين المناني (جامعة كيرالا، الهند).

أعضاء لجنة التحكيم الاستشارية لهذا العدد:

- أ.م.د. صلاح كاظم هادي العبيدي (جامعة بغداد، العراق).
د. إبراهيم إسماعيل عبده محمد (جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية).
د. أسماء سالم علي عريبي (الجامعة الأسمرية، ليبيا).
د. اليسع حسن أحمد (جامعة طرابلس، ليبيا).
د. تيقان بوبكر، رئاسة جامعة التكوين المتواصل، الجزائر.
د. سامية شينار، جامعة باتنة 1، الجزائر.
د. سعيد علي (جامعة نغاونديري، الكاميرون).
د. عبدالسلام بوهلال (جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب).

التدقيق اللغوي:

- أ.م.د. ميعاد جاسم السراي (الجامعة المستنصرية، العراق).
د. عبلة حسن (جامعة لينكون، نبراسكا، الولايات المتحدة الأمريكية).

التعريف بالمجلة:

مجلة علمية دولية محكمة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي تعنى بالدراسات الإنسانية والاجتماعية، بإشراف هيئة تحرير مشكلة من أساتذة وباحثين وهيئة علمية تتألف من نخبة من الباحثين وهيئة تحكيم تتشكل دوريا في كل عدد.

اهتمامات المجلة وأبعادها:

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية عبارة عن مجلة متعددة التخصصات، تستهدف نشر المقالات ذات القيمة العلمية العالية في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية.

تعرض المجلة جميع مقالاتها للعموم عبر مواقع مركز جيل البحث العلمي، بهدف المساهمة في إثراء موضوعات البحث العلمي.

مجالات النشر بالمجلة:

تنشر المجلة الأبحاث في المجالات التالية:
علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا،
علم الاجتماع، الفلسفة التاريخ، علم المكتبات والتوثيق، علوم الإعلام والاتصال، علم الآثار.

تنشر مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية البحوث العلمية الأصلية للباحثين في هذه التخصصات كافة مكتوبة باللغة العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية.

شروط النشر



تقبل المجلة الأبحاث والمقالات التي تلتزم الموضوعية والمنهجية، وتتوافر فيها الأصالة العلمية والدقة والجدية وتحترم قواعد النشر التالية :

ISSN 2311-5181

- أن يكون البحث المقدم ضمن الموضوعات التي تعنى المجلة بنشرها.
- ألا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر لأي مجلة ، أو مؤتمر في الوقت نفسه ، ويتحمل الباحث كامل المسؤولية في حال اكتشاف بأن مساهمته منشورة أو معروضة للنشر.
- أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:
 - عنوان البحث.
 - اسم الباحث ودرجته العلمية، والجامعة التي ينتمي إليها.
 - البريد الإلكتروني للباحث.
 - ملخص للدراسة في حدود 150 كلمة وبحجم خط 12.
 - الكلمات المفتاحية بعد الملخص.
- أن تكون البحوث المقدمة بإحدى اللغات التالية: العربية، الفرنسية والإنجليزية
- أن لا يزيد عدد صفحات البحث على (20) صفحة بما في ذلك الأشكال والرسومات والمراجع والجداول والملاحق.
- أن يكون البحث خالياً من الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية.
- أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامها على النحو الآتي:
 - اللغة العربية: نوع الخط (Traditional Arabic) وحجم الخط (16) في المتن ، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (12).
 - اللغة الأجنبية: نوع الخط (Times New Roman) وحجم الخط (14) في المتن، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (10).
 - تكتب العناوين الرئيسية والفرعية للفقرات بحجم 16 نقطة مثلها مثل النص الرئيسي لكن مع تضخيم الخط.
- أن تكتب الحواشي بشكل نظامي حسب شروط برنامج Microsoft Word في نهاية كل صفحة.
- أن يرفق صاحب البحث تعريفا مختصرا بنفسه ونشاطه العلمي والثقافي.
- عند إرسال الباحث لمشاركته عبر البريد الإلكتروني، سيستقبل مباشرة رسالة إشعار بذلك .
- تخضع كل الأبحاث المقدمة للمجلة للقراءة والتحكيم من قبل لجنة مختصة ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يجري الباحث التعديلات التي يطلبها المحكمون.
- لا تلتزم المجلة بنشر كل ما يرسل إليها .

ترسل المساهمات بصيغة الكترونية حصراً على عنوان المجلة:

social@jilrc-magazines.com

الفهرس

الصفحة

- 7 • الافتتاحية
- 9 • مناصرة المثقفين الفرنسيين للثورة الجزائرية (1954-1962) أمام الرأي العام البلجيكي: قراءة في وثائق أرشيفية / د. محمد بليل (جامعة ابن خلدون، الجزائر).
- 29 • فصائل الدم وعلاقتها بالتفاؤل والتشاؤم لدى عينة من تلاميذ المرحلة المتوسطة بمعسكر، أ.د. غياث بوفلجة وأ. بحرة كريمة (جامعة وهران 2، الجزائر).
- 43 • فاعلية الصورة في بناء التعلّمات ودورها في تنمية مهارات اللغة العربية للناطقين بغيرها: دراسة في ضوء نظرية الترميز الثنائي. عبد الرزاق الفراوي (جامعة محمد الخامس، المغرب).
- 55 • فاعلية التكفل الأطفوني القائم على استراتيجية التأهيل السمعي في تنمية مهارة اللغة الشفوية عند الطفل الأصم الحامل لجهاز الزرع الفوق، د. سمير فني (جامعة باجي مختار).
- 71 • سوسيولوجيا التنظيمات: من ماكس فيبر إلى ميشيل كروزيير. مروان المدبر/ جامعة القاضي عياض، مراكش، المغرب
- 85 • سوسيولوجيا التغير الاجتماعي: رؤية نظرية تحليلية الباحث محمد بو النعناع (جامعة الرباط، المغرب).
- 95 • سوء التوافق النفسي لدى مدمني الحبوب المهدئة والمنومة (الفرقوبي) وعلاقته بالاغتراب النفسي، خديجة أنجار (جامعة محمد الخامس السويسي، المغرب).
- 111 • تغير حجم السكان المهاجرين في دولة الإمارات العربية المتحدة 1975-2010م، د. علي عبيد مبارك المنصوري/ إدارة جمارك أبو ظبي- الغويقات.
- 127 • الأرغونوميا المدرسية في خدمة التعليم وتطويره، د. منصور مصطفى/ جامعة مستغانم، وأ. بودالي يمين/ جامعة وهران 2، الجزائر.
- 139 • التربية الإبداعية وأثرها في المجتمع، أ. أسماء علي محمد فضل (جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية).

الافتتاحية

الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، أما بعد:

يسر هيئة تحرير «مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية» أن تضع بين أيدي قرائها العدد الرابع والثلاثون، والذي تضمن عشر مقالات متنوعة من ناحية الموضوعات ومن ناحية جنسية الباحثين، فكل مقال منهم مختص في دراسة موضوع مميز يمس الواقع المعيش، كما تنوعت الدراسات لتخلق فسيفساء متجانسة لمختلف فروع العلوم الإجتماعية، مما ينعكس إيجابيا على القيمة العلمية للمجلة.

وما يسعنا في الأخير إلا القول أن أبواب المجلة مفتوحة دائما لكل مشارك وقارئ يريد الاستفادة من هذا الفضاء العلمي، ونكون أسعد بتقديم اقتراحاتكم وملاحظاتكم، لأننا بكم نرتقي ونتطور، كما نأمل أن تتواصل مسيرة مجلة "جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية"، بعون الله وتوفيقه وبما يزودنا به الباحثون من بحوث وموضوعات في أعدادنا القادمة.

وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وإليه ننيب.

رئيس التحرير / أ. جمال بلبكاي

تخلي أسرة تحرير المجلة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية

لا تعبر الآراء الواردة في هذا العدد بالضرورة عن رأي إدارة المركز

جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي © 2017

مناصرة المثقفين الفرنسيين للثورة الجزائرية (1954-1962) أمام الرأي العام البلجيكي قراءة في وثائق أرشيفية

د. محمد بليل، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر

9

ملخص :

تعتبر الثورة الجزائرية من بين الحركات الثورية لبلدان المغرب العربي، التي استطاعت أن تكسر حاجز الصمت الذي فرضته عليها وسائل الإعلام الفرنسية وجهاز استعلاماتها، وذلك بتحريك الوفد الخارجي الجزائري على مستوى الدول الأوروبية عموماً وبالمملكة البلجيكية على وجه الخصوص، حيث اثمرت هذه التحركات ببروز نخبة من المثقفين الفرنسيين والبلجيكيين المناصرة للقضية الجزائرية؛ من خلال أنشطتهم الثقافية والسياسية والحقوقية.

وسوف نحاول في هذه الدراسة التعريف بهؤلاء المثقفين ومدى تأثيرهم على الرأي العام البلجيكي بهدف توضيح عدالة الثورة الجزائرية.

واعتمدنا في تحليل عناصر هذه الدراسة المتواضعة على قراءتنا لوثائق أرشيفية متواجدة بمركز الأرشيف لوزارة الخارجية الفرنسية.

الكلمات المفتاحية: المثقفون - الثورة الجزائرية - الرأي العام البلجيكي - المحامون البلجيكيون - الحقوقيون - الاستعلامات الفرنسية - القناصل الفرنسيين.

مقدمة:

اندلعت الثورة التحريرية الجزائرية من عمق التراب الجزائري، معتمدة على الجزائريين، بقيادة نخبة ثورية آمنت بالكفاح المسلح من أجل استرجاع السيادة الوطنية، وأن رد فعل الاستعمار الفرنسي تجاه القضية الجزائرية، قد تجاهل هذه الثورة، معتبراً الأحداث الحاصلة في الجزائر منذ شهر نوفمبر من سنة 1954، عبارة عن شغب مجموعات خارجة عن القانون، وأن ما حصل هو شأن داخلي؛ باعتبار أن الجزائر بعمالاتها الثلاثة تابعة لفرنسا.

في هذه الظروف الصعبة، وجدت قيادة الثورة نفسها في تحدي مع الرأي العام الدولي، خاصة الأوروبي منه، فكثف الوفد الخارجي للثورة من أنشطته للتعريف بها ودحض الأكاذيب الإعلامية الفرنسية وأجهزة مخابراتها وممثلها الدبلوماسيين في الخارج، الذين حاولوا تكمين الأفواه ومنع حرية التعبير للأصوات الحرة من المثقفين الفرنسيين المتأثرين بالحرية وعدالة القضية الجزائرية. وقامت هيئات الثورة المكلفة بالإعلام والنشاط الدبلوماسي بالتقرب من أحرار فرنسا المناصرين للحرية وحق الشعوب في تقرير مصيرها، خاصة المدافعين عن حقوق الإنسان والمتأثرين بالأفكار اليسارية التحررية من أساتذة

ومحامين وغيرهم من المثقفين ، بهدف تعريف الرأي العام الأوروبي بعدالة القضية الجزائرية ، حيث تطوع للدفاع عن القضية الجزائرية ، مجموعة من المثقفين من مختلف الاتجاهات.

ولهذا الغرض سوف نحاول في هذه الدراسة ، علاج إشكالية دور المثقفين الفرنسيين في التعريف بالثورة الجزائرية بأوروبا ، مركزين على الرأي العام البلجيكي على وجه الخصوص ، الذي كانت حكومته عضوا بارزا في منظمة الحلف الأطلسي ، والتي التزمت الحياد واعتبرت هذه الثورة شأنا داخليا وخضعت لضغوط ممثلي وزارة الخارجية الفرنسية وأجهزة استعلاماتها ، بمنع هؤلاء المثقفين من إلقاء المحاضرات وإقامة النشاطات الهادفة إلى تنوير الرأي العام البلجيكي بالقضية الجزائرية . وسوف نتطرق أيضا ، ضمن هذه الإشكالية إلى موقف الحكومتين الفرنسية والبلجيكية من هذا النشاط ورد فعلهما تجاه هؤلاء النشطاء السياسيين .

ذلك ما ورد في وثائق وزارة الخارجية الفرنسية ودبلوماسيها من خلال تقارير أرشيفية سرية ، كانت ترسل دوريا إلى حكومة باريس ، تطلعها بهذا النشاط وتتابع تحركاتهم .

والهدف من وراء قراءتنا المتواضعة لهذه الوثائق الأرشيفية ، التي عثرنا عليها بمركز أرشيف وزارة الخارجية "الأرشيف الدبلوماسي كيدورسي" سابقا والمتواجد حاليا بالكورناف بباريس Courneuve ، أن نتعرف على الكثير من أصدقاء الثورة الجزائرية الذين وقفوا إلى جانبها وكشفوا الكثير من تجاوزات الاستعمار الفرنسي لدى الرأي العام البلجيكي .1- المثقفون الفرنسيون والثورة الجزائرية

كانت القضية الجزائرية من أهم القضايا المطروحة على الساحة الدولية ، حيث رفع شعارها كل ثوار العالم وساندوا الشعب الجزائري في ثورته ضد الاستعمار الفرنسي ، ومن أبرزهم ، مثقفون فرنسيون دافعوا عن "الجزائر جزائرية" ، ينتمون لتيارات عديدة لبرالية ودينية واشتراكية ، اخترقوا التعقيم الدولي تجاه قضية عادلة . ويأتي على رأس هؤلاء المثقفين ، مجموعات من المحامين الفرنسيين ، أبرزهم فيرجيس Verges والمحامين البلجيكيين بقيادة مورو Mouraux وفئات أخرى كالطلبة وأساتذة الجامعات والثانويات غير معروفين لدى الجمهور ولكنهم : مسجلين لدى المصالح الأمنية ، وأن البعثات الدبلوماسية الفرنسية ، تناولت في تقاريرها السرية هؤلاء المثقفين بالتفصيل وكشفت لنا عن دورهم في التعريف بالقضية الجزائرية ومناصرتها ، حيث قدموا مساعدات معنوية ومادية للثورة الجزائرية ومن أبرز هذه المساعدات تنوير الرأي العام الأوروبي بما يجري في الجزائر وتقديم صورة واضحة عن الأوضاع في الجزائر⁽¹⁾

وقام العديد من هؤلاء المثقفين ، بدور بارز في كشف الممارسات غير الإنسانية والتعذيب الذي بات يتعرض له الجزائريون عن طريق الصحافة خاصة منها اليسارية كالأزمة الحديثة Temps modernes الإكسبرس و L'Express ولوموند الفرنسية Le Monde وفلاسفة جاهروا بأفكارهم واخترقوا الإعلامي الأوروبي الذي أضحى يتناول الأوضاع الداخلية في الجزائر والميتربول⁽²⁾.

¹ - Ministère des Affaires étrangères Direction des Archives ,le Centre des Archives diplomatique, Courneuve, (CAD)paris ;série Algérie levant , Boite N° 40, Rapport de L'Ambassadeur de France à Mr le Ministre des Affaires Extérieures

² - انظر دراسات عديدة تناولت ها الموضوع منها :

عبد المجيد عمراني ، بول سارتر و الثورة الجزائرية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة د. ت صص 50-59 .

ولهذه الغاية، قد تبلور مسار الدفاع عن الثورة الجزائرية تدريجيا لدى هؤلاء المثقفين الفرنسيين، ليقف الى جانب معاناة الجزائريين، ببروز جيل آخر من الشباب المثقف، الذين لم يتجاوز أعمارهم الـ 20 سنة وأغليبتهم يمثلون شريحة الطلبة، إلى جانب ظهور فئة حاملي الحقائق؛ وأمثلة كثيرة من النماذج المثقفة التي ساهمت في كشف ممارسات فرنسا الاستعمارية، حيث ظهرت هذه النخبة المثقفة في فترة الخمسينيات على اختلاف اتجاهاتها حيث تأثرت بما وصلت إليه أوضاع الجزائريين⁽¹⁾، نتيجة لممارسة العنف من قبيل الجيش الفرنسي الذي استخدم وسائل القمع كالتعذيب والمحاكمات غير العادلة؛ مما جعل العديد من هؤلاء المثقفين ينتقد السياسة الاستعمارية الممارسة ضد الجزائريين، وقاموا بمحاولاتهم تنوير الرأي الأوروبي الفرنسي والبلجيكي، منهم رجال كنائس، أمثال شاوولي Chaulet وأدباء وحقوقيون أمثال ماندوز Mandouze وهنري علاق Alleg Henri وصاحب كتاب "المعذبون في الأرض" فرانتس فانون Frantz Fanon وجانسون وزوجته كوليت Jeanson et Colette المناصران للثورة الجزائرية، صاحباً كتاب الجزائر خارجة عن القانون، وبعض المؤرخين الفرنسيين الذين أضافوا اللثام عن تاريخ الجزائر من خلال دراسات أكاديمية، أمثال شارل روبر Charles Robert Agéron أجرون وشارل أندري جوليان Charles André Julian، فأثر هؤلاء المثقفين على الرأي العام الأوروبي بشكل عام والبلجيكي بشكل خاص، وانبثقوا في الدفاع عن القضية الجزائرية التي اخترقت صوت هذا الرأي العام⁽²⁾.

وخلاصة لما قدمناه بشكل موجز عن بروز هذه النخبة المثقفة الفرنسية، التي استطاعت تحدي سياسة المنع والترهيب في حق رافضي الجزائر الفرنسية، رغم أنهم عاشوا بوسط اجتماعي وسياسي معادي لحركة تحرير الشعوب، إلا أنهم تمكنوا من الوصول إلى الاقتناع بالمبادئ الإنسانية ومحاربة الاستبداد، وذلك بفضل عدالة القضية الجزائرية، التي سخرت رجال من الوطنيين الجزائريين، الذين قاموا بالتعريف بهذه القضية وإيجاد مناصرين لها عبر العالم، وبالتالي فالثورة الجزائرية جمعت كلمة المثقفين الأوروبيين حول موقف إدانة الحرب والتعذيب.

ذلك أن هذا التحرك، لم يأت من فراغ، إنما من جهود الوفد الخارجي لجهة التحرير الوطني بفرنسا؛ الممثل في فيدرالية جهة التحرير بفرنسا، التي استطاعت قيادة معركة الجزائر بفرنسا مثل ما ورد في دراسة الأستاذة ليندا عميراوي⁽³⁾ التي وضحت لنا طبيعة هذه المعركة وانتصار الفيدرالية، بتنظيم ضواحي المدن في إطار الولاية السابعة، وإيجاد مناصرين لها من محامين دافعوا على المعتقلين الجزائريين⁽⁴⁾، وفلاسفة وأطباء نفسانيين حاولوا علاج الأمراض النفسية، الناجمة عن الأساليب المروعة في حق الجزائريين⁽⁵⁾. حيث تسربت هذه الأصدا إلى العالم الخارجي عن طريق الصحافة ومرافعات المحامين في المحاكم الفرنسية ومحاضرات المثقفين بالعواصم الأوروبية.

- مقلاتي عبد الله: "المثقفون الفرنسيون و الثورة الجزائرية"، فرنسيس جانسون نموذجا " مجلة المصادر يصدرها المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة اول نوفمبر العدد 21 السداسي الأول 2010 صص 227-259 - سليم محمد: سارتور و الثورة الجزائرية، مقال منشور في موقع إلكتروني الدخول 2016-09-22

¹- عبد المجيد عمراني: النخبة الفرنسية المثقفة و الثورة الجزائرية، مطبعة دار الشهاب باتنة، الجزائر، 1995، ص 76.

²- بوهند خالد: "النخبة الفرنسية المثقفة المناهضة لاستعمار" مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة ابن خلدون، تيارت العدد السادس 2013 صص 53-61.

³- Linda Ammiri، la Bataille de France، la guerre d'Algérie en France ;chihab Edition، Alger 2005 Edition Robert Laffont S.A، Paris 2004 pp 47 -80

⁴- Colette et Francis Geanson ;L'Algérie Hors la Lois، Edition le Seuil ; Paris 1955

⁵- Frantz Fanon ; les Damnés de la Terre Edition Talantikite Bejaia Algérie 2013 Pp 23-79

هذا الحراك السياسي والنشاط الدعوي الذي كان يقوم به أنصار الثورة الجزائرية، لم يكن غائبا عن الأجهزة الاستعلاماتية الفرنسية وسفراء فرنسا في الخارج ، حيث كانوا يتابعون تحركاتهم بواسطة تقارير سرية كانت تعد بشكل دقيق عن حقيقة هذا النشاط ، وهو ما أصبح متاحا اليوم للباحثين الجزائريين للولوج في دور الأرشيف الفرنسية لدراسة المزيد من هؤلاء المناضلين في مجال حقوق الإنسان والكشف عن العديد من الأسماء من المثقفين ، غير هؤلاء الذين عرفهم الرأي العام من خلال شهاداتهم وكتاباتهم ومحاکماتهم أمثال جانسون وسارتر وغيرهم من المحامين ، الذين دافعوا عن المعتقلين الجزائريين ونسقوا في دفاعهم مع مؤسسات الثورة وعلى رأسها الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية⁽¹⁾.

ذلك ما سنحاول استقراءه من خلال هذه التقارير، حيث اخترنا نموذجا منها المتمثل في نشاط هؤلاء المثقفين بالمملكة البلجيكية ومدى تأثيرهم على الرأي العام بهذا البلد ، الذي احتضن مؤتمرات ولقاءات الوطنيين الجزائريين خلال أزمة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية. ووجد الوفد الخارجي تسهيلات من مؤسسات المجتمع المدني والحقوق ، لدعم الثورة وتنفيذ الدعاية الاستعمارية؛ بأن ما يحصل في الجزائر هو شأن داخلي يخص فرنسا بمحاربة للإرهابيين والخارجين عن القانون.

2 - نشاط المثقفين الفرنسيين في بلجيكا 1955 Paris ; Seuil

1 - Frantz Fanon ; les Damnés de la Terre Edition Talantikit Bejaia Algérie 2013PP 23-79

أشارت الوثائق الأرشيفية المتواجدة بمركز أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية، لنشاط المثقفين الأوروبيين، خاصة الفرنسيين منهم ، أهمية دورهم في التأثير على الرأي العام البلجيكي، رغم المشاكل الأمنية التي واجهتهم من خلال ضغوطات الأجهزة الأمنية البلجيكية:

أ - نماذج من نشاط المثقفين الفرنسيين ببلجيكا

عرفت بلجيكا نشاطا معتبرا للمثقفين الفرنسيين المناصرين للثورة الجزائرية، من بينها : ما قام به أستاذ أحد ثناويات العاصمة السيد "جين ريم Mr Jean Rim بتاريخ 15 أبريل 1956 وهو ابن أحد المستشارين البلديين لمدينة الجزائر ، بإلقاء محاضرة بمنطقة "لياج" Liège تحت إشراف الفرع المحلي المعروف "بمنظمة المعلمين الدولية من أجل السلام"، ومن خلال المعلومات التي استقاها السفير الفرنسي عن نشاط هذا المثقف ، أنه تحصل على رخصة من خلال طلبه، بإلقاء مداخلة أمام أعضاء هذه المنظمة حول موضوع: " عناصر المسألة الجزائرية " وقد وجد هذا الاجتماع صدى لدى الجمهور ببلجيكا من مختلف الاتجاهات ، رغم التعتيم الإعلامي لوسائل الإعلام البلجيكية ، حيث تطرق المتدخل في محاضراته الموسومة بـ "أوضاع حقوق الإنسان المأسوية في الجزائر"، الكثير من القضايا التي كانت تشغل بال الرأي العام العالمي. وأن الكثير ممن حضروا هذا اللقاء ، كانوا شغوفين للاستفسار عن القضية الجزائرية ، حيث شغلت هذه المسألة الرأي العام بلياج⁽²⁾.

¹- صدقنا في إطار تربصنا العلمي بدور الأرشيف الفرنسية، العديد من التقارير الأرشيفية، حول متابعة أجهزة الاستعلامات الفرنسية والسفراء والقناصل الفرنسيين بأوروبا الغربية ، تتناول بالتفصيل نشاط المثقفين و ترسل ملخصات عن مداخلاتهم محاضراتهم و تحركاتهم و الدعم الذي قدموه للثورة الجزائرية و إخطار مسؤوليهم بهذه المهام من أجل أخذ التدابير للتضييق على هذا النشاط أبرز تلك العلب موجودة بأرشيف وزارة الخارجية الفرنسية بباريس

- Centre d'Archives du Ministère Etrangère(C.A.M.E) Boite N° 40 op cit

²- centre d' Archives Diplomatique de la France Boite N° 40 Rapport de L'Ambassadeur de France à Mr le Ministre des Affaires Extérieures « Conférence de « Mr Rim » dans la ville de Liège

وعلق السفير الفرنسي على هذا النشاط موضحاً: "إن ما قام به هذا المتدخل من اتهامات في حق فرنسا، أمر خطير في حق بلده، رغم أن هذا الشخص يقولون عنه، أنه ينتمي لأحدى العائلات الفرنسية المقيمة في الجزائر منذ عدة أجيال، وأنه تلقى تعليمه في الجزائر ويدرس فيها، وزعم أنه أكثر قرباً من معاناة السكان الأصليين (المسلمين الجزائريين)، مذكراً بأنه تمّ اغتصاب أراضيهم، وأنهم قدموا تصريحات جسام من أجل رغبات فرنسا الأتانية خلال أزمتها... ولم ينالوا شيئاً رغم الوعود الفرنسية..."⁽¹⁾. وأضاف صاحب التقرير: "أن السيد "ريم" قدم في مداخلته عدة معطيات سياسية عن الحرمان السياسي، كذا في المجال الاقتصادي، حيث عرض احصائيات نقلها من مصادر رسمية، يشير فيها إلى تسجيل أكثر من أربع مائة ألف عائلة مسلمة تعيش في ظروف قاسية بشكل كامل، بينما بضعة آلاف من المعمرين تستهلك سنوياً 25 مليار سنتيم، مقابل إقامتها بالمتربول خلال العطلة الصيفية؛ وأن المسلمين لم يستفيدوا من إجراءات التطوير الاقتصادي التي رفعتها الحكومة خلال حملة الإصلاحات و اقتصرت على المعمرين... أما اجتماعياً لاحظ المتدخل، التمييز الواضح بينهم وبين المعمرين، موضحاً بأن وضع الأهالي في درجة أخيرة مقارنة بالمهاجرين بفرنسا واختتم في الأخير بأن الجزائريين وضعوا في حالة من العبودية واستغلوا أيما استغلال دون اهتمام سلطات المتربول بهم..."⁽²⁾.

إن مواقف هذا المثقف الفرنسي المقيم في الجزائر، أثارت حفيظة السفير الفرنسي ببلجيكا، الذي نقل لنا تصريحات وتدخلات هذا المثقف بشكل مفصل لمسؤوليه بباريس، وهو ما يمثل متابعة دقيقة لأنشطة المثقفين المؤيدين للقضية الجزائرية والمناهضين للسياسة الفرنسية المنتهجة في الجزائر. وذكر مقتطفات هامة من مداخلته، التي تدل على الوعي الكامل لهذا المثقف بحقيقة ما يجري في الجزائر، عكس تصريحات المسؤولين الفرنسيين، التي كانت تهدف، إبعاد الرأي العام الأوروبي بما يجري في الجزائر.

وقد استوقفنا بعض الملاحظات التي وقف عندها هذا المثقف التي جاءت في التقارير المختلفة التي كان يرسلها السفير الفرنسي لوزير الخارجية، في ما يلي⁽³⁾:

"- إيجاد ظروف ووسائل مضادة لسياسة القمع الفرنسية.

- تنبيه العسكريين المتوجهين للجزائر بالشكوك في الإصلاحات الفرنسية.

- مواجهة السكان المسلمين للترسانة القانونية غير العادلة، تعتبر فيها السلطة الاستعمارية، أن المسلم إرهابي وقد أخرج هذا الوصف الجزائري في كرامته ومس عقيده وإيمانه.

- أبرز المتدخل بوضوح في مداخلته المختلفة ببلجيكا، أهمية حركة التحرر الجزائرية المتمثلة مطالبها التالية :

- استقلال الجزائر - انتخاب مجلس تأسيسي - قيام جمهورية جزائرية ..."

وفي نفس هذا السياق، ترى الباحثة الفرنسية ليندا عميري، أن هذا النشاط للمثقفين ببلجيكا، إنما جاء تتويجا لجهود جهة التحرير الوطني التي تمكنت من اختراق الرأي العام البلجيكي وإزاحة نشاط الحركة الوطنية الجزائرية لمصالي الحاج: التي كان

¹ - ibid

² - ibid

³ - مقتطفات من محاضرة الأستاذ ريم ببلجيكا حول القضية الجزائرية، ينظر :

- Archives diplomatique de France consulat général de France en Belgique Rapport De L'Ambassadeur de France Adressé à Mr le Ministre des Affaires Extérieure Boite N° 40، Liège le 19-04-1956

لها نفوذا قويا و تدعيما من قبل بعض المثقفين ، بالتغلغل في الأوساط العمالية والتنسيق مع مجموعة المحامين البلجيكين المدافعين عن قادة الثورة المسجونين والعمال المطاردين في بلجيكا⁽¹⁾.

جاء نشاط المثقفين الفرنسيين في بلجيكا في نظرنا ،تتويجا لجهود فيديرالية جبهة التحرير الوطني الجزائرية ودور ممثلها في الخارج من أجل كشف حقيقة جرائم الاستعمار الفرنسي والتركيز على مطالب الثورة الجزائرية ، المتمثلة في المطالبة بالحرية والاستقلال للجزائريين .

ب - نشاط المثقفين الفرنسيين في مجال حقوق الإنسان

قام بعض الحقوقيين بدور بارز في الدفاع عن القضية الجزائرية ، من خلال ما ورد في أحد التقارير الأرشيفية التي وضحت لنا نشاط المثقفين الفرنسيين والأوروبيين، في الدفاع عن المسجونين والمعتقلين الجزائريين، أمام المحاكم الفرنسية ، حيث تعرض هذا التقرير ؛ بالتفصيل لنشاط المحامي الفرنسي السيد "فيرجس" Vergés في إطار محاضرة له بمدينة بروكسل العاصمة البلجيكية ، موضحا بأن هذا المحامي الشيوعي وجهت له الدعوة من قبل رابطة حقوق الإنسان بإلقاء مداخلة حول موضوع " التعذيب وحقوق الإنسان في الجزائر "وتعرض المسجونين والمحبوسين للتعذيب وهو في نظر وزارة الخارجية من المغضوب عليهم ، بسبب أنشطته المعادية لفرنسا وكشفه لجرائمها والدفاع عن مسجونى الثورة الجزائرية من قادة جبهة التحرير الوطني وذلك يوم 11 ديسمبر 1959 بقصر الفنون الجميلة ببروكسل⁽²⁾.

علم السفير الفرنسي بهذه المحاضرة ، فأرسل رسالة إلى السيد شيرمانس Schurmans رئيس ديوان وزير الخارجية البلجيكي موضحا تحركات فرجيس ، بأنه أبعد من الكامرون وهو يعيش اليوم في ظروف غير قانونية بالكونغو البلجيكي ؛ بالتالي حاول الضغط على السلطات البلجيكية ، لمنع أنشطته ببروكسل⁽³⁾ وذكر التقرير بأن المحاضرة التي سيلقيها فرجيس ، ستتناول جريمة التعذيب في الجزائر والأوضاع المأسوية لحقوق الإنسان بالجزائر بتنظيم اللجنة البلجيكية للسلام Comité de paix En Belgique ، وشارك فيها أيضا المحامي البلجيكي السيد مارك دو كوك "Marc De Kock" وأن هذه المداخلة ، تندرج في إطار نشاط منظمة حقوق الإنسان البلجيكية، وفي سياق هذا التقرير ، نجد شرحا مفصلا لأنشطة منظمات حقوق الإنسان ببلجيكا ومدى تأثير ذلك على المثقفين البلجيكين والرأي العام عموما من صحافة وأحزاب يسارية، وكان التركيز على شخصية هذا المناضل الحقوقي اليساري المتعاطف مع الثورة الجزائرية من قبل جهاز الاستعلامات، الذي تطرق لجولة فرجيس إلى إفريقيا الوسطى يوم 29 ديسمبر وإلى كثير من الدول الإفريقية بطريقة سرية وقدّم لنا التقرير سيرته الذاتية في ما يلي⁽⁴⁾ :

"ولد فرجيس ب أوبان بسيام Oubane (Siam) يوم 05 مارس 1925 وهو مناضل فرنسي، يسكن بشارع شارش ميدي رقم 61 بباريس وهو ابن النائب الشيوعي السابق بجزيرة غينيون Ile de la Réunion السيد ريموند فيرجس Raymond Vergés

¹ - les Robes, Algerie 1954-1962, Linda Amiri : « Le Collectif Belge des avocats du Front de Libération National » in ouvrages Noires au Front entre Engagement et Art judiciaire ; acte s de Colloque International 13- 5-6 — mars 2011 Edition les Amis de Abdelhamid Benzine pp 112-118

² - تقرير أرشيفي حول نشاط ر المحامي فرجيس ببلجيكا :

- Archives diplomatique de France consulat général de France en Belgique Rapport De L'Ambassadeur de France Adressé a Mr : le Ministre des affaires Extérieure Boite N° 40 ، Bruxelles 1959

³ - ibid

⁴ -Archives Diplomatique B ، N° 40... op cit ، Rapport N° 2019 ، le 8 décembre 1959 Conférence à Bruxelles de l'Avocat Communiste Vergés

عضو بارز بالحزب الشيوعي ومتخصص في المشاكل الاستعمارية، وكان الأمين العام لجنة الاتصال للطلبة المناهضين للاستعمار وهو اليوم من المدافعين البارزين عن معتقلي جبهة التحرير الوطني".

و مقارنة بما ورد في هذه التقارير ، تطرقت دراسات أخرى أكاديمية عن هذا النشاط⁽¹⁾، موضحة دور اللجنة من أجل السلام في الجزائر ، حيث قامت مجموعة المحامين البلجكيين بدور بارز في إيضاح صورة دفاعهم وإستراتيجية الدفاع المتمثل في مقاطعة الجلسات إلى غاية دراسة ملفات المعتقلين وريح معركة الدفاع في وجه المتورطين في قضايا جنائية يحكم عليها بالإعدام ، حيث تمكن هؤلاء المحامين بالتنسيق مع فيرجس، بالتخفيف من هذه العقوبة ، أمثال سياج مورو Siege Moureaux و مارك دي كوك Marc De Kok و سيسيل درابس Cécile Draps و أندري مارشري André Mercherie وغيرهم من إيصال كلمة المظلومين الجزائريين في السجون الفرنسية إلى الرأي العام البلجيكي والأوروبي⁽²⁾.

وفي نفس هذا السياق تناولت الباحثة الفرنسية "عامري ليندا"، دور هؤلاء المحامين البلجكيين في الدفاع عن المعتقلين الجزائريين ، وتنديدهم بالتجاوزات كالتعذيب والاختفاء القسري ، بالتنسيق مع فيدرالية جبهة التحرير بفرنسا وفرعها ببلجيكا ، موضحة "إن نجاح أية منظمة ثورية تتمثل في الاحترام الدقيق للعمل السري وكذلك نشر قضيتها لدى الرأي العام الدولي ، فوفد جبهة التحرير الوطني بفرنسا، قام بإرسال محاضرين إلى بلجيكا وتكليفهم بإسماع صوت الجبهة والتقرب من الأطراف المعادية للاستعمار ..." ⁽³⁾

إن تزايد الضغط الاستعماري على المناصرين للثورة الجزائرية من مثقفين وحقوقيين ، أدى بهم الأمر إلى الاتحاد و مساندة زملائهم المضطهدين ، والتنديد بجرائم الاستعمار بالتنسيق مع سارتر من أجل الحفاظ على ثقافة المقاومة التي شكلها أحرار العالم من المثقفين والكتاب ضد التعذيب والاستغلال والاستعمار في الجزائر⁽⁴⁾، وبالتالي فإن فرنسا ، لم تحترم حقوق الانسان والقيم الإنسانية التي كانت تتغنى بها أمام الرأي العام، مما أدى بالمثقفين الفرنسيين والأوروبيين إلى تكوين لجان مناهضة للتعذيب وإنشاء شبكات دعم لجمع الأموال من طرف مغتربين جزائريين عبر وسطاء مثقفين فرنسيين من داخل فرنسا وأوروبا وتهريبها عبر الحدود وتقديمها بعد ذلك للمجاهدين الجزائريين ، حيث عُرفت هذه الشبكات بأصحاب الحقائق بفرنسا بقيادة جانسون وأخرى ببلجيكا تشكلت سنة 1960 لمساندة الثورة الجزائرية وزعمائها⁽⁵⁾.

إن هذا النشاط الدءوب للمثقفين الفرنسيين ببلجيكا ، كان له تأثيرا عميقا على الرأي العام البجيكي ، إضافة لذلك التنسيق القوي بين المثقفين الفرنسيين ونظرائهم البلجكيين ، خاصة في مجالات الكتابة الصحافية والأنشطة الأدبية كالفن والمسرح ، مما ترتب عنه حملة مضادة من قبل السلطات الاستعمارية في مواجهتها لنشاط المثقفين الفرنسيين ببلجيكا بالضغط عليهم ومتابعتهم قضائيا واتهامهم بالخيانة العظمى ، حيث حكمت على العديد منهم بالسجن والإعدام والنفي والطرده .

¹- Linda Amiri : « Le collectif des Avocats belges ... » op cit

² -ibid ، Cf. Sylvie Thénault ، le Collectif des Avocats du FLN à Mémoire simple ، Histoire Complexe en ouvrages ، Algérie 1954-1962، les Robes Noires au Front entre Engagement et Art judiciaire ; actes de Colloque International 5-6 – mars 2011 Edition les Amis de Abdelhamid Benzine pp 97-112

³ - Linda Amiri : « Le Collectif Belge des avocats du Front de Libération National » Op Cit pp 112-118

⁴ - أمين الزاوي : أصدقاء الجزائر الذين نسيناهم " جريدة الشروق الجزائرية، قسم الرأي ، 22 سبتمبر 2014

⁵ - Archives Diplomatique B ، N° 40... op cit

ج- رد الفعل الفرنسي والبلجيكي على هذا النشاط

أشارت التقارير الدبلوماسية للقناصل والسفراء الفرنسيين بالخارج ، خاصة ببلجيكا ، مواقف رسمية فرنسية وبلجيكية وأخرى لبعض المثقفين الفرنسيين المناصرين للجزائر الفرنسية، تجاه نشاط المثقفين والحقوقيين والإعلاميين المناصرين للجزائر الجزائرية في ما يلي :

ج¹- الموقف الرسمي الفرنسي من نشاط المثقفين في بلجيكا

نستشف من التقرير السابق ذكره للسفير الفرنسي الموجه لوزير الخارجية الفرنسي المتعلق بنشاط المثقفين، التقليل من قيمة مداخلة الأستاذ ريم⁽¹⁾ " إن جزءا كبيرا من المتابعين كانوا يتهمسون فيما بينهم ، غير مصدقين مما يقوله هذا المتدخل وأن حديثه عن الاوضاع بالجزائر غير مؤكد..."، وبالتالي فهذا التقرير في نظرنا يوجد فيه عدة تناقضات ومغالطات ، فمن جهة يذكر بأن جمهورا غفيرا ، قد حضر في القاعة ومن جهة أخرى؛ حاول التشكك في مصداقية هذا التدخل لدى مسؤوليه ، موضحا بأن الحاضرين لم يقتنعوا بما ورد في مداخلته ، مستدلا بتقرير الحزب الاشتراكي البلجيكي، الذي ذكر في نشرة خاصة له حول الموضوع ، بأن هذا المتدخل لم يتطرق إلى إيجابيات الوجود الفرنسي بالجزائر !المشاريع الاقتصادية وإنجاز الطرقات والمستشفيات ؛ وكذلك جرائم "الفلاقة" وعملائهم واقتصر على ذكر سلبيات الاستعمار، وحسب نفس التقرير أن هذه المحاضرة ،لم يهتم بها الصحافيون كثيرا، بعدم التعليق عليها، إلا بكتابة بضعة أسطر عنها ، وفي نفس الاتجاه، يلوم التقرير بعض الأشخاص الذين يتحدثون عن المسألة الجزائرية خارج البلاد ، حيث ورد في التقرير: " أن السفير استمع لأحد الحاضرين يقول أن فرنسا من خلال محاضرة هذا المثقف ؛أنها بلد القمع والاستبداد وكان بالإمكان أن يكون هذا المحاضر إلاقما في أحد معسكرات الاعتقال..."⁽²⁾ .

وما يسجل من ملاحظات حول هذه التقارير ، المنتقدة للمثقفين الفرنسيين المناصرين للثورة الجزائرية ، بأنها تمثلت في أساليب السياسة الاستعمارية الخائفة للحريات الديمقراطية وتخوف السلطة الاستعمارية منهم ، وهو ما قامت به فعليا تجاههم من خلال أساليب التضيق المنع والاعتقال ، من خلال العينة التي اخترناها من هذه التقارير المتمثلة في ما يلي :

- التضيق والمتابعة القضائية ضد المثقفين والمحاضرين من قبل بيان وزير الداخلية البلجيكي ، الذي وضع فيه الالتزامات الخاصة بالأجانب، بالتغيب عن كل اجتماع ومؤتمر خاص بالتهجم والنقد لبلد مجاور⁽³⁾ .

- التضيق على منظمات حقوق الإنسان والجمعيات المدافعة عن الجزائر، خاصة اللجنة البلجيكية من أجل السلام في الجزائر المشكلة من إعلاميين ومثقفين وحقوقيين من قبل الأجهزة الاستخباراتية الفرنسية بالتنسيق مع وزارة الخارجية للبلدين فرنسا وبلجيكا ، كاعتقال المناصرين البلجيكين للثورة واغتيال بعض المناضلين الجزائريين أمثال الطالب "أكلي عيسيو" المختص في الطب وقيادي في الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في سنة 1960 ومقتل الأستاذ روجي جيورج لابراش " Roger Georges Laperches بطرد مفخخ من قبل منظمات مناصرة للجزائر الفرنسية⁽⁴⁾ ، وهو ما يعني في نظرنا أنه تواجد نوعين من المثقفين ، المؤيدين للثورة الجزائرية والرافضين لها.

¹ - ibid

² - ibid

³ - ibid

⁴ - Amand Lefebvre: « Regard de L'Opinion Publique Sur la Guerre d'Algérie » In Carhima site Electronique L'entré au site le 17-09-2016

ج²- الموقف الرسمي البلجيكي من القضية الجزائرية

تعتبر بلجيكا إحدى الدول البارزة في منظمة الحلف الأطلسي الذي يوجد مقره بالعاصمة "بروكسل"، وبالتالي فهي حليفة طبيعية لفرنسا في مشاكلها الاستعمارية بإفريقيا وتقاسمت معها النفوذ الاستعماري بالقارة الإفريقية، منذ مؤتمر برلين وكان لها نصيب هام في الكونغو البلجيكي، وبالتالي فهي تعاني نفس المشاكل الاستعمارية؛ حيث التزمت الصمت وعدم التدخل في المشاكل الداخلية للبلدان المجاورة خاصة فرنسا، ولم تأبه باندلاع ثورة الجزائرية، وهي تعتبر الجزائر عمالات فرنسية وفق القوانين الفرنسية المنظمة للدستور الفرنسي الصادر في أكتوبر 1946 والقانون الخاص للجزائر المصادق عليه في سبتمبر 1947 وهي في نظرها تحترم إرادة الحكومة الفرنسية الواضحة، بأن المشكل الجزائري قضية داخلية، ولا يمكن لأي بلد أجنبي التدخل في شؤونها الداخلية؛ إضافة لذلك فهناك مصالح استعمارية مشتركة بين البلدين في مجال المشكل المرتبطة بالاستعمار ومنها المشكلة الكونغولية، حيث تخشى بروكسل إثارة القضية الجزائرية في المحافل الدولية بانتقال العدوى إلى مستعمراتها الإفريقية.

ولهذه الأسباب فبلجيكا، رفضت مقترح تقدمت به 15 بلدا عضوا بالأمم المتحدة يوم 30 أكتوبر 1955، بتسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة، حيث يخلص الأستاذ "أماند لوفابر" Lefebvre Amand في مداخلته، حول نظريته لموقف الرأي العام البلجيكي من حرب الجزائر، معتبرا أن موقف بلجيكا طبيعي بالنسبة لهذه القضايا باعتبارها أمة استعمارية⁽¹⁾.

وفي تقرير لممثل بلجيكا بالأمم المتحدة، من خلال ما ورد في وكالة الأنباء "بلجا" Belga ردود الفعل البلجيكية من خلال الحوار الذي أجرته مع ممثل بلجيكا بالأمم المتحدة⁽²⁾، حيث ذكر بضرورة تسوية بعض النزاعات الدولية منها القضية الجزائرية، التي ذكر فيها لهذه الوكالة، بأن المشكلة الجزائرية تشكل قضية داخلية لفرنسا، حسب المادة الثانية من الفقرة السابعة لميثاق الأمم المتحدة؛ ولكنه استطرد قائلا بأنه توجد وسيلة أخرى لعلاج هذه المشكلة، حسب ما يقوم به الرئيس الفرنسي الجنرال ديغول Dé gaule بوضع اللمسات الأخيرة لقانون مستقبلي للجزائر.

ج³- موقف المثقفين الفرنسيين المناهض للقضية الجزائرية

وضحت عدة تقارير ودراسات مذكرات شخصية، طبيعة نشاط المثقفين المناهض للثورة الجزائرية⁽³⁾، بأنه جريمة في حق وطنهم الفرنسي، من خلال موقف السيد نايجلان Naegelan وزير سابق وحاكم عام سابق للحكومة العامة في الجزائر، حيث أورد لنا التقرير المرسل من قبل السفير الفرنسي إلى وزير الخارجية، الدور البارز الذي لعبه هذا الأخير في توضيح صورة فرنسا الحضارية في الجزائر، من خلال تطرقه في محاضرة له ببلجيكا حول موضوع "المسألة الجزائرية والإسلامية بمدرج جمعية الصداقة الفرنسية، أمام حضور كثيف حسب نص تقرير السفير، السيد "ريموند بوسكي" Raymond Bousquet المرسل لوزير الخارجية السيد "كرستيان بينو" Christian Pineau، موضحا مقتطفات من محتوى المداخلة، التي ذكر فيها⁽⁴⁾: "أن قدر

¹- ibid

²- Archives Diplomatique de France. boîte N°40 interview de MR Wigny a New York « agence Belga » dépêche N° 1505

³- ينظر تقارير السفير الفرنسي لنظيره وزير الخارجية حول نشاط هؤلاء المثقفين المؤيدين لفرنسا الاستعمارية:

Archives Diplomatique de France. boîte N°40.op cit

وينظر أيضا: لونيبي رابح: "الحرب المخابرية، أثناء الثورة المسلحة" مجلة عصور الجديدة، تصدر عن مختبر البحث التاريخي، تاريخ الجزائر، ع 9، ربيع 1433 هـ الموافق ل 2013، خاص بخمسينية الاستقلال صص 188-202

⁴- Archives Diplomatique de France. boîte N°40.op cit

الجزائر ارتبط بفرنسا...وينبغي علينا أن نفرق بين العرب والمسلمين ، حيث يتراوح عدد العرب ما بين 30-40 مليون نسمة ، أما عدد السكان المسلمين فقد بلغ 300 مليون نسمة ، وأن فرنسا ليست في حرب مع المسلمين وإنما في حرب مع الجامعة العربية، التي لا تمثل إلا أقلية...وأن فرنسا أكثر قربا من المسلمين منها عن الشعوب الأسويوية.."

وفي تقديرنا أن السياسة الفرنسية ومثقفها المناهضين للثورة الجزائرية ، متخوفون من حركات التحرر الأفرو أسويوية، التي بدأت تنشط منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وشكلت إطارا وحدويا منسجما، منذ خمسينات القرن العشرين وبروز حركات تحرر وطنية ، حررت بلدانها من الاستعمار الأوروبي وتم عقد مؤتمر الشعوب الأفرو أسويوية بباندونغ بمشاركة وفد من جهة التحرير الوطني ، جعلهم يقلقون من النشاط المعادي للاستعمار وانحياز بعض المثقفين الفرنسيين والأوروبيين إلى جانب القضية الجزائرية وحاولوا التشكيك في العلاقات بين الأفارقة والأسويويين في إطار سياسة فرق تسد ، حيث يلاحظ تناقضا في محتوى هذا التقرير الذي يرى أمل تحقيق الوحدة الفرنسية الإسلامية من جهة ومحاربة السكان المسلمين في الجزائر واتهام زعمائهم وقادتهم الوطنيين والثوريين بالإرهاب ، وهي في نظرنا، تتمثل في حملة دعائية وإعلامية ومخابراتية ضد حركة عدم الانحياز الناشئة.

وقد قام هؤلاء المثقفين المعارضين للثورة الجزائرية بعد فشل تحركهم ، إلى تبني خيار الإرهاب الأعمى، بقتل الأبرياء وتصفياتهم من خلال منظماتهم الإجرامية "كاليد الحمراء" التي اغتالت الكثير من المثقفين الجزائريين أمثال "العربي التبسي" وغيره وأيضا منظمة الجيش السري، المشكلة من غلاة المعمرين المتحالفين مع هؤلاء المثقفين المتعصبين للجزائر الفرنسية والتي هددت الوجود الفرنسي نفسه في الجزائر، حسب ما كان يعتقد الجنرال ديغول نفسه، الذي تعرض لمحاولة انقلاب عسكري ومحاولة أخرى باغتياله بباريس⁽¹⁾.

3- دور أصدقاء الثورة في التأثير على الرأي العام البلجيكي

إن المتتبع لتقارير السفراء الفرنسيين والأجهزة الاستعلاماتية الفرنسية حول نشاط هؤلاء المثقفين الفرنسيين ، يدرك حقيقة تأثيرهم على الرأي العام العالمي بشكل شامل والبلجيكي بشكل خاص، والتخوف الذي استخلصناه من خلال قراءتنا المتواضعة لبعض الوثائق الخاصة بهذا الموضوع ، تدعونا للاستفسار في البداية عن مفاهيم هذا الرأي وآليات صناعته ومدى تأثيره على مجريات الأحداث في الجزائر "Evénements D'Algérie" حسب تعبير الأجهزة الفرنسية الخاصة بالاستعلامات.

أ- التعريف بالرأي العام

تطور مفهوم الرأي العام منذ أقدم الأزمنة ، حيث كان يركز على مساندة القبيلة أو الرعية ليتطور إلى الجماهير الشعبية في وقتنا المعاصر ، باستخدام أساليب عديدة للتأثير على هذا الرأي كالإعلام والحملات الانتخابية والدعاية المضادة والجوسسة والإشاعات ، "لأن المجتمعات المعاصرة ارتبطت بعلاقة وطيدة مع الرأي العام باعتباره، يمثل مجمل الأفكار والمفاهيم حول مواقف و أحداث وظواهر اجتماعية ، وفي الدراسات التاريخية تعالج ظاهرة الرأي العام من خلال تعاليق وتحاليل و سائل الإعلام وتصريحات القادة السياسيين ومواقف الأحزاب والجمعيات ، وبذلك أصبح الرأي العام عاملا مهما في حياة البشر ، حيث تحول إلى قوة ذات تأثير كبير في توجيه قنوات الجماهير والنخب المثقفة"⁽²⁾.

¹ - Linda Amiri la bataille de France ...op cit pp 193-200

² - أحمد منقور، موقف الرأي العام الفرنسي من الثورة الجزائرية 1954-1962، دار التنوير للنشر و التوزيع ط1، 2008 ، صص 25-27

ولذلك نجد العديد من الباحثين يتناولون هذا الرأي العام من وجهات نظر مختلفة، معتمدين على أساليب مختلف صيغ سبر الآراء واستطلاع آراء فئات مختلفة من الجماهير، حول مواقف معينة من خلال قيام مؤسسات خاصة بذلك، كانت منتشرة بأوربا، لكنها لا يمكن لها تقديم نسب دقيقة حول ذلك الاستطلاع مثل ما يذكر المؤرخ الفرنسي "أجرون" في إحدى مداخلاته حول الموضوع⁽¹⁾، بأن الرأي العام الفرنسي تطور تدريجيا من تشبث الأغلبية بالجزائر الفرنسية وصولا إلى اقتناع نسبة من هذا الرأي بضرورة ملحة، تمثلت في أن يحكم الجزائريون أنفسهم بأنفسهم والاقتناع في نهاية المطاف بحق تقرير المصير والحصول على استقلال الجزائر.

ب - تأثير الصحافة على الرأي العام البلجيكي

إن التأثير على الرأي العام الأوروبي، لم يتأت بشكل سهل، إلا من خلال جهود هؤلاء المثقفين والحقوقيين والإعلاميين في إيصال هذه الأفكار للجمهور البلجيكي، ويذكر العديد من الباحثين أن الرأي العام الأوروبي، تأثر أيما تأثير بالصحافة اليسارية والمسيحية المنتقدة للسياسة الفرنسية المنتهجة في الجزائر، وبروز مثقفين ومحامين، أدلوا بتصريحات لصحف هامة كالأكسبريس ونوفال ابسرفاتور ولوموند، وأن الصحافة الأوروبية ببلجيكا وإيطاليا وألمانيا الاتحادية، وهي البلدان المجاورة لفرنسا، خرجت عن صمتها، لتكشف سياسة العنف الفرنسية الممارسة ضد الجزائريين، خاصة ما تعلق بممارسة التعذيب ومسلسل الاغتيالات وجرّ المثقفين إلى المحاكم الفرنسية والبلجيكية⁽²⁾، وقد تطرقت أجهزة الاستعلامات الفرنسية، إلى دور المثقفين الفرنسيين في التأثير على الرأي العام البلجيكي، من خلال العديد من التقارير فيما يلي⁽³⁾:

- أشار أحد هذه التقارير، وهو عبارة عن تقرير مرسل من السفير الفرنسي ببلجيكا إلى وزير الخارجية الفرنسي "بينو" Pieno بتاريخ 22 يناير 1957 إلى جذور الرأي العام البلجيكي والمسألة الجزائرية وتطوره مع سنوات حرب التحرير الجزائرية، فأبدى التقرير ملاحظات عديدة، نذكر بعض ما ورد فيها:

- قال عن الصحافة البلجيكية "بأنها عندما تتطرق للأحداث المرتبطة بالجزائر، لا تعلق عليها كثيرا، حيث تعتبر هذه الأحداث مشكلا معقدا ولا لا تتناول الحلول وتلتزم الصمت، وحسب نفس التقرير فإن الرأي العام، يدرك خطورة التطرق بإسهاب لهذه المسألة، لارتباطها بقضية مستقبل الكونغو البلجيكي، ولكن هذا الرأي العام، لا يتجاهل الانتصارات التي حققتها البلدان الأفرو آسيوية بفضل حركات التحرر في العشر السنوات الأخيرة.

- وفي نفس التقرير تمت الصحافة البلجيكية، بأن يحصل حل سلمي للمسألة الجزائرية وأن الرأي العام البلجيكي، بات يشك يوما بعد يوم في النجاح النهائي لهذه المهمة وإن إفريقيا الشمالية، حسب رأي الصحافة البلجيكية؛ باتت أكثر خطورة تعرضا لتأثير الحركات التحررية، وترى في بعض الإجراءات الفرنسية الخاصة بإعادة ربح ثقة المسلمين هامة في نظرها لإحلال السلام بالمنطقة. ويضيف هذا التقرير متسائلا عن حيرته من موقف صحافة هذا البلد (بلجيكا) التي ظهرت عليها خيبة الأمل

¹ - Charles Robert Agéron : « L'évolution de L'Opinion Publique Française face a la révolution Algérienne » in Revue des Etudes historiques , Université d'Alger N° 09 Année 1995 pp 1-19

- أحمد منقور، مرجع سابق صص 205-236 و أيضا: ²

- Charles Robert Agéron , op cit pp 1-1

³ - Archives Diplomatique de France. boîte N°40. plusieurs Rapports , nous a informés les effets des intellectuels français sur l'Opinion publique belges flamandes et Francophones op cit

من تصريحات رئيس المجلس الوطني الفرنسي ، وكان لصحافة القسم البلجيكي " الفلاماند " أكثر شدة من صحافة القسم الفرنسي البلجيكي حيث لخصها التقرير في أربعة نقاط :

- أن تصريحات السيد " غي موليه " لا تحمل عناصر جديدة.

- فحسب التصريحات المتفائلة للوزير المقيم ، فإن العقاب لم يأت بالنتائج المتوقعة.

- لم تتحقق تسوية مرضية بين الطرفين منذ سنة.

- إن إدانة فرنسا أمام الأمم المتحدة باتت مرجحة ، وذكر التقرير عينات من تعليقات الصحافة الفلاماندية ، من خلال ذكره لنشرية " فوروي " Vooruit الاشتراكية ، التي ذكرت بالهزائم المذهلة لفرنسا بالهند الصينية وبتونس والمغرب ، والانسحاب من بور سعيد دون تحقيق أي نصر ، وحسب نفس الصحيفة لا توجد أية أمة استعمارية ، لحد الآن بمنى عن المحاكمة السلبية ، وأن الصحف الفلاماندية الكاثوليكية ، تعتبر في نظرنا أكثر وضوحا ودقة للمشكلة الجزائرية عن غيرها ، حيث ترى صحيفة " جنتنار " Gentenaar ، أنه من الناحية القانونية ، فالتبريرات الفرنسية صحيحة ، لكنها تشك في أخذ الأمم المتحدة بهذا الرأي وتسجل نفس الصحيفة صعوبة تحقيق ذلك من قبل الوزراء الاشتراكيين ، حيث لا تقابل الأفعال بالأقوال ، لكنه ينبغي الاعتراف بأن جهودهم تتجه نحو حل توافقي للمشكلة الجزائرية .

- ويذكر نفس التقرير المطول ، توضيحات حول موقف الرأي العام البلجيكي من القضية الجزائرية وتفاصيل أكثر وضوحا للصحف الفرانكفونية ببلجيكا ، التي ترى في حل المشكل سريعا من قبل السيد " غي موليه " ، بتجنب فرنسا الانعكاسات السلبية ، إذا ما طرحت القضية الجزائرية بالأمم المتحدة وتحفظ بعض الدول من السياسة الفرنسية المنتهجة في الجزائر ، خاصة من قبل حليفها بمنظمة الحلف الأطلسي " الولايات المتحدة " التي باتت تتقرب من بعض البلدان العربية ؛ بسبب المصالح الاقتصادية المتمثلة في البترول وتحدي الإتحاد السوفياتي للسياسة الفرنسية ووقوف بلدان الأفرو- آسيوية مع القضية الجزائرية.

- أما من بين الدراسات التي سجلت لنا مواقف الصحافة البلجيكية من الثورة الجزائرية وهي تكملة لما ورد في التقارير الأرشيفية ، تمثلت في تطرق أحد المثقفين لها ، السيد " أماند لوفير " السابق ذكره في مداخلة له عن الرأي العام البلجيكي حول حرب الجزائر ⁽¹⁾ مركزا على القسم الفلاماندي ، أكثر من تركيزه على الرأي العام للقسم الفرانكفوني البلجيكي Opinion Néerlandophone المؤيد لفرنسا بسبب حساسيات تاريخية ، موضحا بأنه تعذر عليه الوصول لأرقام وإحصائيات عن سبر الآراء حول هذا الموضوع ، فلجأ إلى رأي الصحافة المعاصرة للأحداث ، التي تعتبر في نظره صحافة رأي عام ، باعتبارها ترصد مواقف الأحزاب والفئات المثقفة المتابعة للشأن الجزائري ؛ وذكر في مداخلته ، إنّ الكتابات الصحفية تعتبر مصدرا هاما في رصد هذا الرأي العام ، حتى ولو أن هذه الوسيلة لا تعكس حقيقة هذا الرأي ولكنها تقدم لنا نظرة شاملة عنه ؛ نستطيع من خلالها ، قراءة إرهاسات الرأي العام البلجيكي ، باعتبار أن الصحافة خلال الفترة المدروسة هي صحافة رأي بقدر ما هي صحافة أخبار ، حيث يذكر دور الصحافة من مختلف الاتجاهات الكاثوليكية والليبرالية و الاشتراكية ، دون أن يخفي الدور الهام للصحافة الكاثوليكية ، التي لا يشق لها غبار في توضيح هذا الرأي العام ⁽²⁾.

¹ - Amand Lefebvre: « Regard de L'Opinion Publique Sur la Guerre d'Algérie » op cit

²- ibid

وفي إطار جهود الوفد الخارجي للثورة ، بالتعريف بها التنسيق مع المثقفين الفرنسيين والأوروبيين في إيضاح عدالة القضية الجزائرية ، وضع لنا الدبلوماسي الجزائري ، سليمان الشيخ في إحدى دراساته ⁽¹⁾ دور الدبلوماسية الجزائرية بقيادة الوفد الخارجي لجهة التحرير وفيما بعد الحكومة المؤقتة لتوضيح الرؤية الصحيحة لمبادئ حركة التحرير الجزائرية ، موضحا بأن أوروبا الغربية باتت تشعر ، بأن المشكل الجزائري أصبح واضحا أمام الرأي العام الدولي ، بحيث ظل ينتظر من الأمم المتحدة حل هذا المشكل ، خاصة وأن جبهة التحرير الوطني ، استغلت بعض الأحداث الدولية : كاختطاف طائرة الزعماء الجزائريين في 22 أكتوبر 1956 والحملة ضد قناة السويس بمصر في نفس السنة وقنبلة ساقية سيدي يوسف يوم 08-02-1958 .

ونظرا لهذه المساندة الدولية للثورة الجزائرية ، تبسرت الأمر أمام الوفد الخارجي للثورة بالمطالبة مرارا بتسجيل القضية الجزائرية في الأمم المتحدة ، بسبب الدور البارز الذي لعبه هذا الوفد بتوظيف المناصرين للثورة الجزائرية من مثقفين وإعلاميين وحقوقيين للدفاع عن عدالة الثورة الجزائرية أمام الرأي العام لبلدانهم ⁽²⁾ ، مثلما حصل مع مرافعات هؤلاء المثقفين في المملكة البلجيكية من خلال المحاضرات والندوات التي كانت تهدف إلى تنوير الرأي العام البلجيكي وتعريفه بحقيقة الثورة الجزائرية ، خاصة مع قيام مجموعة المحامين البلجيكيين بالدفاع عن المعتقلين الجزائريين وحق المهاجرين في العمل والتنديد بتجاوزات السلطات الفرنسية داخل التراب البلجيكي وتنديدهم بتواطؤ السلطات البلجيكية مع أجهزة الاستعلامات الفرنسية في مطاردة الوطنيين الجزائريين واغتيالهم و التضييق على النشاط السياسيين الفرنسيين والبلجيكيين بالتراب البلجيكي ⁽³⁾ .

ومن هذا المنطلق ، فالرأي العام البلجيكي ، شكك في إيجاد حل سريع للمسألة الجزائرية ، بسبب تذبذب الموقف الأمريكي ورأت الصحف البلجيكية بمختلف اتجاهاتها ، بأن فرنسا عليها أن تتقبل الأمر الواقع بعرض القضية الجزائرية بدلا من رفض ذلك لإيجاد حلول مرضية " وأن الأيام المقبلة ، ستكشف الأخبار الآتية من نيويورك..." ، حسب ما تطرق لذلك أحد التقارير ⁽⁴⁾ المرسلة من ممثل فرنسا ببلجيكا إلى وزير الخارجية الفرنسية .

ج- تأثير المثقفين على الرأي العام البلجيكي

ذكر الأستاذ أماند السابق ذكره في مداخلته حول للرأي العام وحرب الجزائر ⁽⁵⁾ ، أن الرأي العام البلجيكي بدأ يهتم تدريجيا بالقضية الجزائرية ، نظرا لبداية اهتمام الصحافة البلجيكية الفرانكفونية بهذا الملف ؛ موضحا أهمية الدراسات التي مست هذا الموضوع ، مركزا على إحداها ، التي تناولت جزئيا هذه المسألة في السنتين الأوليتين لهذا الصراع وظلت الصحافة البلجيكية ملتزمة خطأ وسطيا ، في لم تشر لاستقلال الجزائر أو ضده ، إنما دعت إلى علاج المسألة بشكل سلمي ، وحاول هذا الكاتب تحليل أهم أسباب هذه الانتفاضة ، كعدم المساواة بين سكان المستعمرة في المجال الاجتماعي وعدم ملائمة النمط الإسلامي مع النظام الجمهوري وصعود حركات التحرر وفشل مؤسسات الجمهورية الرابعة وانتشار مبدأ حق الشعوب في حكم نفسها

¹ - Slimane Cheihh : " La révolution Algérienne sur la Seine Internationale Ou naissance d'Une diplomatie De combat " in Revue des Etudes historiques . Université d'Alger N° 09 Année 1995 pp 29-37

² - ANOM FR . Boite 28H/45 La grève de janvier – février 1957 et la question Algérienne a L'ONU d'après un Rapport N° 915 de l'Arrondissement de Tiaret.

³ - Linda Amiri : « Le Collectif Belge des avocats du Front de Libération National » Op Cit pp 112-118

⁴ - Archives Diplomatique de France. boite N°40. plusieurs Rapports . ont analysé les effets des intellectuels français sur l'Opinion publique belges flamandes et Francophones op cit

⁵ - Amand Lefebvre: « Regard de L'Opinion Publique Sur la Guerre d'Algérie » op cit

، ويرى نفس المتدخل⁽¹⁾ ، بأن الرأي العام البلجيكي: أضحى تحت الضغط الإعلامي للمثقفين ورابطات حقوق الإنسان ، حيث باتت منظمات حقوق الإنسان تشعر في النهاية ، بأن فرنسا ستغادر الجزائر بعد حصول مؤشرات التوافق بين الحكومة الفرنسية بقيادة ديغول والمتمردين "الثوار" ، بهدف معالجة المشكل الجزائري ، وتفادي خطر منظمة الجيش السري التي باتت تهدد السلم الأمني في الجزائر .

تطرق أيضا هذا الكاتب" إلى المبادرات التي قام بها البلجيكيون من مثقفين ومحامين ، المنضويين ضمن التيارات اليسارية المتكونة من الإشتراكيين والتروتسكيين والشيوعيين الأحرار ، للتأثير على الرأي العام البلجيكي بالإضافة إلى المسحيين التقدميين والليبراليين ، بالاعتراف بالعمل الوطني الجزائري ومبدأ حكم الشعوب "نفسها بنفسها"⁽²⁾.

هذه المؤشرات التي تناولتها هذه الدراسات المعتمدة على دور المثقفين ، شكلت جزءا هاما من الرأي العام البلجيكي ، وبذلك فهي لم تكن بعيدة عن تتبع الأجهزة الدبلوماسية في بلجيكا ، حيث تطرقت التقارير المرسلة من السفير الفرنسي ببلجيكا إلى وزارة الخارجية الفرنسية في هذا الشأن، المتعلق بالنشاط الصحفي الخاص بالمثقفين المعادي لفرنسا والذي يكشف ممارسات التعذيب في حق الجزائريين ومناصرة الثورة الجزائرية وازدياد عدد المناصرين لحملة الحقائق الفرنسية والبلجيكية المتعاطفة مع الأسرى الجزائريين، مما يدل على دور المثقفين في كشف الممارسات غير الأخلاقية لفرنسا" الديمقراطية!⁽³⁾.

ومن جهته وضع لنا "آماند" في مداخلته سابقة الذكر⁽⁴⁾ ، بأن المنظمات المتعاطفة مع الثورة الجزائرية في الأراضي البلجيكية ، قامت بنشر الكتب الخاصة بموضوع التعذيب وطبع الجرائد السرية لجهة التحرير و المتعاطفين معها وإيواء المناضلين الجزائريين.

إضافة لدور حملة الحقائق البلجيكيين وحركات لجان الدعم الموجهة للمعتقلين الجزائريين ، حيث أنشأ المثقفون البلجيكيون في سنة 1958 اللجنة البلجيكية للسلام في الجزائر (Comité Pour la Paix En Algérie CPPA) ، جمعية كانت تهدف إلى مساندة الكفاح الجزائري لصالح الاستقلال وكانت تقوم بأنشطة لكشف الممارسات غير الإنسانية ، كانتشار ظاهرة التعذيب ، وركزت هذه الجمعية على أربعة محاور حسب نفس الكاتب المتمثلة ف يما يلي⁵:

- الحملة الإعلامية للمشكلة - مساعدة المنظمات الإنسانية - العمل على احترام حقوق الإنسان في الجزائر وشرعية القوانين المنظمة للعمل بالنسبة للمهاجرين واللاجئين الجزائريين ببلجيكا وتفضيل حق تقرير المصير للجزائر ، وقامت هذه الجمعية بدور بارز في تهيئة الرأي العام البلجيكي بالاعتراف بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية .

وفي هذا السياق وضحت لنا التقارير المتعلقة بهذا الموضوع، نشاط المناضل السياسي السابق في حركة الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري السيد فرحات عباس سنة 1956 ، الذي انظم إلى جبهة التحرير الوطني ، حيث كثف من أنشطته بالدول الأوروبية ومنها بلجيكا رغم المضايقات والمنع ، إلا أنه استطاع التأثير على المثقفين البلجيكيين والرأي العام في هذا البلد: الذي أضحى يتابع أحداث الجزائر حسب المصطلح الفرنسي . وبالتالي قام هذا الأخير بدور بارزا في التعريف بالقضية الجزائرية،

¹ - ibid

² - ibid

³ - Archives Diplomatique de France Boite N°40 ، op cit

⁴ - Armand Lefebvre. op cit

⁵ - ibid

حسب ما ورد في أحد التقارير المرسلة إلى وزارة الخارجية⁽¹⁾، وهو ما مثل دفعا قويا في إيجاد مناصرين ومتعاطفين من المثقفين الفرنسيين والبلجكيين من محامين وصحافيين مؤيدين للثورة الجزائرية، حيث اخترقوا سياسة الصمت للحكومة البلجيكية، المؤيدة للسياسة الفرنسية أو عدم التدخل في الشؤون الداخلية لفرنسا، حسب وزارة الخارجية البلجيكية.

4- النتائج المستخلصة.

نستخلص من هذه الوثائق الأرشيفية الهامة، السرية في حينها عن الرأي العام والجمهور الأوربي عدة نتائج كالآتي:

- مدى تتبع أجهزة الاستخبارات الفرنسية وسفرائها بالخارج⁽²⁾، لنشاط هؤلاء المثقفين الفرنسيين والبلجكيين إضافة لدور الإعلاميين والحقوقيين، الذين وقفوا إلى جانب الثورة الجزائرية وقدموا لها تدعيما معنويا ولوجيستيكا، وقدم بعضهم روحه فداء للمبادئ التي آمن بها التحق آخرون بصفوف ثوارها أمثال "العسكري" مايو" و تعرض للتعذيب بعضهم أمثال "هنري علاق".

- قادت الحكومة الفرنسية بواسطة جهاز استعلاماتها، حربا شرسة ضد ممثلي جبهة التحرير الوطني في بلجيكا وأوربا عموما، هذه الأخيرة المرتبطة بالتعاون الأمني والاقتصادي والثقافي مع فرنسا⁽³⁾، صعبت من مهمة النشاط الدبلوماسي للوفود الجزائرية من اختراق نسبة كبيرة من الرأي العام الأوربي، ذلك ما قام به العديد من المثقفين الفرنسيين في بلجيكا، حيث لعبوا دورا بارزا في تنوير الرأي العام البلجيكي بحقيقة الثورة الجزائرية والقمع المسلط على الوطنيين الجزائريين والشعب الجزائري عموما، وقد تضامن المثقفون اليساريون والحقوقيون البلجكيون والفرنسيون مع هؤلاء المثقفين الذين تعرضوا لحملة صحفية رسمية وقضائية بسبب مناصرتهم للمسألة الجزائرية⁽⁴⁾.

- وضحت لنا العديد من الدراسات المختصة في مجال العمل الدبلوماسي لوفد جبهة التحرير الوطني وبعده الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، تأثير هذا العمل على المناصرين للحرية والعدالة والمدافعين عن حقوق الإنسان، بحيث استطاعت الدبلوماسية الجزائرية، التأثير على العديد منهم⁽⁵⁾.

- نستخلص من هذه التقارير، عدة ملاحظات هامة، تمثلت في وجود مناصرين للثورة الجزائرية من خلال هذه الشهادات، التي أصبحت في متناول الباحثين الجزائريين بعد فتح الأرشيف الفرنسي للإطلاع عليه من قبل الأجانب، بعد ما كان حكرا على المختصين الفرنسيين، حيث تتبعنا بشكل دقيق دور الإعلاميين وجرائدهم المناصرة للثورة الجزائرية، وكذلك الحملة المضادة من قبل غلاة المعمرين ومنظماتهم، المتمثلة في اليد الحمراء ومنظمة الجيش السري، التي وصل الحد بها إلى تهديد

¹ - Archives Diplomatique de France Boite N°40، conférence de Mr Ferhat Abbès en Belgique، op cit

و ينظر أيضا عمر بوضربة: "دور مكاتب جبهة التحرير الوطني في العمل الدبلوماسي للثورة الجزائرية 1955-1962" مجلة عصور الجديدة، تصدر عن مختبر البحث التاريخي، تاريخ الجزائر، ع، 9 ربيع 1433 هـ الموافق ل 2013، خاص بخمسينية الاستقلال ص ص 53-61

² - Archive Diplomatique de France Boite N°40. op cit

³ - لونيبي راج: "الحرب المخبرية أثناء الثورة المسلحة" مجلة عصور الجديدة، تصدر عن مختبر البحث التاريخي، تاريخ الجزائر، ع، 9 ربيع 1433 هـ الموافق ل 2013، خاص بخمسينية الاستقلال ص ص 188-202

⁴ - Archives Diplomatiques De France Boite N° 40، op cit

⁵ - Sliman Cheikh، op cit pp 29 -37

حياة المثقفين وتصفيهم جسدياً ، باعتراف هذه التقارير ⁽¹⁾، التي وضحت لنا كذلك، بأن السلطات الفرنسية تابعت قضائياً الكثير منهم وحكمت عليهم بأحكام ثقيلة كالمؤبد والإعدام .

- لم يسلم الحقوقيون المدافعون عن السجناء الجزائريين من هذه المتابعة القضائية ، رغم الحماية القانونية الدولية لهم ، مما يفسر لنا الاضطراب التي تميزت به الدبلوماسية الفرنسية في مقابل هدوء دبلوماسية الثورة الجزائرية ، حيث أثمر ذلك في انخراط العديد من المثقفين والإعلاميين والحقوقيين في مسار التسوية السلمية للقضية الجزائرية وتنبيه الرأي العام البلجيكي والأوروبي والدولي بخطورة الممارسات غير الأخلاقية ولا القانونية للحكومة الفرنسية في هذه المواجهة، غير المتكافئة بين شعب يريد الحرية والعدالة الدولية ، الممثلة في هيئة الأمم المتحدة وأساليب القمع الفرنسية والترسانة العسكرية الفرنسية المتواجدة فوق التراب الجزائري .

- نستخلص أيضاً من هذه الوثائق ، تأثير شبكات الدعم للمثقفين الفرنسيين على الرأي العام البلجيكي ، الذي بات يتابع القضية الجزائرية ، رغم أن الكثير من الدراسات لاحظت تأخر الرأي العام البلجيكي في متابعتها ⁽²⁾، إلا بعد اكتشاف شبكة جانسون وبداية المحاكمات الطويلة، التي أثارت انتباه الرأي العام البلجيكي ، مما نتج عنها تشكيل شبكة أخرى لتدعيم الثورة في بلجيكا سنة 1960.

- اتساع ظاهرة فرار المجندين الفرنسيين من الخدمة العسكرية وقيام احتجاج أوليائهم والمتعاطفين معهم من اليساريين بشن حملة من الرفض للسياسة الاستعمارية ⁽³⁾.

- وضحت لنا أيضاً هذه الوثائق المستنطقه ⁽⁴⁾، تزايد عدد الحقوقيين المدافعين عن قادة الثورة و التعريف بعدالتها أمام الرأي العام البلجيكي و الدولي ، وأبرزت لنا أيضاً ، دراسات أخرى أدوارهم البالغة الأهمية في تعريف الرأي العام البلجيكي بعدالة القضية الجزائرية ⁽⁵⁾.

مما يجعلنا نخلص في الأخير، أهمية هذه الوثائق في إمطة اللثام عن جزء من الحقيقة التاريخية في وجود مناصرين للثورة الجزائرية، أثروا على الرأي العام البلجيكي وأناروه وجعلوه يخرج من بوتقة صمته، ليغير رأيه ويدفع بالحكومة البلجيكية إلى مراجعة موقفها تجاه الثورة الجزائرية.

خاتمة:

نستخلص في الأخير من هذه الوثائق الأرشيفية ، مدى أهميتها في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية والإجابة على إشكالية الموضوع ، المتمثلة في دور المثقفين الفرنسيين وغيرهم في مناصرة الثورة الجزائرية ، وأن هذه الوثائق أماطت اللثام عن جزء من الحقيقة

¹ - Archives Diplomatiques De France Boite N° 40 ، op cit

² Catherine Lanneau : « Quand la France surveillait les Ecrans belges ، film Staney kenbrickpaths of glory =les senteurs de la Gloire »in Revue Electronique du centre des sciences politiques N° 8 Aout 2009-

- مقالاتي عبد الله ، مرجع سابق ، ص 257 .³

⁴ - Archives Diplomatiques De France Boite N° 40 ، op cit

⁵ - Linda Amiri : « Le Collectif Belge des avocats du Front de Libération National »Op cit pp 112-118

Cf ، Silvie Thénault ، op cit ، pp 97-112

التاريخية في وجود مناصرين للثورة الجزائرية، أثروا على الرأي العام البلجيكي وأثاروه وجعلوه يخرج من بوتقة صمته، ليغير رأيه ويدفع بالحكومة البلجيكية إلى مراجعة موقفها تجاه الثورة الجزائرية، ذلك ما لوحظ بشكل واضح من خلال قراءتنا المتواضعة لهذه الوثائق الأرشيفية.

قائمة المصادر والمراجع :

أولا - المصادر

أ - الوثائق الأرشيفية Documents D'Archives

1- Le Centre des Archives diplomatique، Ministère des Affaires étrangères Direction des Archive Courneuve، (C.A.M.E)paris ;série Algérie levant ، Boite N° 40.

- Rapport de L'Ambassadeur de France à Mr le Ministre des Affaires Extérieure

- Rapport de L'Ambassadeur de France à Mr le Ministre des Affaires Extérieures « Conférence de « Mr Rim » dans la ville de Liège

-Rapport De L'Ambassadeur de France Adressé à Mr le Ministre des Affaires Extérieure Boite N° 40 ، Liège le 19-04-1956

-Rapport N° 2019 ، le 8 décembre 1959 Conférence à Bruxelles de l'Avocat Communiste Vergés

40 interview de MR Wigny a New York « agence Belga » dépêche N° 1505

-plusieurs Rapports ، sur les effets des intellectuels français sur l'Opinion publique belges flamandes et Francophones op cit

-conférence de Mr Ferhat Abbes en Belgique

2- Le Centre D' Archives Nationale D'Outre Mer (CAOM ou ANOM، FR) .Boite 28H/45 La grève de janvier – février 1957 et la question Algérienne a L'ONU d'après un Rapport N° 915 de l'Arrondissement de Tiaret.

ب - المصادر المطبوعة

- **Les Sources Imprimées** Colette et Francis Geanson ;L'Algérie Hors la Lois ، Edition le Seuil ; Paris 1955

- Frantz Fanon ; les Damnés de la Terre Edition Talantikit Bejaia Algérie 2013

ثانيا :المراجع Ouvrages

أ- باللغة العربية

- الزاوي أمين: "أصدقاء الجزائر الذين نسيناهم" جريدة الشروق الجزائرية، قسم الرأي ، 22 سبتمبر 2014



- بوضربة عمر: "دور مكاتب جبهة التحرير الوطني في العمل الدبلوماسي للثورة الجزائرية 1955-1962" مجلة عصور الجديدة، تصدر عن مختبر البحث التاريخي، تاريخ الجزائر، ع، 9 ربيع 1433 هـ الموافق ل 2013، خاص بخمسينية الاستقلال ص ص 53-61.

- بوهند خالد: "النخبة الفرنسية المثقفة المناهضة لاستعمار" مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون، تيارت العدد السادس 2013

- عمراني عبد المجيد، النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية، مطبعة دار الشهاب باتنة، الجزائر، 1995

- عمراني عبد المجيد، بول سارتر و الثورة الجزائرية، مكتبة مدبولي، القاهرة د. ت

- لونيبي رايح: "الحرب المخابراتية، أثناء الثورة المسلحة" مجلة عصور الجديدة، تصدر عن مختبر البحث التاريخي، تاريخ الجزائر، ع، 9 ربيع 1433 هـ الموافق ل 2013، خاص بخمسينية الاستقلال صص 188-202

- مقالاتي عبد الله: "المثقفون الفرنسيون و الثورة الجزائرية، فرنسيس جانشون نموذجاً" مجلة المصادر يصدرها المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة اول نوفمبر العدد 21 السداسي الأول 2010 صص 227-259

- منقور أحمد، موقف الرأي العام الفرنسي من الثورة الجزائرية 1954-1962، دار التنوير للنشر والتوزيع ط1، 2008

ب – باللغة الأجنبية

- Agéron (Charles Robert): « L'évolution de L'Opinion Publique Française face a la révolution Algérienne » in Revue des Etudes historiques، Université d'Alger N° 09 Année 1995 pp 1-19

- Ammiri (Linda .) la Bataille de France، la guerre d'Algérie en France ; chihab Edition، Alger 2005 Edition Robert Laffont S.A، Paris 2004

- Amiri (Linda): « Le Collectif Belge des avocats du Front de Libération National » in ouvrages، Algérie 1954-1962، les Robes Noires au Front entre Engagement et Art judiciaire ; acte s de Colloque International 13- 5-6 – mars 2011 Edition les Amis de Abdelhamid Benzine pp 112-118

- Cheihh (Slimane): " La révolution Algérienne sur la Seine Internationale Ou naissance d'Une diplomatie De combat" in Revue des Etudes historiques، Université d'Alger N° 09 Année 1995 pp 29-37

- Thénault(Silvie):« le Collectif des Avocats du FLN à Mémoire simple ، Histoire Complexe » in ouvrages، Algérie 1954-1962، les Robes Noires au Front entre Engagement et Art judiciaire ; actes de Colloque International 5-6 – mars 2011 Edition les Amis de Abdelhamid Benzine pp 97-112

ثالثا : المواقع الإلكترونية

أ – باللغة العربية

- سليم محمد: "سارترو الثورة الجزائرية"، مقال منشور في موقع إلكتروني الدخول 2016-09-22



ب- باللغة الأجنبية

- Lefebvre (Amand): « **Regard de L'Opinion Publique Sur la Guerre d'Algérie** »In Carhima site Electronique
L'entré au site le 17- 09-2016
- Catherine Lanneau : « **Quand la France surveillait les Ecrans belges** ، film "Staney kenbrickpaths of glory
= **les senteurs de la Gloire** »in Revue Electronique du centre des sciences politiques N° 8 Aout 2009-entrée au
site 30-09-2016

فصائل الدم وعلاقتها بالتفاؤل والتشاؤم

لدى عينة من تلاميذ المرحلة المتوسطة بمعسكر

أ/بحرة كريمة/جامعة وهران 2

أ.د. غياث بوفلجة/جامعة وهران 2

ملخص:

تهدف الدراسة الحالية إلى معرفة تأثير العوامل البيولوجية ممثلة في فصائل الدم وعلاقتها بالتفاؤل والتشاؤم، بتطبيق مقياس سيلجمان للتفاؤل والتشاؤم تقنين الأستاذ بشير معمري على عينة مكونة من 647 تلميذا وتلميذة، من مدينة معسكر. وقد حصلت الباحثة على علاقة بين فصائل الدم والتفاؤل والتشاؤم عند التلاميذ.

كما أظهرت النتائج عدم وجود فروق في التفاعل الثنائي بين الجنس في التفاؤل والتشاؤم وفصائل الدم. مع وجود فروق بين فصائل الدم ترجع لذوي الفصيلة O، الأكثر تفاؤلا، والفصيلة B الأكثر تشاؤما. في حين لم توجد فروق في التفاؤل والتشاؤم من حيث الجنس.

الكلمات المفتاحية: التفاؤل، التشاؤم، فصيلة الدم، علم النفس البيولوجي.

مقدمة وإشكالية البحث:

يؤيد التاريخ تقسيم الطبيعة الإنسانية والشخصية، إلى أربع مجموعات رئيسية، فمنذ القرن الخامس قبل الميلاد قام هيبوكراتس (أبقراط) أبو الطب بالربط بين ما اسماء أمزجة الجسم الأربعة وسوائل الجسم (الأخلاط) وقام بوصف تجمعات من الصفات شبيهة بما يوجد اليوم ببحوث الدماغ والكيمياء الحيوية.

في حين كان الإغريق ينظرون إلى كل شيء في الطبيعة على أنه مشتمل على الخصائص الأصلية الموجودة في العناصر الأربعة لكل قوى الحياة، ميز أرسطو في القرن الرابع ميلادي " بين النسب المتضادة" في الخصائص المميزة للنار، التراب، الهواء، الماء والتي تكون مرتبطة بالطبيعة والشخصية الإنسانية كذلك.¹

هذا يعني أن النظريات التي تؤكد وجود تقسيم رباعي، مع وجود صلة بين البناء البيولوجي وسلوكه الاجتماعي قديمة ولكنها تؤكد التوجه المعاصر الذي يولي أهمية لافراز الغدد وفصائل الدم، بوصفها محددات للسلوك.

¹ دايان تيريز، ثلما جريكو (2006). بوصلة الشخصية: أسلوب جديد لفهم الناس. ت: محمود الشريف. مكتبة جرير. المملكة العربية السعودية.

مشكلة البحث:

يدرس علم النفس في معظم فروعه النشاط البشري بالنظر إليه نظرة كلية شاملة، وقد يحلل السلوك في أحيان قليلة إلى بعض المكونات البسيطة كالمعكسات، ولكن الانتباه يركز عادة على الشخصية ككل بوصفها وحدة بيولوجية واجتماعية ونفسية متماسكة ومتكاملة تستجيب لبيئتها الخارجية بوسائل مختلفة، فأى نشاط يقوم به الإنسان سواء كان عقليا أو اجتماعيا أو نفسيا أو حركيا يصحبه في الوقت نفسه تغيرات جسمية فيزيولوجية من مثل التوترات العضلية ونشاط الحواس ومفرزات غددية وتغيرات في التنفس والدورة الدموية والأنسجة والأعضاء الحيوية المختلفة، وقد دلت التجارب والبحوث على أن التفكير غالبا ما يقتزن بحركات باطنية بيولوجية، وأن هذه الحركات الباطنية تؤثر و تحدد السلوك الإنساني والحالة الوجدانية والعاطفية التي تصدر عنه في مواقف مختلفة أعا:1985¹. كانت الشخصية الإنسانية ولا تزال لغزا يحير الكثير من العلماء، ويبقى التساؤل حول اكتساب الطبائع والسمات والسلوك محل جدل فهناك من يرجعها لجانب البيئة من خلال الموروث المكتسب وهناك من يرجعها للوراثة في الأصل. وامتدادا للتراكم المعرفي لتاريخ العلوم النفسية، زاد اهتمام علماء النفس بدراسة الأسس البيولوجية للشخصية.²

لقد أوجد العلماء أن هناك تأثيرا واضحا على كل عنصر من عناصر الشخصية في مجال الانطوائية والانبساطية، التي كانوا يعتقدون أنها الصفات الأقل عرضة للتأثر بالوراثة وأنها صفات موجبة بالتربية والتنشئة أكثر من أي شيء آخر، إلا أن الدراسات أظهرت من خلال الاختبارات النفسية ودراسة التوائم والتبني، أنها كلها تؤيد أن قدرة الإنسان على الانسجام مع الآخرين فيها عنصر وراثي أي أن لها أصلا بالجينات الإنسانية.³

علماء مثل أيزنك كوستا ماكري، جيروم كقام بينوا أهمية الجانب البيولوجي للإنسان في وظيفة نقل السمات أو بالأحرى الصفات الإنسانية. ما أكد ذلك الدراسة التي أجريت في اليابان، بهدف استكشاف العلاقة بين فصائل الدم بوصفها مؤشرات جينية وبين سمات الشخصية، و الذي شكل موضوع اهتمام على مستوى الثقافة العامة في اليابان. وقد اتسعت دائرة هذا التحليل في اليابان فشملت الأطباء النفسيين الاجتماعيين والقائمين على الدعاية والإعلام، في نفس الوقت ناقش ساتو وينتاب التطور التاريخي لأنماط الدم في اليابان مع الدراسات النفسية والاجتماعية التي تستخدم المقاييس النفسية، ونتائج تأثير أنواع فصائل الدم في حياة اليابانيين اليومية.

وعلى الرغم مما سبق فإن أيزنك (Ayzenk;1990)⁴ يرى أن المحاولات العلمية في هذا المجال للربط بين فصيلة الدم وسمات الشخصية لم يصل بعد إلى مستوى النضج العلمي، لعدم وجود تفسير العلاقة السببية بين نوع فصيلة الدم والسلوك والشخصية، ولكن تحاول الدراسة الحالية الإسهام في هذا الاتجاه العلمي من خلال الافتراض الذي قامت عليه بوجود علاقة بين فصائل الدم والتفاؤل والتشاؤم عند عينة من تلاميذ المرحلة المتوسطة، باعتبار التفاؤل والتشاؤم من السمات الصغرى في الشخصية الإنسانية والتي لديها علاقات أكبر بأبعاد الشخصية كالانبساط والانطوائية.

¹ زياد بركات (2007) فصائل الدم وعلاقتها ببعض سمات الشخصية الانفعالية لدى عينة من الطلاب الجامعيين.. جامعة القدس المفتوحة.
² إيمان عباس علي الخفاف (2012). فصائل الدم وعلاقتها بالسلوك الايثاري لدى معلمات رياض الأطفال. مجلة العلوم التربوية والنفسية العدد 93. ص 165. ص 243-165.
³ زياد بركات المرجع السابق. ص 04.

⁴ -Ayzenk;H(1990)"Biological Dimentions of personality.London.Methuen

تساؤلات الدراسة:

انطلقت الباحثة من التساؤلات التالية:

- 1-هل توجد علاقة بين فصيلة الدم والتفاؤل والتشاؤم عند التلميذ.
- 2-هل هناك فروق بين التلاميذ في مستوى التفاؤل والتشاؤم تعزى لفصائل الدم

فرضيات الدراسة:

من خلال التساؤلات السابقة خرجت الباحثة بالفرضيات التالية:

- 1-توجد علاقة بين فصائل الدم و التفاؤل و التشاؤم عند التلاميذ.
 - 2-توجد فروق بين التلاميذ في مستوى التفاؤل والتشاؤم تعزى لفصائل الدم.
 - 3-لا يوجد تأثير للجنس وفصائل الدم والتفاؤل والتشاؤم والتفاعل الثنائي بينهما.
- وقد استخدمت الباحثة مقياس سليجمان للتفاؤل والتشاؤم، المقنن من طرف الأستاذ بشير معمريه والمكون من 48 سؤال، والاستناد على نتائج فحص الدم (Groupage).

الدراسات السابقة:

1-دراسة إيمان عباس علي الخفاف: 2012

فصائل الدم وعلاقتها بالسلوك الإيثاري لدى معلمات رياض الأطفال

هدف الدراسة: هدفت الدراسة إلى معرفة علاقة فصائل الدم بالسلوك الإيثاري لدى معلمات رياض الأطفال وقد تكون مجتمع البحث من معلمات رياض الأطفال الحكومية للفصل الدراسي (2011-2012)، البالغ عددهن 867 معلمة يتوزعن في 71 روضة، بتطبيق مقياس السلوك الإيثاري المصمم من طرف الباحثة.

وقد حصلت الباحثة على النتائج التالية: عدم وجود علاقة بين فصائل الدم والسلوك الإيثاري عند معلمات رياض الأطفال.¹

2-دراسة زياد بركات: 2007

فصائل الدم وعلاقتها ببعض سمات الشخصية الانفعالية لدى عينة من الطلاب الجامعيين

هدفت الدراسة إلى التعرف على مدى تأثير فصائل الدم بالسمات الشخصية (الاكتئاب النفسي، قلق الموت والانبساط والانطواء والاتزان والانفعال والتفاؤل والتشاؤم لدى عينة من الطلاب الجامعيين بلغ عددهم 240 طالبا وطالبة ممن يدرسون في جامعة القدس المفتوحة موزعين بطريقة مقصودة إلى أربع مجموعات متساوية طبقا لفصيلة الدم لديهم (A ;B ;AB ;O)، وقد أظهرت النتائج ما يلي:

¹-إيمان عباس علي الخفاف، نفس المرجع السابق، ص 04

وجود فروق دالة احصائيا بين درجات الطلاب لذوي فصيلة الدم B على سمة الاكتئاب النفسي والانطواء والانفعال والتشاؤم وفي اتجاه الطلاب من ذوي الفصيلة AB على سمة الاتزان، بينما أظهرت عدم وجود فروق جوهرية في درجات الطلاب على سمة القلق بحيث تعزى لفصائل الدم.¹

3- دراسة ابتسام محمد أحمد العلمي (1431)

فصائل الدم وبعض الاضطرابات النفسية لدى عينة من الطلاب والطالبات ذوي صعوبات التعلم والعاديين من طلاب وطالبات المرحلة الابتدائية بمدينة مكة المكرمة.

هدف الدراسة:

هدفت الدراسة إلى إيجاد علاقة بين فصائل الدم وصعوبات التعلم وبعض الاضطرابات النفسية لدى ذوي صعوبات التعلم والعاديين من طلاب وطالبات المرحلة الابتدائية عن طريق:

- 1- التعرف على فصيلة الدم التي بها أعلى نسبة من ذوي صعوبات التعلم.
- 2- التعرف على فصيلة الدم التي بها أعلى نسبة من الاضطرابات النفسية.
- 3- محاولة استخدام النتائج كمؤشر جيني (بيولوجي)، للتعرف على ذوي صعوبات التعلم.
- 4- محاولة استخدام النتائج كمؤشر بيولوجي للتعرف على الاضطرابات النفسية (الاكتئاب، القلق، العدوان).
- 5- التعرف على الفروق بين ذوي صعوبات التعلم من حيث الجنس (ذكور، إناث)

وشملت العينة على 817 طالبا وطالبة، واستخدمت الباحثة مقياس الاكتئاب لدى الأطفال من إعداد وتقنين (النفيعي واسماعيل: 2000). ومقياس القلق العام للأطفال والمراهقين، ومقياس السلوك العدواني لدى الأطفال إعداد وتقنين (آمال: ب. ت).

وقد حصلت الباحثة على النتائج التالية:

- 1- لا يتوزع طلاب وطالبات صعوبات التعلم بين فصائل الدم المختلفة بنسب متساوية ويوجد تأثير للجنس على توزيع طلاب وطالبات صعوبات التعلم بين فصائل الدم المختلفة.
- 2- لا توجد فروق ذات دلالة احصائية بين الطلاب ذوي صعوبات التعلم وغير ذوي صعوبات التعلم وغير ذوي صعوبات التعلم (العاديين) في الاكتئاب عند مستوى دلالة 0.05.
- 3- لا توجد فروق ذات دلالة احصائية بين الطلاب والطالبات ذوي صعوبات التعلم وغير ذوي صعوبات التعلم (العاديين) في القلق وذلك بسبب ارتفاع مستوى القلق لدى العينة ككل.
- 4- لا توجد فروق ذات دلالة احصائية بين الطلاب والطالبات ذوي صعوبات التعلم وغير ذوي صعوبات التعلم (العاديين) في العدوان وذلك بسبب انخفاض مستوى القلق لدى العينة ككل.

¹ زياد بركات، نفس المرجع السابق، ص 02

5- لا يتوزع طلاب وطالبات صعوبات التعلم بين فصائل الدم المختلفة بنسب متساوية في الاكتئاب ويوجد تأثير واضح للجنس على توزيع طلاب وطالبات صعوبات التعلم بين فصائل الدم المختلفة.

6- لا يتوزع طلاب وطالبات صعوبات التعلم بين فصائل الدم المختلفة بنسب متساوية في القلق ويوجد تأثير واضح للجنس على توزيع طلاب وطالبات صعوبات التعلم بين فصائل الدم المختلفة.

7- لا يتوزع طلاب وطالبات صعوبات التعلم بين فصائل الدم المختلفة بنسب متساوية في العدوان ويوجد تأثير واضح للجنس على توزيع طلاب وطالبات صعوبات التعلم بين فصائل الدم المختلفة.¹

4-دراسة عبد الخالق ومايسة النبال 2004

فصائل الدم وأبعاد الشخصية لدى عينات مصرية:

أجريت الدراسة على عينة من طلاب الجامعة المصريين من الذكور والإناث (ن=382)، طبق عليهم مقياسات للعصابية بالإضافة إلى مقياس الاجتماعية والوسواس القهري وذلك بهدف الكشف بين فصائل الدم وأبعاد الشخصية.

وقد أسفرت نتائج الدراسة على أن المفحوصين من ذوي فصيلة الدم 0، حصلوا على متوسط، درجات مرتفع على بعد العصابية مقارنة بالمفحوصين من ذوي فصيلة الدم A، وقد حصل الطلاب من ذوي فصيلة الدم A، على متوسط درجات أعلى من نظرائهم من ذوي الفصيلة AB، وخلصت الدراسة إلى أن عينة الدراسة من ذوي فصيلة الدم A، أكثر انبساطا واتزاناً.²

مفاهيم الدراسة:

فصائل الدم والشخصية:

اهتم الناس بدراسة الشخصية لآلاف السنين، ظهر الاهتمام مع الصينيين وكذا الاغريق القدماء، كما طور أرسطو وهيبوقراط كما ذكر أنفا أنظمة مختلفة لشرح وتفسير الشخصية الإنسانية وتعيين السمات الأساسية لها.³

عندما حدد عالم الأحياء الأمريكي من الأصل النمساوي كارل لاندشتاينر في عام 1909 أنواع فصائل الدم البشرية ، لم يكن بالتأكيد يتخيل أن اليابانيين سيقومون بعدها بقرن من الزمان بأخذ قرارات تتعلق بالزواج أو الانفصال ، أو بتوظيف أشخاص أو فصلهم من العمل ، أو حتى بالصدقات ، وفقا لتصنيف فصيلة دمهم A ، B ، AB ، و O، حيث انتشرت في اليابان ظاهرة الربط بين الملامح الشخصية للفرد وفصيلة دمه. فلقد أثبت علماء اليابان نظريا أن لكل فصيلة دموية من فصائل الدم الأربعة (O، AB، B، A) صفاتها المميزة، ووضعوا قاعدة (إيمان عباس، ص 165) كخاصية تحكم هذه العملية أطلق عليها "كي-تو-إي-جاتا" والتي أصبحت تطبق في أمريكا باسم (B.T.P.A) أي تحليل الدم للتعرف على الشخصية.⁴

¹. ابتسام محمد أحمد العلي (1431). فصائل الدم وبعض الاضطرابات لدى عينة من الطلاب والطالبات ذوي صعوبات التعلم والعاديين في المرحلة الابتدائية بمدينة مكة المكرمة. مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه. جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية. ص 11.

² - أحمد عبد الخالق، مايسة النبال (2004): فصائل الدم وأبعاد الشخصية لدى عينات مصرية. Arabic studis in psychlogy. (vol3.v1). 5-15 ص 04.

³ Nansy Shwida Nichlson (2003). Personality Characteristics of Interpreter Trainees :The myers –briggs Type Indicator(MBTI). 109-122

⁴ زياد بركات، نفس المرجع السابق: ص 04.

لم يعد مفهوم الدم يقتصر على كونه السائل الحيوي المسؤول عن نقل الدم وتبادل العمليات الحيوية بل يتعدى ذلك، حيث يرى دادامو (2004) أن الدم عبارة عن حاضن الرموز الجينية فقطرة دم صغيرة حتى لا تكاد أن تراها تحتضن الرموز الجينية الكاملة لكائن بشري.

إن تصميم الحمض النووي DNA لا يتغير هو نفسه فينا إلى ما لا نهاية من خلال دمنا، وأن الدم يستوعب ذاكرة جينية واسعة النطاق، هي عبارة عن أجزاء من برمجة خاصة انتقلت إلينا من أسلافنا على شكل رموز جينية مازلنا نحاول حل ألغازها. أحد تلك الرموز يكمن في فئة دمنا ولعله أهم الرموز التي يمكننا حلها في محاولة لكشف أسرار الدم والدور الحيوي الذي يلعبه في حياتنا.¹

وطبقا للدراسات التي أجريت، هذه بعض النتائج التي تم التوصل إليها:

1- فصيلة الدم O: نسبة فصيلة الدم من هذا النوع لدى الأفراد تساوي 47%، إن الشخصية التي تنتمي إلى هذه الفصيلة سواء كانت ذكرا أو أنثى، هي شخصية منفتحة ومنبسطة ونشيطة وعنيدة وقوية، سريعة الغضب وكريمة ومنافسة وعاطفية وواثقة من نفسها، محبة للقيادة والزعامة، كما تتصف بالغيرة، فصاحبها عادة ما يتجنب الرذيلة ونادرا ما يشعر بالحقد، وهي شخصية واقعية ومنظمة وقادرة على التركيز بسهولة. أما عيوب هذه الشخصية فهي سريعة الغضب والاستثارة وعنيدة وهي أحيانا متعجرفة تحتقر الآخرين. (Mckusik; 2005).

2- فصيلة الدم A: نسبة هذا النوع من فصائل الدم لدى البشر تساوي 40%، إن الشخصية التي تنتمي إلى هذه الفصيلة من الدم تحب التنسيق وتميل للسلام، وتتعامل بشكل لائق مع الآخرين، كما تتمتع بالذكاء والصبر والحماسة والاحساس والود. وأصحاب هذه الفصيلة يتميزون بطغيان العقل والتفكير على العاطفة، وهم أيضا أناس مستقرون عاطفيا وأسريا، قادرين على مواجهة الاغراءات الخارجية ولمغامرات، قادرين على التكيف مع التغيرات البيئية والمناخية والغذائية الطارئة ولهم القدرة الفائقة على كبت أعراض التوتر العصبي والقدرة على التكيف مع الأعمال الجماعية. (Mckusik; 2005).

3- فصيلة الدم B: نسبة هذا النوع من فصائل الدم لدى البشر تساوي 9%، والأفراد من هذه الفصيلة يتمتعون بصفات شخصية منها الاستقلالية، الاستقامة، الابداع، المرونة والقدرة على التأقلم مع أي وضع، كما يتميزون بسرعة البديهة والهدوء والجاذبية والقدرة على التنبؤ، أما عيوب هذه الفصيلة فهي: الفوضوية الميل إلى الانطواء والانزواء والتمرد وعدم الامتثال. (Mckusik; 2005).

فصيلة الدم AB: نسبة هذا النوع من فصائل الدم لدى البشر تساوي 4%، أصحاب هذه الفصيلة يتميزون بشخصية قوية متماسكة، محبة للحق والعدل، وهم في الغالب أناس حساسون جدا، ويتمتعون بسرعة البديهة والعقلانية وهم يتميزون أيضا بالكرم والهدوء والاجتماعية والديبلوماسية، أما عن نقاط ضعفهم فهم سريعو الغضب، يصعب التنبؤ بحركاتهم وردود أفعالهم، مترددون، ولديهم رغبة للأعمال الفوضوية،، متحفظون بشكل كبير، غير حاذقون ويجدون صعوبة كبيرة في اتخاذ القرار. (Mckusik; 2005).²

التفاؤل والتشاؤم:

¹-ابتهسام محمد، نفس المرجع السابق: ص 02.

²زياد بركات، نفس المرجع السابق: ص ص 04-06

الدراسات النفسية للتفاؤل والتشاؤم دراسات حديثة لا تتجاوز-على أقصى تقدير-العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين، نشرت في السبعينيات دراسات قليلة ومتفرقة، حتى ظهر أول كتاب أسهم في بلورة هذا المجال، وكان تحت عنوان "التفاؤل: بيولوجية الأمل من وضع تايجر (Tiger: 1979)، ثم بدأت البحوث في العقد الأخيرين زيادة مضطردة، هذا على المستوى العالمي أما على المستوى العربي فإن الاهتمام بالتفاؤل والتشاؤم، قد بدأ في العام 1995¹.

تستحوذ دراسة التفاؤل والتشاؤم على اهتمام بالغ من قبل الباحثين، نظرا لارتباط هاتين السمتين بالصحة النفسية للفرد، فقد أكدت مختلف النظريات على ارتباط التفاؤل بالسعادة، والصحة والمثابرة والانجاز والنظرة الايجابية للحياة، على حين يرتبط التشاؤم باليأس و الفشل والمروص الشيخوخة.² (اليحفوفي، الأنصاري: ب س)، حيث أظهرت نتائج دراسة الأنصاري (1998): وجود ارتباط ايجابي بين التفاؤل والقدرة على حل المشكلات، والتحصيل الدراسي وضبط النفس وتقدير الذات والتوافق وجودة العمل حيث أظهرت نتائج دراسة الخضر (1999): وجود علاقة ايجابية بين التفاؤل وجودة الحياة. حيث أشار بيترسون (Peterson) 2000 : إلى أن التفاؤل يرتبط بالسعادة والصحة والمثابرة والايامن والنظرة الايجابية للحياة. مما ينعكس ايجابيا على الصحة النفسية للأفراد والرضا عن جودة الحياة.

مفهوم التفاؤل: Optimism

ذكر الأنصاري (1998) أن William James هو صاحب الفضل في ابراز مفهوم التفاؤل، إذ يرى فيه معيارا للفرد حيث يتوقع فيه الفرد توقعا كبيرا للنجاح اتجاه الأحداث أو المواقف والمهمات. (عائشة، 2013).³ ويعرف التفاؤل Optimism عند الدسوقي (1988): "بأنه ميل يحمل الشخص طبيعيا إلى الشعور بالسعادة الدائمة المتجددة بحيث يعيش في أمل مستمر مهما كانت الظروف ويتدرج من الرضا إلى الانسراح. أما مارشال ولانج فقد عرفه (Marchall & Lang; 1990) : " بأنه استعداد شخصي دائم للتوقع الايجابي للأحداث."⁴

مفهوم التشاؤم: Pessimism

عرفه كلا من الدسوقي: "بأنه الميل الذي يحمل صاحبه الحزن والانقباض وخشية الظروف الحياة، مهما كانت حسنة وعادية." اما الكفافي وجابر فقد عرفاه بأنه: " استعداد نفسي عند صاحبه لرؤية الجانب السيء في أي موضوع والتغاضي عن الجوانب الايجابية."⁵

منهجية الدراسة:

إنطلاقا من طبيعة الدراسة التي تهدف إلى معرفة العلاقة بين فصائل الدم والتفاؤل والتشاؤم، وتأثير كل من الجنس وفصائل الدم والتفاؤل والتشاؤم والتفاعل الثنائي بينهما، تمّ اعتماد المنهج الوصفي المقارن الذي عرفه (الرشدي، 2000) بأنه: "مجموعة من الإجراءات البحثية التي تتكامل لوصف الظاهرة أو الموضوع، اعتمادا على جمع الحقائق والبيانات وتصنيفها

¹. أحمد محمد عبد الخالق (1999): التفاؤل والتشاؤم: عرض لدراسات عربية. مقدم: لمؤتمر الخدمة النفسية والتنمية.

²- نجوى اليحفوفي بدر الأنصاري (2005) التفاؤل والتشاؤم مقارنة بين اللبنانيين والكويتيين. مجلة العلوم الاجتماعية. مجلد (32). العدد 02

³- زياد بركات، نفس المرجع السابق. ص 07.

⁴- سليمان سعيد المبارك (2008). التفاؤل والتشاؤم وعلاقته بمستوى الطموح لدى طلبة الثانوية (المتميزين وأقرانهم العاديين). مجلة جامعة الكويت للعلوم الإنسانية، 15(4)، 303-340.

74 - بدر الأنصاري (1998): التفاؤل والتشاؤم: المفهوم والقياس والمتعلقات. جامعة الكويت

ومعالجتها وتحليلها تحليلًا كافيًا ودقيقًا لاستخلاص دلالتها وللوصول إلى نتائج وتعميمات على الظاهرة أو الموضوع محل البحث¹.

عينة الدراسة: اشتملت عينة الدراسة على 647 تلميذا وتلميذة.

مكان الدراسة: تم التطبيق على متوسطات مختلفة من مدينة معسكر.

أداة الدراسة:

استبيان التفاؤل والتشاؤم: إعداد مارتين سليجمان (1995). تقنين الأستاذ بشير معمرية

يتكون المقياس من 48 بندًا، يجاب عنها ضمن عبارتين، يختار المفحوص أحدهما، حيث تشير إحدى العبارات إلى التفاؤل، بينما تشير الثانية إلى التشاؤم، ويشير مفتاح التصحيح إلى أن المفحوص ينال درجة واحدة إذا اختار العبارة التي تشير إلى التفاؤل، وينال صفراً إذا اختار العبارة التي تشير إلى التشاؤم. وتم حساب الخصائص السيكومترية للاستبيان في البيئة الأمريكية تبين أن له معاملات جيدة والثبات.

تقنين الأداة من طرف الأستاذ: بشير معمرية²

قام الأستاذ بشير معمرية بصياغة 48 سؤالاً تتلاءم ودرجة كبيرة مع الثقافة الجزائرية، وقام بتقنين الأداة على عينة مكونة من 498 فرداً، منهم 242 ذكراً و250 أنثى.

حساب الثبات: قامت الباحثة بتطبيق طريقة إعادة تطبيق الاختبار على عينة مكونة من 30 تلميذا وتلميذة من متوسطة مزغيش بالمحمدية، حصلت على النتائج التالية:

جدول رقم 1: يوضح نتائج معامل ارتباط بيرسون بين التطبيق الأول والتطبيق الثاني.

معامل ارتباط بيرسون	التطبيق الثاني	الدلالة الاحصائية
التطبيق الأول	0.90	0.000

*مستوى الدلالة 0.01

النتائج ومناقشتها:

نتائج الفرضية الأولى: توجد علاقة بين فصائل الدم و التفاؤل و التشاؤم عند التلاميذ.

¹- بشير صالح الرشدي (2000). مناهج البحث التربوي. القاهرة. دار الكتاب الحديث للنشر والتوزيع.

²- بشير معمرية (ب.س). قياس التفاؤل والتشاؤم.

جدول رقم 2: يوضح توزيع كل فصيلة حسب مستوى التشاؤم والتفاؤل لديها.

فصيلة الدم	متشائم	متفاؤل	المجموع
O	20	260	280
A	18	183	201
B	112	16	128
AB	37	1	38
			647

جدول رقم 3: يوضح نتائج معامل كريمر:

قيمة معامل كريمر	الدلالة الاحصائية
0.86	0.000

*عند مستوى الدلالة 0.01

من خلال الجدول نجد أن معامل كريمر عند مستوى دلالة 0.01 دال إحصائيا وهذا يدل على وجود علاقة بين فصائل الدم و التفاؤل والتشاؤم. حيث كان مستوى الدلالة $P=0.000$ ، (الدلالة المحسوبة) أقل من مستوى الدلالة $\alpha = 0.01$ ، فنرفض الفرض الصفري ونتبنى فرضية البحث التي : تقول بوجود علاقة دالة إحصائية بين فصائل الدم و التفاؤل والتشاؤم.

نتائج الفرضية الثانية: توجد فروق بين التلاميذ في مستوى التفاؤل والتشاؤم تعزى لفصائل الدم.

جدول رقم 03: يوضح الفروق بين التلاميذ في مستوى التفاؤل والتشاؤم تعزى لفصائل الدم.

مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	درجة الحرية	مستوى الدلالة
92.019	3	30.673		
32.358	643			
124.37	646			
بين المجموعات				
داخل المجموعات				
المجموع				

من خلال الجدول نلاحظ أن هناك فرق دال إحصائي في فصائل الدم من حيث التفاؤل والتشاؤم، حيث أن قيمة $P = 0.000$ وهي أقل من 0.05 ما يجعلنا نقبل فرضية البحث ونرفض الفرض الصفري أي أن هناك فرق دال إحصائي في فصائل الدم والتفاؤل والتشاؤم. وظهر ذلك بعد تطبيق معادلة شيفيه أي أن ذوي الفصيلة O، وذوي الفصيلة A أكثر تفاؤلاً. نتائج الفرضية الثالثة: لا يوجد تأثير للجنس وفصائل الدم والتفاعل الثنائي بينهما على التفاؤل والتشاؤم. جدول رقم 04: يوضح تأثير للجنس وفصائل الدم والتفاعل الثنائي بينهما في التفاؤل والتشاؤم.

الدالة الإحصائية	قيمة ف	متوسط المربعات	درجة الحرية	مجموع المربعات	مصدر التباين
0.872	0.026	0.001	1	0.001	الجنس
0.000	579.95	29.42	3	88.280	فصيلة الدم
0.547	0.709	0.036	3	0.108	التفاعل الثنائي بين الجنس وفصيلة الدم

من خلال الجدول لا نجد أن هناك فرق دال إحصائي للجنس على التفاؤل والتشاؤم بمقارنة $P = 0.872$ وهي أكبر من مستوى $\alpha = 0.05$ في حين نجد فرقاً دالاً إحصائياً لفصيلة الدم على التفاؤل والتشاؤم يعود لذوي الفصيلة O- الأكثر تفاؤلاً - بالنظر لمتوسطاتهم الحسابية. كما لا نجد فرقاً دالاً إحصائياً في التفاعل الثنائي بينهما حيث كانت قيمة $P = 0.547$ وهي أكبر من مستوى $\alpha = 0.05$ وهذا ما يجعلنا نرفض فرضية البحث ونقبل الفرض الصفري الذي يقول بأنه لا يوجد تأثير للجنس وفصائل الدم في التفاعل الثنائي بينهما على التفاؤل والتشاؤم.

المناقشة:

من خلال النتائج المحصل عليها نجد علاقة بين فصائل الدم والتفاؤل والتشاؤم وهو ما يتوافق ودراسة كاتس (Katz: 2005) الذي توصل إلى وجود أنماط محددة من الخصائص النفسية والاجتماعية لكل فصيلة من فصائل الدم. ودراسة عبد الخالق والنيال والتي أسفرت نتائجها على أن المفحوصين من ذوي فصيلة الدم O، حصلوا على متوسط درجات مرتفع على بعد العصبية مقارنة بالمفحوصين من ذوي فصيلة الدم A، وقد حصل الطلاب من ذوي فصيلة الدم A، على متوسط درجات أعلى من نظرائهم من ذوي الفصيلة AB، وخلصت الدراسة إلى أن عينة الدراسة من ذوي فصيلة الدم A، أكثر انبساطاً وازتناً.

نجد أن أكثر الفصائل تفاؤلا هي فصيلة الدم O تليها فصيلة الدم A، وتتأكد هذه أيضا بدراسة (Mc coy:2004)¹ بأن ذوي الفصيلة O و A أكثر انبساطا وتفاؤلا أما ذوي الفصيلة B و AB أكثر انطواءا وتشاؤما.

وهو ما يتفق أيضا مع نتائج زياد بركات² حيث وجد فروقا دالة احصائية بين درجات الطلاب تبعاً لفصيلة الدم لديهم وذلك في اتجاه الطلاب ذوي الفصيلة B، على سمة الاكتئاب النفسي والانطواء والانفعال والتشاؤم. وفي اتجاه الطلاب من ذوي فصيلة الدم A، على سمة الانبساط والتفاؤل.

في حين لا نجد تأثيرا للجنس وللتفاعل الثنائي بين الجنس وفصائل الدم ويعود ذلك لاعتبار التفاؤل والتشاؤم من السمات التي تتوزع توزيعا طبيعيا.

كما كانت النتائج مطابقة من حيث الامراض النفسية وهذا ما جاء في كتاب الاكتئاب وعلاقته بصنف الدم 2012 للباحث حسين صادق علما " أن هنالك دراسات تؤكد ما ذكر أعلاه ولعل أشهرها التي أجريت في شرق آسيا في الدول المجاورة لليابان من قبل الباحث النفسي ريموند كاتل على عينة عشوائية مكونة من (323) فرد من ذكر وأنثى فكان منهم آسيويون وأستراليون، وكان قسم منهم يعانون من أمراض وراثية وتغيرات نفسية مختلفة. كان الهدف من الدراسة هو بيان أي من فصائل الدم أكثرها حدّة بالنسبة للسمات الشخصية المختلفة والتعامل معها بشكل حذر واحتياط. وكانت النتيجة هي ظهور واضح لصنف الدم (B) وعلاقته بالقلق عند معامل ارتباط (0.5) وهو دال إحصائي عند (0.01)* وكان هناك نوعا "جينيا" ثنائي فعال مرتبط بالاضطرابات وكان متعلقا بسلسلة لنوع فصيلة دم (O).³

تأثير الجانب البيولوجي على السمات الإنسانية فكرة قديمة جديدة، العالم فرنسيس قالتون أول من أشار إلى تأثير الوراثة. ويسبقه في ذلك هيبوقراط عندما قسم الشخصية الإنسانية إلى أربعة أقسام⁴.

أي ان البدء في تبني فكر بيولوجي جديد يفسر السلوك الانساني على أساس مورثاته الجينية كمفتاح لحل لغز الشخصية الإنسانية أمر بالغ الأهمية لما يقدمه من تفسيرات علمية تخص اكتساب الطباع، والسمات الشخصية، وهو ليس بالفكر الجديد فلقد قدم (Cattel; 1984)⁵: تفسيراً من خلال الدراسة التي قام بها على مجموعة من الشباب الايطاليين والأمريكيين والتي بلغت 581 تراوحت أعمارهم ما بين 11 إلى 18 سنة. والتي وضحت أمكانية تفسير السلوكات النفسية على أساس جيني، وذلك باعتبار فصائل الدم محددات جينية للسمات الشخصية.

اقتراحات وتوصيات:

¹ McCoy.K(2004).Certain Features of type A personality liked with high blood pressure.www.swedish.org/17531.cfm\$InFrame

² زياد بركات. نفس المرجع السابق. ص 02.

³ حسين صادق صالح عبكه (2012). أصناف الدم وعلاقتها بالشخصية. يوم 30 جوان 2012 تم استرجاعه من الموقع بتاريخ: 2015-01-30: <http://www.annabaa.org/nbanews/2012/06/337.htm>

⁴ Lawrence A;Pervin P;(2005).La personnalité de la théorie à la recherche.édition du renouveau pédagogique.canada -

⁵ Cattel;Boutourline.(1984).Blood Groups and personality Traits.Americanjournal of human .R ;Hundleby ;Y Genetics.Vol16 ;N4

الدراسة الحالية احدى الدراسات ذات التوجه الحديث في علم النفس: الاتجاه البيولوجي وقد أسهمت الدراسة في تقديم براهين جديدة يمكن أن تصبح ذات دلالة عملية وذلك بتوظيف فصائل في فهم شخصية الطلبة بصفة خاصة والشخصية الانسانية بصفة عامة.

كما يمكن أن تفتح الدراسة باب البحث في هذا المجال.

قائمة المراجع:

- 1- بشير صالح الرشيدى (2000). مناهج البحث التربوي. القاهرة. دار الكتاب الحديث للنشر والتوزيع.
- 2- بشير معمريّة (ب س). قياس التفاؤل والتشاؤم.
- 3- بدر الأنصاري (1998): التفاؤل والتشاؤم: المفهوم والقياس والمتعلقات. جامعة الكوي
- 4- ابتسام، محمد أحمد العلمي (1431). فصائل الدم وبعض الاضطرابات لدى عينة من الطلاب والطالبات ذوي صعوبات التعلم والعاديين في المرحلة الابتدائية بمدينة مكة المكرمة. مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه. جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية.
- 5- إيمان، عباس علي الخفاف (2012). فصائل الدم وعلاقتها بالسلوك الإيثاري لدى معلمات رياض الأطفال. مجلة العلوم التربوية والنفسية. العدد 93. ص 165-243
- 6- زياد بركات (2007) فصائل الدم وعلاقتها ببعض سمات الشخصية الانفعالية لدى عينة من الطلاب الجامعيين.. جامعة القدس المفتوحة. المجلد 11.
- 7- دايان تيريز، ثلما جريكوز (2006). بوصلة الشخصية: أسلوب جديد لفهم الناس. ت: محمود الشريف. مكتبة جرير. المملكة العربية السعودية.
- 8 - أحمد محمد عبد الخالق (1999): التفاؤل والتشاؤم: عرض لدراسات عربية. مقدم: لمؤتمر الخدمة النفسية والتنمية. قسم علم النفس. كلية العلوم الاجتماعية. جامعة الكويت. للفترة 5-6 فبراير.
- 9- أحمد عبد الخالق، مايسة النبال (2004): فصائل الدم وأبعاد الشخصية لدى عينات مصرية. Arabic studis in psychology (vol3.v1). 15-5.
- 10- سليمان سعيد المبارك (2008). التفاؤل والتشاؤم وعلاقته بمستوى الطموح لدى طلبة الثانوية (المتميزين وأقرانهم العاديين). مجلة جامعة الكويت للعلوم الإنسانية، 15(4).
- 11- نجوى اليحفوفي، بدر الأنصاري (2015) التفاؤل والتشاؤم مقارنة بين اللبنانيين والكويتيين :
- 12- عائشة فتحي ذيب (2013) العلاقة بين التفاؤل والطلاقة النفسية لدى لاعبي كرة السلة في الضفة الغربية – فلسطين. رسالة ماجستير. فلسطين.
- 14- حسين صادق صالح عبكه (2012). أصناف الدم وعلاقتها بالشخصية. يوم 30 جوان 2012 تم استرجاعه من الموقع بتاريخ 2015-01-30.



<http://www.annabaa.org/nbanews/2012/06/337.htm>

المراجع الأجنبية:

15-Ayzsenk ;H(1990)"**Biological Dimentions of personality**.London.Methuen

16-Nansy Shwida Nichlson(2003).**Personality Characteristics of Interpreter Trainees :The myers –briggs Type Indicator(MBTI)**.109-122

17-Lawrence A ;Pervin P ;(2005).**La personnalité de la théorie à la recherche**.édition du renouveau pédagogique.canada

18-McCoy,K(2004).**Certain Features of type A personality liked with high blood pressure**.www.swedish.org/17531.cfm\$InFrame.

19-Cattel.R ;Boutourline.Y ;Hundleby ;J(1984).**Blood Groups and personality Traits**.Americanjournal of human Genetics.Vol16 ;N4

فاعلية الصورة في بناء التعلّمات ودورها في تنمية مهارات اللغة العربية للناطقين بغيرها

دراسة في ضوء نظرية الترميز الثنائي

ذ.عبدالرزاق الفراوزي/جامعة محمد الخامس،المغرب

ملخص:

هَدَفْنَا في هذه المقالة إلى بيان أهمية التدريس بمدخل الصورة في النظام الصفّي المدرسي، ووظيفتها في بناء التعلّمات، ودورها في تنمية المهارات اللغوية للطلبة غير الناطقين باللغة العربية، منطلقنا في ذلك أعمال الأمريكي جيروم برونر *Jerome Bruner* الذي أشار إلى أنّ عدداً من الدراسات أظهرت "أنّ النَّاس يتذكرون 10٪ فقط مما يسمعون و30٪ فقط مما يقرؤونه، في حين يصل ما يتذكرونه من بين ما يرونه أو ما يقومون به إلى 80٪"¹.

وقد اتخذت المقالة نظرية الترميز الثنائي لصاحبها آلان بايفيو *Allan Paivio* – وهي نظرية تندرج ضمن نظريات علم النفس المعرفي- إطاراً نظرياً لمعالجة هذا الموضوع ومناقشته.

الكلمات المفتاحية: الصورة، المهارات اللغوية، نظرية الترميز الثنائي.

تقديم:

تشغل الصورة اليوم حيزاً مهماً في مناهج التربية والتعليم، حيث أصبحت تحتل مساحة واسعة بجانب النص-المكتوب أو المسموع-الذي أضحى مرهوناً بالعون الذي تقدمه هذه الصورة في إنجاح عملية التعليم والتعلم، وتحقيق الأهداف المتوخاة سواء على مستوى بناء التعلّمات أم على مستوى اكتساب المهارات أم على مستوى تنمية طرق التفكير والفهم، فالصورة بهذا المعنى "إحدى دعائم أي نظام تعليمي"² ينشد الجودة ويتوخى المردودية، لأنها تلعب دوراً أساسياً في تنشيط عمليات الانتباه والإدراك والتذكر والفهم ومعالجة المعلومات والتخيل... الخ، وبما أن "لغة التعليم هي مختارات توافق بين اللغة اللفظية الفونيمية الشكلية واللغة البصرية الحسية الحاصلة عن المشاهدة، فهذا يؤكد بما لا يدع مجالاً للريبة على أنّه من الضروري أن يكون الاهتمام بها-أي بتكنولوجيا الصورة- محاكياً للأهمية التي تحظى بها اللغة الشكلية من تنظيم وتأسيس، ذلك لأن الصورة يمكنها أن تقوم بدور رئيس في توجيه الرسالة التعليمية وتنظيم الشبكة المعرفية، بحيث يغدو التعليم والتعلم مهارتين فاعلتين وظيفتين داخل الحقل التربوي"³. وتزداد هذه الأهمية أكثر، حين يتعلق الأمر بتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، لاعتبارات كثيرة منها عظم المشروع وأهميته في نشر اللغة العربية ومن خلاله الثقافة العربية

¹- شاكر عبد الحميد، عصر الصورة، عالم المعرفة، العدد311، ص6.

²- عبد العظيم عبد السلام الفرجاني: تكنولوجيا إنتاج المواد التعليمية، دار غرب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2002، ص39.

³- شفيقة العلوي: تكنولوجيا الصورة واستخدامها في التعليم(الكثروني).

والإسلامية، الأمر الذي يتطلب مجهودات مضاعفة على مستوى اختيار المناهج والبرامج والطرائق والبيداغوجيات وغيرها، ونظرا لفاعلية الصورة في بناء التعلّمات ودورها في تنمية المهارات اللغوية، واعتبارا لطاقتها الدلالية وكثافة رمزيّتها ودورها البيداغوجي. وقدرتها على تقريب المفاهيم وتوضيح المستغلق منه، اتخذناها موضوعا لهذه الورقة.

أهمية المقالة:

تكمن أهمية هذه المقالة في كونها تتناول موضوعاً خصباً يتعلق بتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من خلال مدخل الصورة، هذا المدخل الذي تم تغييره أو التعامل معه باعتباره أمراً ثانوياً زائداً عن الحاجة، أو ليس له كبير الأهمية في تنمية مهارات اللغة ومهارات التفكير والإبداع. ولعل إطلالة سريعة في الكتب المدرسية الموجهة للطلبة غير الناطقين بالعربية يمكنها أن توضح ذلك، ففي كتاب "علمني العربية" سلسلة في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها الذي يضم أربعة أجزاء لصاحبه مرشدة رزوق نقف على جزء من هذه الحقيقة، وإن حاولت صاحبة الكتاب أن تزاح في تعليم المهارات اللغوية بين المدخل اللفظي والصورة، غير أن متابعة بسيطة لمحاور هذه السلسلة جعلتنا نقف عند جملة من الملاحظات، نذكر منها أن الصورة تم توظيفها بشكل ثانوي كمكمل لفهم اللفظة أو العبارة، كما أن بعض الصور لا تتوافق مع مضمون الكلمة أو على الأقل تحتل كلمات أخرى، أما كتاب تدريس مهارات اللغة العربية للناطقين بغيرها من تأليف محمود كامل الناقة ورشدي أحمد طعيمة وهو كتاب من إصدارات الإيسيسكو لفائدة المستوى المتقدم، وهو كتاب يدرس نصوصاً تراثية وحقوقية وبيئية وثقافية متبوعة بتدريبات في الفهم والمعجم والنحو والصرف والإملاء والبلاغة...، خالية تماماً من الصورة، بحيث لم يتم توظيف الصورة في هذه التدريبات بشكل مطلق.

إشكالية المقالة وأسئلتها الفرعية:

- كيف يمكننا استثمار الثراء الدلالي للصورة في بناء التعلّمات وتنمية المهارات اللغوية للناطقين بغير العربية؟ وتتفرع عن هذه الإشكالية جملة من التساؤلات:
- ماذا نقصد بالصورة عموماً والصورة التعليمية خصوصاً؟
- كيف فسرت النظريات التعليمية عملية الإدراك البصري؟
- ما هو الدور الذي تلعبه الصورة التعليمية في تطوير الحصيلة اللغوية لدى الطالب؟ وكيف تسهم في تنمية تفكيره؟
- ما وظائف الصورة التربوية والديداكتيكية؟
- ما المواصفات والخصائص التي ينبغي أن تتوفر عليها الصورة التعليمية لأداء وظيفتها التعليمية والتكوينية؟
- ما الاستراتيجيات التي يجب اتباعها في تنمية المهارات اللغوية من خلال توظيف الصورة؟

التعريفات الإجرائية:

- مفهوم الصورة

اتخذ مضمون الصورة في المعاجم دلالات متنوعة، جاء في مقاييس اللغة: "الصاد والواو والراء كلمات كثيرة متباينة الأصول...ويجيء قياسه تصوّر، لما ضُرب، كأنه مال وسقط. فهذا هو المنقاس، وسوى ذلك فكل كلمة منفردة بنفسها. من ذلك الصّورة صورة كلّ مخلوق، والجمع صور، وهي هيئة خلقته"¹. وتحدث ابن منظور عن الصورة بقوله: "تصورت الشيء

¹ - أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الجزء الثالث، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، باب الصاد والواو وما يثلثهما، ص 319-320.

توهمت صورته فتصور لي، والتصاوير: التماثيل... قال ابن الأثير الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته، يقال: صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته¹.

أما على المستوى الاصطلاحي، فليس من السهل تحديد تعريف موحد لمفهوم الصورة، ويرجع الأمر في ذلك إلى طبيعة الخلفيات المعرفية والدينية والنظرية التي تستند عليها كل مقاربة في تعريف الصورة. فهي "موضوع مشترك بين علم النفس المعرفي، والفلسفة، والمنطق، وعلم اجتماع المعرفة، وأنثروبولوجيا الثقافة، والنقد الأدبي، وعديد من العلوم الإنسانية والاجتماعية، هي العالم المتوسط بين الواقع والفكر، بين الحس والعقل، فالإنسان لا يعيش وسط عالم من الأشياء أو الأعداد، بل وسط عالم من الصور، تحدد رؤيته للعالم. وطبيعة علاقاته الاجتماعية. وإن الحوار الذي يتم بين طرفين إنما يتم بين صورة كل طرف في ذهن الآخر،² وبسبب هذا التداخل المفهومي، تعددت تعريف الصورة بحسب الحقل المعرفي الذي يتناوله، فهي في الحقل السيميولوجي وسيلة لإدراك العلامات غير اللفظية وتعرف دلالاتها وأبعادها الرمزية والتربوية والتعليمية وغيرها من الأبعاد، وفي المجال السيكلوجي تعد فاعلية ذهنية تعمل على إحضار جملة من الخصائص وصفات موضوع ما في الذهن، بكيفية يدركه بها وينظمه ويتصوره جهاز عقلي بشري³.

وفي المجال التعليمي تعد الصورة وسيطا يتم من خلاله تحقيق وظائف تربوية وتعليمية متعددة كالوصف والتفسير والشرح والتحليل والبرهنة والتقويم واستدماج القيم... فهي ذلك: "الكل الفني المكتمل - الذي يشمل الجانب الحسي والعقلي والمعرفي والإبداعي"⁴، لذلك تعدّ من أهم الدعامات الديدانكتيكية التي تضيء طابع الواقعية على الدرس، وتساعد في تنمية المهارات اللغوية وتنمية التفكير. ويعرفها فيرث بأنها: "العامل الرئيسي المشترك في معظم العروض الضوئية والمباشرة في التعليم. وأنها عصب العروض الضوئية بصفة خاصة، إذ أنّ غالبية أجهزة العرض الضوئي تعرض الصورة التعليمية فيما عدا النادر منها"⁵، لذلك أصبحت الصورة تحتل مكانة هامة في ميدان تدريس اللغات، "حيث توظف كترجمة للملفوظ أو للإشارة إلى سياق التواصل، أو كمرجع للعلامة اللغوية... ويشترط فيها أن تكون واضحة المعالم محدودة المعلومات، مرتبطة بمادة الدرس، ذات جمالية، مساحتها مناسبة للمشاهد"⁶، وهذه المكانة تتوافق مع خلاصات جملة من الدراسات في مجال علم النفس التربوي وفي مجال علوم الدماغ التي توصلت إلى أن توظيف الصورة في عملية التعليم والتعلم أمر له أهميته، فهي من المثيرات التي تعمل على الوصل بين ذاكرة المتعلم والمادة المعروضة أمامه، وتجعل المتعلم يركز انتباهه على التفاصيل الدقيقة للمادة التعليمية مما يعد بمثابة ترميز مزدوج للمادة في ذاكرة المتعلم، الأمر الذي يسهل عملية تخزين المعلومات وربطها واسترجاعها.

المهارات اللغوية:

تحتل المهارات اللغوية مكانة مهمة في برامج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها؛ حيث ييسر إتقان هذه المهارات للمتعلمين فرص التواصل والحصول على المعارف والمعلومات، وفهمها، وتقديمها عند الاتصال بمجتمع اللغة، ويعرّف علماء اللغة المهارة

¹ - ابن منظور لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ص 2523.

² - حسن حنفي، عالم الأشياء أم عالم الصور؟ مجلة فصول، عدد 62، ص 27-28.

³ - (أحمد أوزي 1988) نقلا عن عبد الكريم غريب وآخرون، معجم علوم التربية، منشورات عالم التربية، سلسلة 9-10، ط 3، 2001، ص 163.

⁴ - غيورغي غاتشف: الوعي والفن - دراسات في تاريخ الصورة الفنية، ترجمة نوفل نيوف، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، فبراير 1990، العدد 146، ص 11.

⁵ - عبد العظيم عبد السلام الفرجاني: تكنولوجيا إنتاج المواد التعليمية، دار غرب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2002، ص 91.

⁶ - نقلا عن عبد الكريم غريب وآخرون، معجم علوم التربية، منشورات عالم التربية، سلسلة 9-10، ط 3، 2001، ص 163.

"بأنها نشاط عضوي، إرادي مرتبط باليد أو اللسان، أو العين، أو الأذن"¹، ومنه نتحدث عن أربع مهارات (الاستماع، الكلام، القراءة، الكتابة). ولما كان لكل علم أهدافه، فإن هذه المهارات الأربع تمثل الأهداف الأساسية في برامج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، فتعلم أي لغة من اللغات، سواء كانت اللغة الأم أم لغة أجنبية، إنما هدفه هو أن يكتسب المتعلم القدرة على سماع اللغة، والتعرف على إطارها الصوتي الخاص بها، وتمييز بناءها الصرفي، والوقوف على بنيتها التركيبية، ويهدف كذلك إلى الحديث بها بطريقة سليمة تحقق له القدرة على التعبير عن مقاصده، والتواصل مع الآخرين، والقدرة يكون على قراءتها وكتابتها.

أ- مهارة الاستماع:

تعد مهارة الاستماع أول صعوبة تعترض الطلبة غير الناطقين بالعربية، تتجلى صعوبته من خلال انتقال الطالب من المحيط الصوتي المألوف عنده، الناتج من خصائص لغته سواء أكان ذلك في صفات أصواتها ومخارجها؛ أم في الطابع الخاص بنبرتها وتنغيمها، إلى محيط صوتي آخر له خصائص مختلفة بشكل من الأشكال، لذلك كانت مهمة المدرس الأساسية هي تقريب الطالب ومصاحبه عن طريق تقديم اللغة التي يراد تعليمها في إطارها الصوتي، بحيث يجعله يستمع إلى هذه اللغة بصورة مكثفة عن طريق اختيار نصوص وكلمات وصور دقيقة ومعبرة، تحقق له حسن الولوج إلى هذه اللغة، وتعوده على سماعها للاستئناس بها، وتعد هذه المهارة من المهارات المهمة التي يجب بذل الجهد في تعليمها لضمان نجاح العملية التعليمية – التعليمية. ويقصد بمهارة الاستماع الإنصات المركز الواعي والفهم والتفسير.... وقد فرق محمد بونجمة بين السمع والاستماع، "فالسمع عملية فيزيولوجية فطرية تولد مع الإنسان تتجسد في أنشطة حسية جسدية تقوم فيها الروابط السمعية بنقل المعلومات إلى المخ عن طريق الأذن، أما الاستماع فمهارة تكتسب بالدربة والمراس تروم عملية التفسير والفهم واقتباس معنى ما من المسموع"²، وقد قسمها محمد مكسي³ منهجياً إلى قسمين:

- مهارات عامة: لا بد من وجودها في كل استماع أو إنصات أو إصغاء، وذكر من هذه المهارات: القدرة على تتبع الحدث بتركيز وانتباه، القدرة على إدراك معاني التراكيب والتعابير اللغوية، القدرة على الالتزام بأخلاقيات الاستماع.
- مهارات نوعية خاصة، منها القدرة على استماع ما يقال لتعلم اللغة، القدرة على الاستماع لتعلم القراءة، والقدرة على الاستماع لربط المسموع بالخبرات السابقة...

ب- مهارة الكلام:

الكلام من المهارات الأساسية التي يسعى الطالب إلى إتقانها، وهي الأساس في التعامل بين الدارس والمتمدرس، والكلام مهارة إنتاجية، تتطلب القدرة على استعمال أصوات اللغة بصورة صحيحة، والتمكن من الصيغ الصرفية ونظام تركيب الكلمات، وفي الأخير القدرة على حسن صياغة اللغة في إطارها الاجتماعي. إن الغرض من الكلام هو نقل المعنى لتسهيل التواصل وتلبية الأغراض، وتعد الصورة التعليمية وسيلة ديداكتيكية ومدخلا مناسباً يتعلم من خلالها الطالب الكلام عن طريق ملاحظة الصورة وإدراكها في كليتها، وربطها بالكلمة المفردة والعبارة المناسبة التي يجب توظيفها بشكل نسقي لخدمة مهارة الكلام. وصولاً إلى مرحلة التعبير، والانطلاق في حوارات شفوية موجهة تخدم تنمية المهارة وتطويرها.

¹ - محمد مكسي، منهاج الكفايات والمهارات، TOP EDITION، ط 1، 2006 ص 41.

² - محمد بونجمة، تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها- مهارة الاستماع نموذجاً - مطبعة أنفو، فاس، ط 1، 2013، ص 7.

³ - انظر محمد مكسي منهاج الكفايات والمهارات، دراسات تربوية، TOP EDITION، ط 1، 2006، ص 42.

ج- مهارة القراءة:

القراءة عملية عقلية انفعالية تشمل تفسير الرموز والرسوم التي يتلقاها القارئ عن طريق عينيه، وفهم المعاني، وتتطلب الربط بين الخبرة السابقة وهذه المعاني، والاستنتاج والنقد، والحكم، والتذوق وحل المشكلات¹، ولإكساب الطلبة غير الناطقين باللغة العربية مهارة القراءة التي أكد عليها مفهوم القراءة، يتم ربط المجرّد بالحسي باستخدام الصور سواء كانت ثابتة أم متحركة، حيث يُدرّب الطالب على مهارة التعرف على الأشياء، فيتقدم من مرحلة النظر إلى الصور إلى تعلّم الإشارة، ومن ثم تسمية الأشياء المألوفة له في الصور إلى الأشياء غير المألوفة. فالصورة تجسّد المفهوم وتشخص المعنى وتجعل المجرّد محسوس والمحسوس أكثر حسّية، فكيفما كانت طبيعة الصورة المعتمدة في تنمية المهارة (فوتوغرافية- إخبارية- تشكيلية- مطبوع- رقمية...) فوظيفتها تيسير التعلم وتقريب المفاهيم وتوضيحها.

ومن المهارات القرائية التي ينبغي تنميتها وإكسابها للطلبة:

- القدرة على ترجمة الصورة إلى مفردات لغوية؛
- القدرة على نطق الكلمات المرتبطة بالصورة نطقاً سليماً؛
- القدرة على التمييز بين الأصوات اللغوية المتشابهة؛
- القدرة على احترام علامات الوقف؛
- القدرة على ربط المسموع بالمنطوق، وربط المشاهد بالمقروء؛ وفهم المقروء.

د- مهارة الكتابة.

"الكتابة في اللغة هي الجمع والشد والتنظيم، وفي الاصطلاح أداء منظم ومحكم يعبر به الإنسان عن أفكاره ومشاعره المحبوسة في نفسه، وتكون دليلاً على وجهة نظره، وسبباً في حكم الناس عليه"²، وهي إحدى مهارات اللغة العربية، وهي عبارة عن عملية عقلية أدائية تمكن الطالب من تحويل الصور الذهنية إلى رموز خطية، يعرفها حسن عبد الباري، بقوله: "الكتابة عملية معقدة، في ذاتها كفاءة أو قدرة على تصور الأفكار وتصويرها في حروف وكلمات وتراكيب صحيحة نحواً، وفي أساليب متنوعة المدى والعمق والطلاقة مع عرض تلك الأفكار في وضوح ومعالجتها في تتابع"³.

نظرية الترميز الثنائي Dual-coding theory :

هي نظرية حول الذاكرة طويلة المدى وضع أسسها آلان بايفيو Allan Paivio تنطلق من فكرة مفادها أن المعلومات يجري تمثيلها في الذاكرة من خلال نظامين منفصلين لكنهما مترابطان ومتكاملان. هذان النظامان هما: النظام اللفظي والنظام غير اللفظي (الصور العقلية)، وعليه، تم تقسيم الذاكرة إلى قسمين: ذاكرة لفظية وذاكرة بصرية، الأولى لتمثيل المعلومات اللفظية (اللغوية)، والثانية لتمثيل المعلومات غير اللفظية. ويؤدي ترميز المعلومات في الذاكرتين إلى تذكرها بصورة أسرع وأفضل، ذلك أنّه عندما نَقْدَم للمتعلّم رمزا له شكل وله اسم فإنّه يسجّل في ذاكرته بطريقتين إحداها للاسم الذي تنطبق عليه مواصفات اللغة اللفظة (منطوق، مسموع، مكتوب أو مقروء)، والثانية للشكل الذي تنطبق عليه خصائص اللغة غير

¹ - محمد مكسي، منهاج الكفايات والمهارات، ص 47.

² - أحمد فؤاد عليان: المهارات اللغوية ماهيتها وطرق تدريسها، دار السلم للنشر والتوزيع، الرياض، 1992 ص 156.

³ - عصر، حسن عبد الباري، الاتجاهات الحديثة لتدريس اللغة العربية في المرحلتين الإعدادية والثانوية، الإسكندرية، المكتب العربي الحديث للطباعة والنشر، 1994، ص 248.

اللفظية (المساحة، اللون، البعد، الملمس...). كما أنّ النسقين اللفظي وغير اللفظي يحدث بينهما ترابط يضمن استبقاء المعلومات في ذهن المتعلم فترة أطول، وتذهب كثير من الدراسات في مجال الذاكرة والتذكر إلى أنّ الإنسان يمتلك ذاكرة مرتبطة بالصورة أقوى من الذاكرة اللفظية، وتؤكد هذه النظرية على ضرورة ربط الملفوظ بالصورة، ذلك أنّ المعلومات التي تكون مهمة يتم ترميزها على نحو لفظي وصورى في الوقت نفسه.

لقد قامت نظرية الترميز الثنائي "على فروض أنّ الكلمات العيانية التي تستثير الصور العقلية تكون أسهل في تعلّمها من الكلمات التي لا تفعل ذلك، وتفسر هذه النظرية هذه السهولة في التعلم بافتراضها أنّ الكلمة العيانية التي تشير أكثر من غيرها إلى أشياء واقعية محددة يتم تمثيلها من خلال الصور والمعاني اللفظية، وذلك لأنّها تتكون من شكل خاص، ولون خاص، وملمس خاص، ورائحة خاصة.... كما أنّ لها اسما خاصا يطلق عليها. ولذلك تدخل مثل هذه الكلمات كلاً من نظام الذاكرة الخاص بالصور والنظام الخاص بالكلمات، هذا بينما توضع الكلمات المجردة في النظام اللفظي فقط، وذلك لأنه لا توجد لها إحالات واقعية قوية، كما هي الحال في الكلمات الخاصة بالأشياء الواقعية أو العيانية، هذه الثنائية في التمثيل والتخزين في الذاكرة تجعل هناك ثنائية في الوسائل التي يمكن من خلالها استدعاء الكلمات العيانية، ومن ثم تكون الذاكرة أفضل بالنسبة لهذه الكلمات"¹. وبناء على فروض هذه النظرية واستنتاجاتها، ومن منطلق اعتبارها مداخل علمية في فهم الذاكرة الإنسانية، والوقوف على كيفية التذكر دعا خبراء التربية والمهتمين بالشأن التعليمي إلى المزاوجة بين الكلمة والصورة في مختلف المستويات التعليمية.

مرجعية النظرية على مستوى علوم الدماغ:

استلهمت نظرية الترميز الثنائي أسسها من الدراسات التي أجريت على الدماغ، وبالأخص دراسات روجر سبيري *Roger Sperry* وزملائه *الذين قاموا* "بإجراء مجموعة من العمليات الجراحية جعلت من دراسة كل من نصفي الدماغ أمراً ممكناً وتوصل من خلال قطع الجسم الجاسي والذي يتألف من 380 مليون ليف عصبي وهو الذي يصل النصفين مع بعضهما عن طريق تلك الألياف الرابطة مما أثبت أنّ الفرق الوظيفي بين نصفي الدماغ حقيقة ماثلة وهذه الحقيقة تمنح الدماغ مرونة وقدرة، إنّ كلا النصفين يستقبلان المعلومات نفسها وعندما يقدم الباحثون معلومات لأحد نصفي الدماغ فإن ذلك يمكنهم من التعرف الفروق بين وظائف نصفي الدماغ كل على حدة، ونتيجة لهذا الاكتشاف منح سبيري جائزة نوبل عام 1981 فقد بين أنّ الجنب الأيمن للدماغ يتم فيه تجميع الأجزاء لتخليق الكليات فهو تركيبي يعالج المعلومات بالتوازي أو بشكل متزامن فيبحث عن الأنماط وينشئها ويتعرف على العلاقات بين الأجزاء المنفصلة، وهو أكثر ما يكون فاعلاً في الأمور ذات الطبيعة البصرية والمكانية كما في الرسم وصنع الصور والموسيقى... أما النصف الأيسر يتميز بأنه تحليلي ويختص بمعالجة المعلومات من خلال ربط الأجزاء بالكل بشكل خطي تتابعي، وهذا أكثر ما يكون فاعلية في معالجة المعلومات اللفظية وترميز اللغة وفك رموزها وكل ما يتصل بالكلمات والأرقام والأجزاء والأمور التتابعية الخطية... وأشار سبيري إلى أنّ الدراسات والبحوث التي تتعلق بالفروق الوظيفية بين جانبي الدماغ ذات أهمية كبيرة في مجال التعليم"².

¹ - شاكر عبد الحميد، عصر الصورة- السلبيات والإيجابيات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 311، 2005، ص 146.

² - شبكة جامعة بابل، موقع الكلية، نظام التعليم الإلكتروني، كلية التربية الأساسية.

الدراسات السابقة:

تناول كثير من الدارسين موضوع الصورة بالتمحيص والتنقيب سواء في مجال اللسانيات أم في مجال السيميولوجيا أم في مجال البلاغة أم في مجال الإعلام...إلى غير ذلك من التخصصات، إلا أن موضوع الصورة في تعليم اللغة وتعلمها من المواضيع التي لم تأخذ حقها من الدرس والبحث، ويتمظهر ذلك بشكل جلي حين يتعلق بتدريس اللغة العربية للطلبة الناطقين بغير اللغة العربية، ونستحضر هنا بعض الدراسات التي تناولت موضوع الصورة في ميدان التربية والتعليم :

49

-دراسة جمس وآخرين Jamsen, K.W & Lewis, R. (1997) حيث تمت الإشارة إلى وجود وظائف متعددة للرسوم والصور في الكتب المدرسية تسهم في تحقيق فهم واستيعاب المعلومات .

-دراسة براون وآخر Brown, J. W. & Molstad, J. A (1999) تم الحديث عن أهمية الصورة، فالصورة المختارة بعناية والمستخدمة بكفاءة تساعد المتعلم على فهم المحتوى اللفظي. كما أنّ استخدام الصور والرسوم الخطية في التعلم له تأثير أقوى في مساعدة التلاميذ على التعلم .

-دراسة شلنت Shallent, D. L (1999) ، دراسة ميدانية تمت الإشارة فيها إلى أن معظم الصور والرسوم المستخدمة في نصوص الكتب المدرسية تؤدي دوراً إيجابياً في التعلم من خلال النص على مستوى التذكر والفهم .

- دراسة عوني الفاعوري وإيناس أبو عوس بعنوان: "أثر استخدام الصورة في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في الجامعة الأردنية" وهي دراسة ميدانية أجريت على مجموعة من الطلبة غير الناطقين بالعربية في المعهد الدولي في الجامعة الأردنية بينا فيها أثر استخدام الصورة على تعليم اللغة ودورها في فهم المفردات والعبارات، كما أظهرت نتائج هذه الدراسة حسب أصحابها القدرة على فهم النص ومضمونه وتعرف مفرداته وعباراته وجمله وفهمها في سياقها الواقعي بطريقة أفضل وأسرع من الطلبة الذين درسوا النص مجرداً من الصور.

- "فاعلية استراتيجية تدريسية مقترحة قائمة على استخدام الصور في تنمية المفردات لدى متعلمي العربية الناطقين بغيرها" للباحثة ناهد سالم علي سالم، من جامعة القاهرة. وهي رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير، انطلقت الباحثة من فكرة وجود ضعف لدى كثير من متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها مرجعة ذلك إلى عدة عوامل، ورأت في توظيف الصورة أسلوباً سيسهم في تنمية المفردات في مجال تعليم اللغات الأجنبية، إذ يتيح استخدام الصور للمعلم تدريس المهارات وتوضيح معاني الكلمات.

- الصورة في النظريات النفسية والتربوية الحديثة :

لقد نتج عن التقارب البحثي بين علماء النفس المعرفي وعلماء الدماغ في الآونة الأخيرة، تصوراً واضحاً في مجال التعرف على الإنسان وكيفية تعلمه، وآليات اكتساب المعرفة وتخزين المعلومة، وقد استحضّر هذا التقارب الصورة باعتبار أهميتها في ميدان الفهم والإدراك والتذكر والاستيعاب والتخزين...، لذلك لم يعد ينظر إليها على أنها وسيلة ثانوية، بل أصبحت وسيطاً لا مناص منه في العملية التعليمية التعلمية، وتعد نظريات علم النفس المعرفي ذات سبق خاص في هذا المجال. فبرغم تباين هذه النظريات في طريقة تفسيرها للعمليات العقلية التي تحدث في الدماغ، بحيث نجد مثلاً النظرية الجشطالتيّة تهتم بدراسة الإدراك الحسي وعمليات التنظيم المعرفي، ونلّف بياجي J. Piaget في نظرية النمو المعرفي يهتم بدراسة التغيرات النوعية والكمية التي تطرأ على العمليات المعرفية والإدراكية...، بيد أنّها جميعاً تشترك في تأكيدها على أهمية العمليات المعرفية، ودورها في تحديد أنماط السلوك الإنساني الذي يصدر عن الإنسان.

إنّ الصورة عند بياجيه عملية عقلية مرتبطة بنشاطات ذهنية، وهذا التصور هو ما يميز الاتجاه المعرفي عموماً عن باقي الاتجاهات النفسية الأخرى في تصورها للإدراك الإنساني، أما النظرية الجشطالتيّة Gestalt فيرى منظورها أنّ العالم والصور يفرضان بنياتهما على الذات الناظرة المتأملّة، والذات تدرك الشكل في إطاره الكلي والشمولي ولا تنظر إلى الصورة من مجموع أجزائها. وقد قدم الجشطالتيون بعض القوانين لإدراك الصور منها البساطة والانتظام والكلية، وهذه القوانين مهمة جداً في انتقاء الصور خاصة لأهداف بيداغوجية وديداكتيكية، وبدوره تحدث برونر Bruner عن الطرق والأساليب التي يتمثل بها الصغار والكبار الواقع وحصرها في ثلاثة أشكال:

- النشاط العملي.

- النشاط التصوري.

- النشاط الرمزي.

وتحدث في النشاط التصوري عن نمط التعلم الأيقوني أو التصوري الذي يقوم على استخدام الصور في اكتساب المفاهيم، وأشار إلى أنّ التصوير بقدر ما هو مهم للصغار فهو مفيد للكبار ممن يدرسون المهارات، وقد لقيت هذه الأعمال رواجاً كبيراً في الساحة التربوية والتعليمية، وقد أظهرت نتائج دراسات Bowor 1972 – Pivio 1971 أنّ الأفراد عندما يطلب منهم تشكيل صورة ذهنية للمفردات التي تعرض عليهم، ويطلب منهم الاحتفاظ بها في الذاكرة، فإنّ عملية استرجاع المفردات تكون سهلة وسريعة على نحو دراماتيكي، وتعتمد سرعة تذكرها على الوسائل والأساليب التي يستخدمها الأفراد في التخيل¹.

دور الصورة في بناء التعليمات وتطوير المهارات اللغوية ووظائفها.

إن استعمال الصورة بوصفها وسيطاً في تعليم مهارات اللغة العربية للطلبة غير الناطقين بالعربية أصبح ضرورة لا تملها الحاجة فحسب، بل لأنّ العصر الذي نعيشه هو عصرها بلا منازع، إذ يمكن الاستفادة منها في التخطيط للمهارة المقصودة، وفي تحقيق الكفايات المطلوبة، وتنفيذها، وتقويمها، وتحديد مدى استيعاب الطلبة لها، وتكتسي الصورة أهمية بيداغوجية كبرى لكونها تمثل لغة عالمية تتحدى اختلاف اللغات، وتضفي طابع الواقعية على الدرس، وتدفع الطلبة إلى تركيز الملاحظة، فتسمح لهم بإنجاز مهارات عقلية كالتحليل والتركيب والتفكيك والتقويم. ويشير خبراء التربية والتعليم إلى أنّ للصورة وظيفة فعالة، فهي الرابطة بين الرمز اللفظي والمعجم ومتصوره، فهي تساعد الطالب على تحصيل المعرفة واكتساب المهارات اللغوية، ويحدد فيرث قيمتها² في كونها:

- تقدم الحقائق العلمية في صورة بصرية؛

- تمنح المتعلم بعداً للمقارنة بين الأبعاد والمسافات والأشكال والحجوم؛

- تعين بشكل فعال المتعلم على التفكير الاستنتاجي.

ويشير خبراء التربية والتعليم إلى أنّ للصورة وظيفة فعالة، فهي الرابطة بين الرمز اللفظي والمعجم ومتصوره، فهي تساعد المتعلم على تحصيل المعرفة واكتساب المهارات اللغوية، وقد حدد لها تاردي Tardy في كتابه "الوظيفة السيميائية للصور"- انطلاقاً من تحليل دور الصورة ضمن إطار تعليمية الألسن- أربع وظائف³:

¹- رافع النصير الزغول، عماد عبد الرحيم الزغول، علم النفس المعرفي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن. ص 198.

²- عبد المجيد سيد أحمد منصور، علم اللغة النفسي، دار العلوم للكتاب، دمشق، سورية، 1989، ص 46.

³ - Tardy .M. La fonction sémantique des images. 1975 ; pp19-43

- الوظيفة النفسية للتحفيز: إن الدور التحفيزي مهم بالنسبة للعملية التعليمية عامة، وفي مجالات التعليم اللساني، تكون المواد أحوج إلى عنصر التحفيز النفسي.
- الوظيفة التوضيحية: لما كان فعل التمثل البصري للصورة الدعامة ذا صلة وطيدة بالمعلومة اللغوية أو الموضوع المعين، فإن الوظيفة التوضيحية، تقتزن في الغالب بإعطاء نظرة عامة وشمولية عن النص المرجع، الذي يعد مدارا لمجموع الأهداف اللغوية المقصودة بالنسبة للإطار التعليمي للألسن، حيث يمكن للمفردات المفقودة دلاليا عند التلميذ، أن تتحول إلى مجموعة من التخمينات المعرفية، كما يمكن للتفاصيل الأيقونية لمشهد الصورة، سواء تعلق الأمر بالصورة النصية أو الصورة المفرداتية، أن تحول المعاني والدلالات المجردة إلى صور ذهنية.
- الوظيفة التحريضية: حيث تقوم باستثارة الحس التعليمي عند التلميذ، فالصورة التعليمية للغة قبل أن تحكي للطفل واقعة بصرية، فهي تستحثه على تحويل مجموع الوقائع البصرية إلى وقائع سردية لسانية.
- الوظيفة اليبين سيميائية للغة: تؤدي الصورة بوصفها دعامة تعليمية للغة، دور العابر للغات، كونها قادرة على خلق رابط بين النسق اللساني للغة الأم، والنسق اللساني المستهدف من وراء العملية التعليمية، وذلك ضمن وضع سيميائي يقوم على المحاكاة، أو المماثلة، أو التقريب، وغيرها.
- وهذه الوظائف تتوافق مع معطيات علم النفس المعرفي، كما تتناسب بشكل كبير مع نظرية الترميز الثنائي، وعليه، يمكننا أن نجعلها في الآتي:
- وظيفة استكشافية: اعتبار الصورة وسيلة استكشاف للفعل التعليمي في إطار وضعية استكشافية- وضعية انطلاق-، يستطيع من خلالها المتعلم الانطلاق من تمثلاته لاكتساب المعارف والخبرات وتحقيق الفهم وتعديل الاتجاهات:
- وظيفة إخبارية: بحيث تهتم بنقل المعلومات والخبرات في إطار تفاعلي، فهي وسيلة هامة في نقل الثقافة والتراث الحضاري بين الشعوب؛
- وظيفة تنظيمية: تقوم بدور تنظيم المعلومات وتوجيهها، وحصر المفيد منها، المسهم في تنمية المهارة المطلوبة؛ ويتم ذلك من خلال مناقشة الصورة (أو الصور المعطاة) في إطار مجموعة عمل أو بشكل فردي؛ ثم بيان الفرق بين الصورة وحقيقة ما تمثله من رموز مجردة.
- وظيفة تقويمية: بحيث يتم توظيفها لتقويم المكتسبات، والوقوف على مدى تحقق الكفايات التعليمية وما يرتبط بها من مهارات، وما يترتب عليها من أداءات وسلوكات.
- وتتحقق فاعلية الصورة عند تحويلها إلى منظومة لغوية مرتبطة بمحيط المتعلم، وتشكل جزءا محوريا لاكتساب المهارة اللغوية، بحيث تساعد على:

- جذب انتباه المتعلمين، وتشكل دعما حسيا للكلام المجرد.
- تنمية مهارة القراءة البصرية لدى المتعلم.
- تنمية مهارة الاستماع.
- ترسيخ بعض القيم الإيجابية في عقل ووجدان المتعلم.
- تحفيزه أكثر مما تقوم به العلامات اللفظية.

نقلا عن عبد القادر فهم شيباني: "الأبعاد المعرفية للدعامة الأيقونية، بحث حول فاعلية الصورة في تعليمية اللغة"، ضمن مجلة "البلاغة والنقد الأدبي"، العدد الأول، 2014.

- تنمية القدرة على الملاحظة والوصف والتفسير بإيجاد العلاقة بين مكونات الصورة، والقدرة على التعبير بتحويل معطياتها إلى عبارات مكتوبة ومقروءة.

خصائص الصورة التعليمية وإجراءات تقديمها.

إنّ تعليم العربية بتوظيف مدخل الصورة توظيفاً منهجياً بإمكانه أن يتيح لمتعلمي اللغة العربية إمكانات هائلة، توجهه نحو تعليم متعدد المصادر، متنوع الآليات، يتميز بالجاذبية والمرونة والفاعلية، مستمد أسسه من النظريات التربوية والنفسية الحديثة، وبإمكان التدريس بالصورة أيضاً أن يدعم استيعاب المفردات والنصوص استيعاباً كاملاً، يحد من السلطة المعرفية لهذه النصوص المكتوبة.

ويتطلب تعليم المهارات اللغوية للطلبة غير الناطقين بالعربية جملة من الإجراءات أثناء توظيف الصورة التي يجب أن تتميز بالبساطة والألفة "فالأشياء التي تمتاز عادة بالبساطة وقلة التفاصيل يتم استرجاع صورها الذهنية على نحو أسرع وأسهل من صور الأشياء التي تتميز بالتعقيد وكثرة التفاصيل أو تلك الغامضة غير الواضحة"¹. ومن هذه الخصائص والمواصفات، نذكر:

- أن تكون الصورة واضحة المعالم بعيدة عن التعقيد، وأن تتميز بالصدق في التعبير عن الواقع؛
 - أن ترتبط بالموقف التعليمي والمهارة المراد تعلمها؛ وتثير لدى الطالب الدافعية والاهتمام؛
 - أن تستحضر ثقافة المتعلم وبيئته؛
 - أن تراعي طبيعة المحتوى في بعده الزماني والمكاني؛
 - أن تستحضر البعد الجمالي والفني؛
 - أن يكون موقعها مناسباً، وأن تكون مساحتها مناسبة في الحيز الذي تشغله؛
- أما إجراءات التدريس بالصورة، فنحصرها فيما يلي:

- التمهيد لقراءة الصورة لإثارة انتباه الطلاب؛

- عرض الصورة على الطلاب، مع احترام مواصفاتها من حيث البساطة والوضوح والمساحة...؛

- التعبير عن الصورة سواء بمفردات أم بعبارات؛

- مناقشة وتعليقات حول الصورة في إطار مجموعة عمل أو بشكل فردي؛ ثم بيان الفرق بين الصورة وحقيقة ما تمثله من رموز مجردة؛

على سبيل الختم:

من خلال ما تقدم نستطيع أن نؤكد أن الصورة من أهم أدوات تعليم اللغة وتعلمها بالنسبة للناطقين باللغة العربية أو لغير الناطقين بها، وقد دلت التجارب العلمية في هذا المجال إلى أنّ التدريس الصفّي بتوظيف مدخل الصورة بجميع أنواعها الثابتة والمتحركة يسهم في تنمية المهارات اللغوية، ويساعد في تكوين الانطباعات، ويدفع إلى طرح التساؤلات، وفتح آفاق واسعة أمام ملكات الإبداع، إذا تم توظيفها بالشكل المناسب. فالصورة تشكل إلى جانب المفردة- كما وقفنا على ذلك من خلال نظرية الترميز الثنائي- مدخلاً مهماً لتطوير التعليم، فوظيفتها المتميزة بالثراء المعنوي تجعلها تتفوق حتى على اللفظة، وكما يقول دوبري: ليس

¹ - Schunk 1991 ، نقلاً عن رافع النصير الزغول، عماد عبد الرحيم الزغول ، علم النفس المعرفي ص 65.

بإمكاننا أن نُقَوِّلَ نصّاً كل ما نرغب في قوله، أما الصّورة فنعم"¹. غير أن هذا لا يعني إلغاء التعلم بالمدخل اللغوي فهما متكاملان يخدم بعضهما البعض، وفي هذا الباب يقول عبد الله غدامي: "إن ثقافة الصورة لن تزيح ثقافة الكتابة من الوجود، ولكن الذي سيحدث هو تجاوز قوي بين صيغ ثقافية متعددة... وإن بدت الصورة أكثر قوة وأبلغ مفعولية وأوسع انتشاراً، إلا أنّ الثقافة الكتابية ستظل موجودة وفاعلة ولن تنقرض لا كصيغة ولا كنسق فكري خطابي... ولكن الصورة حتما ستكون هي العلامة الثقافية وستكون هي مصدر الاستقبال والتأويل ولسوف يجري تغيير جذري في الذهنية البشرية تبعاً لذلك"².

قائمة المراجع:

1. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الجزء الثالث، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
2. ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة.
3. أحمد فؤاد عليان: المهارات اللغوية ماهيتها وطرق تدريسها، دار السلم للنشر والتوزيع، الرياض، 1992.
4. حسن حنفي، عالم الأشياء أم عالم الصور؟ مجلة فصول، عدد 62.
5. حسن عبد الباري، الاتجاهات الحديثة لتدريس اللغة العربية في المرحلتين الإعدادية والثانوية، الإسكندرية، المكتب العربي الحديث للطباعة والنشر، 1994.
6. رافع النصير الزغول، عماد عبد الرحيم الزغول، علم النفس المعرفي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
7. ريجيس دوبري: حياة الصورة وموتها، ترجمة فريد الزاهي، إفريقيا الشرق، 2002.
8. شاكر عبد الحميد، عصر الصورة- السلبيات والإيجابيات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 311، 2005.
9. عبد العظيم عبد السلام الفرجاني: تكنولوجيا إنتاج المواد التعليمية، دار غرب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2002.
10. عبد الكريم غريب وآخرون، معجم علوم التربية، منشورات عالم التربية، سلسلة 9-10، ط3، 2001.
11. عبد الله غدامي، الثقافة التلفزيونية، -سقوط النخبة وبروز الشعبي- المركز الثقافي العربي، المغرب ط1، 2004.
12. عبد المجيد سيد أحمد منصور، علم اللغة النفسي، دار العلوم للكتاب، دمشق، سورية، 1989.
13. غيورغي غاتشف: الوعي والفن- دراسات في تاريخ الصورة الفنية، ترجمة نوفل نيوف، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، فبراير 1990، العدد 146.
14. محمد مكسي منهج الكفايات والمهارات، دراسات تربوية، TOP EDITION ط1، 2006.
15. محمد بونجمة، تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها- مهارة الاستماع نموذجاً - مطبعة أنفو، فاس، ط1، 2013.
16. شبكة جامعة بابل، موقع الكلية، نظام التعليم الإلكتروني، كلية التربية الأساسية.

¹ - ريجيس دوبري: حياة الصورة وموتها، ترجمة فريد الزاهي، إفريقيا الشرق، 2002، ص45.

² - عبد الله غدامي، الثقافة التلفزيونية- سقوط النخبة وبروز الشعبي- المركز الثقافي العربي، المغرب ط1، 2004، ص9-10.



17. شفيقة العلوي: تكنولوجيا الصورة واستخدامها في التعليم (الالكتروني).

18. -مجلة البلاغة والنقد الأدبي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، العدد الأول، 2014.

- Tardy.M . 1975. La fonction sémantique des images. Etudes Linguistiques appliquée.16.19

Paris Klincksieck

فاعلية التكفل الأرطفوني القائم على استراتيجية التأهيل السمعي في تنمية مهارة اللغة الشفوية عند الطفل الأصم الحامل لجهاز الزرع القوقي

د. سمير في/جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر

55

ملخص:

يندرج المقال المنجز ضمن الدراسات المتعلقة بالأبحاث الخاصة بالصمم، حيث تم التطرق من خلاله إلى عرض فاعلية التأهيل السمعي القائم على الإيقاع الموسيقي في تنمية اللغة الشفوية عند الطفل الأصم الحامل لجهاز الزرع القوقي، وفي عرضنا لهذا المقال تطرقنا في البداية إلى:

مفهوم الزرع القوقي، مكونات الجهاز وشروط الاستفادة منه و حدوده و بعدها تم التطرق إلى خطوات إستراتيجية التأهيل السمعي و أهمية هذه الإستراتيجية في تنمية اللغة الشفوية عند الطفل الحامل لجهاز الزرع القوقي.

و أخيرا تم استخلاص أنه بفضل جهاز الزرع القوقي يتمكن الطفل المصاب بإعاقة سمعية عميقة الاندماج في العالم الصوتي شريطة أن يتعلم ربط المعلومات الحسية بما لها من معنى و استعمالها في العلاقات الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: التأهيل السمعي، اللغة الشفوية، الزرع القوقي.

مقدمة:

تعد الإعاقة السمعية مشكلة كبيرة متعددة الجوانب سواء كانت صحية تربوية، اجتماعية أو اقتصادية تقع على كاهل المصاب، الأسرة و المجتمع. باعتبار أن النمو اللغوي يعد من أكثر مظاهر النمو تأثرا بالإعاقة السمعية، ولن تتطور لدى الطفل الأصم مظاهر النمو اللغوي الطبيعي بدون تدريب منظم و مكثف. و مع أن الأطفال السامعين يتعلمون اللغة و الكلام دون تعلم مبرمج، فالمعاقون سمعيا بحاجة إلى تعليم هادف و متكرر، فالفرد المعاق سمعيا سيصبح أبكما إذا لم تتوفر له فرص التدريب السمعي و اللغوي.

و هذا ما يجعل من الإعاقة السمعية تكتسي أهمية كبرى في ميدان البحث العلمي من خلال تعدد طرق التكفل و تعدد المعينات السمعية و ظهور أدوات طبية و تقنية حديثة كلها تهدف إلى الحد من الضعف السمعي و تطوير النمو اللغوي بهدف إعطاء المصاب فرصة أمثل للتواصل و الاندماج، و من أحدث هذه التقنيات العالمية الجديدة "جهاز الزرع القوقي" و هو عبارة عن جهاز الكتروني مصمم لالتقاط الأصوات و فهم الكلام المحيط بالأشخاص الذين يعانون من فقد السمع الحسي العصبي سواء كانوا أطفالا أو بالغين و الذين لا يمكنهم الاستفادة من المعينات السمعية التقليدية التي غالبا ما تكون ذات قدرة محدودة على تحسين التقاط الكلام و فهمه.

و الآن و مع ظهور تقنية الزرع القوقعي فقد أصبح الإدراك السمعي للصوت و الإدراك السمعي للكلام و طرق إنتاجه هما المنهجان السائدان في التكفل بهذه الفئة. ومع توفر كل هذه التقنية بين أيدينا فإن استخدام أسلوب التربية السمعية و الإدراكية للصوت و الكلام يعتبر أول خيار في التكفل بالأطفال المستفيدين من تقنية الزرع القوقعي، فبإتباع هذه الطريقة بجميع مراكز الزرع القوقعي قد يترتب عن ذلك تحسن ملحوظ في عمليات الإدراك السمعي للصوت و التعرف عليه والإدراك السمعي للكلام و طرق إنتاجه هذا ما ينعكس ايجابيا على تحسين اللغة و طرق التواصل.¹

و من خلال ما تقدم تبرز أهمية اعتماد برنامج التأهيل السمعي على تنمية مهارات الإدراك السمعي للصوت و التمييز بين الأصوات بطريقة متدرجة قائمة على الخصائص الفونولوجية للأصوات، بالإضافة إلى الإدراك السمعي للكلام و الطرق المساعدة على إنتاجه حتى يتمكن الأطفال الذين يستفيدون من المعينات السمعية أو أجهزة زراعة القوقعة السمعية الالكترونية من تطوير لغتهم اللفظية بطريقة تحاكي التطور الطبيعي لدى أقرانهم العاديين.

و على هذا الأساس جاء موضوع هذا المقال ليسلط الضوء حول التعريف بجهاز الزرع القوقعي و دور المختص الارطفوني في التكفل بالطفل الحامل لجهاز الزرع القوقعي، وأهمية الإستراتيجية السمعية الإدراكية في تنمية اللغة الشفوية عند هذا الأخير.

1- تعريف جهاز الزرع القوقعي:

ه عبارة عن جهاز طوله 52 مم و عرضه 15.7 مم يتكون من جزأين ، قسم داخلي و قسم خارجي ذا طبيعة الكترونية يتم زراعته تحت الجلد من خلال عملية جراحية تدوم أربعة 4 ساعات و تتدخل فيها العديد من الأطراف. كما يعرف كذلك على أنه نظام الكتروني يهدف إلى خلق إحساسات سمعية انطلاقا من التنبيهات الكهربائية لنهايات العصب السمعي. أو هو جهاز الكتروني يتم زراعته تحت البشرة (الجلد) بوضعه في القوقعة ليحث العصب السمعي و التيارات الالكترونية تحت عمل الأجزاء الكامنة في ألياف العصب السمعي و هذه النبضات العصبية يتم نقلها إلى المخ و بذلك يتم تجنب أو تجاهل الخلايا الشعرية المفقودة أو المحطمة داخل القوقعة.²

كما يعرف كذلك بأنه جهاز يتيح إمكانية السمع و يحسن قدرة الاتصال اللفظي للأشخاص المصابين بفقدان السمع الحسي العصبي الحاد و الذين لم يستفيدوا من المعينات السمعية بعد فترة من التأهيل المناسب لذلك و هو عبارة عن جهاز متعدد الالكترونيات يستخدم لنقل المعلومات الصوتية إلى الأذن الداخلية و يساعد على تحسين مقدرة الشخص على سماع الأصوات المحيطة به و سماع إيقاعات و أنماط النطق كما يحسن عملية القراءة على الشفاه. و يعرف كذلك على أنه جهاز كهربائي يحول المعلومات الصوتية إلى نبضات كهربائية.³

فمبدأ عمل هذا الجهاز يختلف كثيرا عن المعين السمعي التقليدي فأجهزة السمع العادية أي المعينات السمعية مجرد أدوات مكبرة للصوت فقد صممت لتكبير و توضيح الأصوات و هي مفيدة للأشخاص الذين يعانون من ضعف سمعي بسيط ، متوسط أو حاد أما الأشخاص الذين لم يستفيدوا من المعينات السمعية لأن البقايا الحسية السمعية في القوقعة قد تلفت

1 - خولة محمد الزين ، "تطوير برنامج تدريبي للمهارات السمعية واختبار فاعليته في عملية اكتساب اللغة . لدى فئة الإعاقة السمعية الشديدة ، و حالات زراعة القوقعة في الأردن " رسالة دكتوراه في التربية الخاصة ، كلية الدراسات التربوية العليا ، جامعة عمان العربية ، الأردن ، 2004 ، ص 4.

¹ - أحمد نبوي عبده عيسى، " زراعة القوقعة الالكترونية للأطفال الصم"، دار الفكر للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى، 2010، ص 11.

أو تشوهت فلم يصل الصوت إلى العصب السمعي لذا فإن هذا الجهاز يتخطى هذه الشعيرات لينشط العصب السمعي مباشرة.¹

أما موسوعة الارطفونيا فتعرف الزرع القوقعي على أنه تقنية موجهة للأشخاص الذين يعانون من إعاقة سمعية عميقة و لا يستطيعون الاستفادة من المعينات السمعية التقليدية باعتبار أن هذا الجهاز ينبه مباشرة العصب السمعي من خلال الكترود واحد أو عدة الكترودات مزروعة داخل القوقعة.²

و يعرف في المعجم الطبي على أنه عبارة عن الكترودات توضع جراحيا داخل القوقعة في الأذن الداخلية و يستعمل في حالة عدم فعالية المعين السمعي لحالات الصمم الإدراكي العميق سواء كان ذو أصل وراثي أو ناتج عن إصابة تسمميه للأذن الداخلية.³

2- مكونات الجهاز:

يتكون جهاز الزرع القوقعي من جزأين أساسيين ، جزء داخلي ثابت و جزء خارجي متحرك أ- الجزء الخارجي : هذا الجزء يحلل و يرمز الرسالة الصوتية إلى إشارات كهربائية التي تحول إلى الجزء الداخلي و يتكون من:

-الميكروفون: Microphone و يستقبل الأصوات و هو يشبه على العموم المعين السمعي التقليدي و يوضع على التفاف الأذن من الجهة المزروعة.

-المعالج الصوتي: le processeur vocal يزن حوالي 100 غ وظيفته تشفير و تحويل الأصوات إلى نبضات كهربائية و يحتوي كذلك على بطاريات قابلة للشحن و هي مسؤولة على توفير الطاقة اللازمة لتشغيل النظام و يمكن أن يحمل بطرق متنوعة.

-الأسلاك: les fils تستعمل لنقل الأصوات قبل و بعد المعالجة و يمكن أن تكون ذات أطوال مختلفة حسب البنية الجسمية للفرد و المكان الذي يختار أن يوضع فيها المعالج الصوتي .

-الهوائي: Antenne عبارة عن قرص يحتوي على مغناطيس في الجزء المركزي منه لكي يسمح بالتوصيل عبر الجلد و العظم ، يثبت هذا الهوائي الخارجي مغناطيسيا على الجمجمة أما حجمه و طريقة تثبيته فتختلف باختلاف نوع الجهاز المستعمل.

ب- الجزء الداخلي : يتكون من

-المنبه - المستقبل : Récepteur – Stimulateur عبارة عن كبسولة الكترونية بسمك يتراوح بين (4 إلى 8) ملم و تضم مغناطيسا يسمح بالاتصال مع الهوائي الخارجي ، وهي مسدودة بواسطة سيراميك و محمية بمادة لزجة بيضاء لسد الثغرات ، أما دورها فيتمثل في ضمان الاتصال بالهوائي الخارجي و إرسال الأصوات المشفرة إلى الأقطاب الموجودة داخل القوقعة.

²- Loundon N., & Busquet D., « Implant cochléaire pédiatrique et rééducation orthophonique », Médecine- science Flammarion, paris 2009.

³- لينا عمر الصديق ، "زراعة القوقعة" ، (د . ط) ، دار الحكمة ، جدة ، المملكة العربية السعودية، 2004.

4- Brin F., & al ; « Dictionnaire D'orthophonie », 2^{ème} édition, ortho édition, France, 2004.

1- Yves M., « le petit Larousse médical », paris 2001

-الحزمة الالكترونية : تتكون من مجموعة من الاكترودات يختلف عددها باختلاف نوع الجهاز المستعمل : توضع جراحيا داخل القوقعة ، وظيفتها نقل الرسالة إلى ألياف العصب السمعي الموجودة في الأذن الداخلية و التي تنقل فيما بعد إلى مراكز القشرة الدماغية عبر العصب السمعي.¹

3- آلية ومبدأ عمل الجهاز:

تختلف آلية عمل جهاز الزرع القوقعي عن آلية عمل المعين السمعي باعتبار أن هذا الأخير هو مجرد مكبر للصوت في حين أن جهاز الزرع القوقعي يعوض عمل قوقعة مخربة بتحويل الإشارات الفيزيائية إلى إشارات كهربائية و التي بدورها تنبه العصب السمعي . و تتم هذه الآلية على النحو التالي:

أولا يتم التقاط الأصوات بواسطة الميكروفون و الذي يحولها بدوره إلى إشارات ثم إلى موجات كهربائية يرسلها إلى المعالج الصوتي. هذا الأخير يقوم بتنبيه الالكتروودات الموجودة بالحزمة الالكتروودية و هذه الأخيرة تنبه النهايات العصبية للعصب السمعي فيرسل السيالة العصبية السمعية إلى المراكز الدماغية السمعية الموجودة بالقشرة الدماغية بمعنى أن جهاز الزرع القوقعي يقوم بوظيفة القوقعة من حيث تحويل الاهتزازات الصوتية إلى إشارات كهربائية فيقوم الجهاز بالتقاط الأصوات الخارجية و يرسلها إلى الحاسوب الذي يقوم بتحليلها و تضخيمها ، ثم ترسل الإشارة إلى القسم الداخلي المزروع و هي التي تضمن الاتصال بالجزء الخارجي و هذه القطعة لها نهاية تحمل أسلاك دقيقة جدا تدخل في القوقعة عبر النافذة المدورة و في الأخير تنتقل الرسالة إلى المراكز السمعية في الدماغ عن طريق العصب السمعي. الذي يقوم بإيصال الرسالة الكهربائية السمعية بواسطة أسلاك دقيقة إلى ألياف العصب السمعي.²

4- معايير الترشح لزراعة القوقعة الالكترونية:

تعتبر عملية اختيار المرشحين المناسبين لزراعة القوقعة من العمليات الحيوية اللازمة لنجاح استخدام مثل هذه الأجهزة بين الأفراد المصابين إذا تم الأخذ بعين الاعتبار جميع شروط الانتقاء. وقد وافقت الوكالة الأمريكية للصحة حاليا على مجموعة من المعايير لاختيار الشخص المرشح لزراعة القوقعة و يمكن تلخيص هذه المعايير في النقاط التالية.

- الصمم العصبي الحسي الشديد المزدوج.
- صغر عمر المرشح.
- عدم الاستفادة من المعينات السمعية.
- عدم وجود أي موانع طبية.
- تحمس المرشح و الأسرة.

بالإضافة إلى ذلك فقد حددت المراكز التي لها خبرة في عملية زراعة القوقعة عددا من القضايا الإضافية التي يمكن تقييمها عند اختيار المرشحين تشمل الكلام ، القدرات اللغوية و الاستعداد المعرفي و الاجتماعي. و لقد ذهب Osberger et al 1991 إلى أن السؤال الرئيسي الذي يتعلق بالمرشحين للزرع القوقعي قد انتقل من " إذا كان الطفل يصلح للترشح " إلى متى يمكن أن

¹ -- Dumant A., « Implantations cochléaires : Guide pratique d'évaluation et de rééducation », L'ortho édition, 1997, p12-14

¹- Dumant A., « Implantations cochléaires : Guide pratique d'évaluation et de rééducation », L'ortho édition, 1997, p12-21

يصبح الطفل صالحا للترشح "؟ و من اجل إعداد قائمة منظمة لكل العوامل التي ينبغي أن يراعيها مركز الزراعة للقوقعة الالكترونية عند القيام بعملية الاختيار للترشح ، يتم استخدام بروفيل Profil زراعة قوقعة الأذن للطفل و الذي طوره العاملون في مستشفى مانهاتن للعين و الأذن و الحلق كمعيار لأدوات اتخاذ القرار و يشمل على:

-العمر الزمني: حسب الدراسة التي قام بها James et al 2007 و التي تقول أن الزرع القوقعي المبكر تكون نتائجه أفضل حتى و أن جاءت تلك النتائج أقل من النتائج المسجلة عند الأطفال السامعين¹

-مدة الصمم: يتم تقييم الفترة الزمنية التي قضاها الطفل و هو يعاني من فقد سمع حسي عصبي مزدوج وفقا لعامل مدة الصمم، حيث تنعدم مظاهر القلق إذا ما كانت مدة الصمم أقل من 4 سنوات فالأطفال الذين تتراوح مدة الصمم لديهم بين عامين - ثلاثة أعوام ينتمون إلى هذه الفئة ، و غالبا ما تقل مدة الصمم بين هؤلاء الأطفال الذين أصيبوا بالتهاب السحايا في سن متأخرة. لكن هناك قلق طفيف إلى متوسط إذا كانت مدة الصمم أطول من 4 سنوات ، وتشمل هذه الفئة الأطفال المصابين بصمم خلقي أو أصيبوا بصمم في مرحلة مبكرة و لم يستفيدوا من عملية الزراعة حتى سن متأخرة. و أخيرا بالنسبة للأطفال الذين تزيد مدة الصمم لديهم عن ثمانية 8 سنوات يصبح لدينا درجة كبيرة من القلق و تشمل هذه الفئة الأطفال الذين أصيبوا بالصمم قبل مرحلة تكون اللغة ، و في هذا الشأن أظهرت الدراسات أن الأطفال بين عمر السنة إلى خمسة سنوات هم أكثر من يستفيد من الجهاز و خاصة بعد تزويدهم ببرنامج تأهيل مدروس بعد العملية. باعتبار أن طول مدة الصمم تقلص المكاسب المرجوة من الجهاز.²

-النتائج الطبية الإشعاعية: يتم تقييم العوامل الطبية الإشعاعية لكل طفل يتعرض للفحص من أجل عملية الزرع القوقعي ، كما يتم تحديد وجود أي عيوب أو تشوهات فطرية أو مكتسبة في قوقعة الأذن أو أي مشكلات صحية شديدة ، كما يتم تقييم الأسباب المرضية لفقدان السمع إذا كانت معلومة . أما الأطفال الذين أصيبوا بالصمم عقب إصابتهم بالتهاب السحايا فغالبا ما يعانون من تضخم في قوقعة الأذن و هو تضخم غير عادي في عظمة القوقعة التي قد تحد من عدد الأقطاب التي يمكن إدخالها إلى الأذن الداخلية ، كما قد تمنع قوقعة الأذن المشوهة نتيجة لتشوهات فطرية أو مكتسبة من الإدخال الكامل لكل الأقطاب وقت الجراحة فعندما ينخفض عدد الأقطاب بحدة عند إذ قد ينخفض أداء الطفل هو الآخر بالإضافة إلى ذلك يجب التأكد من سلامة ألياف العصب السمعي بواسطة اختبارات خاصة باعتبار أن سلامة ألياف العصب السمعي من الشروط الأساسية لنجاح عملية الزرع القوقعي.³

-حالات الإعاقة المتعددة: يعتبر وجود أي إعاقة ثانوية سواء كانت خلقية أو مكتسبة من الصعوبات التي قد تواجه الفريق الطبي في اتخاذ القرار بشأن الترشح لعملية الزرع باعتبار أن الإعاقات المتعددة عند نفس الشخص من شأنها أن تنعكس سلبا على النتائج المتوقعة من عملية الزرع . وعلى اثر ذلك ينصح حاليا مركز زراعة قوقعة الأذن بمستشفى مانهاتن للعين ، الأذن و الحلق بعدم إجراء العملية للأطفال الذين يعانون من إعاقة ثانوية حادة ، و على الرغم من وجود بعض المراكز التي قامت بإجراء عمليات الزرع على الأطفال المصابين بإعاقات إدراكية ثانوية إلا أن النجاح الذي حققه هؤلاء الأطفال كان محدودا.

¹ - Scarbel, L., « Production de parole et perception de sons et de parole par les enfants sourds porteurs d'un implant cochléaire » Mémoire de master — Sous la direction de Anne VILAIN, UFR Sciences du Langage, Université Stendhal, France 2011.

² - أحمد نبوي عبده عيسى، مرجع سابق، ص 50 - 51.

³ - Chute P., & Nevins M., « School Professional Working with Children with Cochlear Implant », Plural Publishing, CA, USA, 2006.p120.

-القدرة السمعية الوظيفية: يتولى عامل القدرة السمعية الوظيفية تقييم مدى صدق و ثبات نتائج الاختبارات السمعية و المعينات السمعية ، لذا فالأطفال المرشحون لعملية الزرع القوقعي هم الأطفال الذين لم تسجل لديهم أي تطورات على مستوى النطق بعد استعمال المعينات السمعية مع الخضوع للتأهيل الخاص و لمدة ستة أشهر على الأقل. كما تحدد القدرة السمعية للأطفال الذين يثيرون قدرا كبيرا من القلق مجموعتين متميزتين. حيث تتكون المجموعة الأولى من هؤلاء الذين يمتلكون بقايا سمعية مهمة و لا يظهرون مهارات سمعية مكافئة . وقد يدل الافتقاد إلى هذه القدرة الإدراكية السمعية على الرغم من الاستجابات الجيدة نسبيا إلى المعينات السمعية على وجود مشكلة في المعالجة السمعية . و هكذا لا يتمكن هؤلاء الأطفال من استخدام الإشارات الواردة من قوقعة الأذن التي يتم زراعتها لذا ينبغي صرف النظر عن ترشيحهم لإجراء الزراعة. و تتكون المجموعة الثانية من الأطفال الذين يثيرون قدرا كبيرا من القلق بشأن تلقيهم لعملية الزراعة من هؤلاء الذين يظهرون أي استجابات سمعية . و غالبا ما يكونون من هؤلاء الذين أصيبوا بالتهاب السحايا و بالتالي يعرضون درجة كبيرة من التضخم في قوقعة الأذن. و هذا ما قد يتسبب في الانخفاض من درجة الاستفادة من عملية الزرع القوقعي ، لذا ينبغي تقديم الاستشارة الواعية إلى الآباء حول إمكانية وجود استجابة منخفضة.¹

-الدعم العائلي: يتم تقييم اشتراك الأسرة في كل إجراءات عملية إعادة التأهيل بموجب مكون الهيكل والدعم الأسري ، و يعتبر قبول فكرة إصابة الطفل بالصمم محددًا هامًا في تحديد المرشحين لزراعة قوقعة الأذن. كما يتم تقييم تطلعات الأسرة بشأن المكاسب المرجوة من زراعة القوقعة ، و على الرغم من أن العديد من الآباء يقولون أنه لا يعنهم إلا عامل الأمان ، كأن ينتبه الطفل مثلا إلى جرس السيارة إلا أن بعض الأسئلة المتعمقة قد تكشف عن وجود آمنيات و رغبات أرقى . في حين أنه ينقص قلق الأولياء حين يدركون أن عملية الزراعة لن تعوض الأذن الطبيعية بأي شكل من الأشكال حيث أن هذا القلق يزداد كلما توقع أو انتظر الأولياء بأن عملية الزرع القوقعي سوف تعيد للطفل سمعه الطبيعي . لذا أصبح من الواضح أن مثل هذه القضايا ينبغي حسمها عن طريق تقديم الاستشارة قبل إجراء عملية الزرع القوقعي للطفل. و هذا ما وضحته الباحثة Viroles (2007) S. D بأن جهاز الزرع القوقعي مهم و ذا فائدة بالنسبة للأسرة حيث يمكن الأولياء من التصدي إلى المخاوف المرتبطة بالحوادث الناتجة عن الإعاقة السمعية . فجهاز الزرع القوقعي يتغلب على هذه المخاوف باعتبار أن الطفل بإمكانه الانتباه إلى الأصوات منذ الاستفادة من الجهاز و بداية التنشيط الإلكتروني²

5- خطوات زراعة القوقعة الالكترونية:

تمر زراعة القوقعة الالكترونية بثلاث خطوات أساسية هي:

أ- مرحلة ما قبل العملية الجراحية: تشمل هذه المرحلة الخطوات التالية:

- إجراء اختبارات سمعية و طبية متتابعة قبل إجراء الجراحة لتقييم مدى الاستفادة من عملية الزرع القوقعي و تتمثل هذه الاختبارات في (الفحص الطبي، التحاليل الطبية، أشعة مقطعية IRM التصوير الإشعاعي فحص الجهاز السمعي، إجراء القياس السمعي PEA ، فحص جهاز النطق).

¹ - أحمد نبوي عبده عيسى، " زراعة القوقعة الالكترونية للأطفال الصم"، دار الفكر للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى، 2010، ص 11.

² - Scarbel، L.، 2011، loc cit، p50.

- إجراء اختبارات نفسية و سلوكية تشمل (اختبار القدرات العقلية العامة، الاختبار الارطفوني الفحص النفسي ، اختبار تطور المهارات الجسمية و الحركية العامة ، اختبار تطور المهارات الاجتماعية...).
- إجراء مقابلات مع المرضى و أهاليهم يتم من خلالها عرض كافة المعلومات الضرورية عن عملية الزرع القوقعي، كيفية حدوثها ، مزاياها و سلبياتها المحتملة. ومن نتائج المرحلة الأولى يخرج فريق العمل بتصوّر مبدئي عن حاجة الطفل للزرع القوقعي ، و يترك القرار النهائي في الترشيح لما بعد استفادة الحالة من برنامج التهيئة و التحضير و الخروج بنتائج واضحة و نهائية .

ب- مرحلة الجراحة و النقاهة:

بعد التأكد من عدم وجود عوائق جراحية طبية أو تشوهات خلقية تمنع إجراء العملية الجراحية يتم بعد ذلك تحضير الطفل للعملية الجراحية التي تتم بالتخدير العام و تستغرق حوالي ثلاث 3 ساعات للأذن الواحدة باعتبار أن عدد الالكترودات المزروعة في القوقعة و الوضعية التي يتخذونها جد مهمين في الحصول على أفضل النتائج الممكنة. كما تتشابه الأساليب الجراحية المستخدمة لزراعة القوقعة بغض النظر عن نوعية الجهاز الذي تم اختياره ، على الرغم من وجود بعض الفروق الطفيفة التي قد تظهر بين الجراحين و المتعلقة بحجم و شكل الجرح ، إلا أن المبادئ الأساسية في الجراحة تظل نفسها. حيث يتم حلق الشعر الموجود خلف الأذن و القيام بشق الجلد ، و يقوم الجراح برفع طبقة من الجلد للكشف على العظم الناتئ خلف الأذن . و تستخدم طريقة ثقب العظمة الناتئة خلف الأذن بعد تحديد العصب الوجهي كعلامة للدخول إلى قوقعة الأذن و بعدها تأتي فترة النقاهة حيث تعتبر الأسابيع الأولى هي الفترة الأصعب من العملية مما يحتم على الفريق الطبي تقديم برنامج مكثف يتضمن نوع من التدريب و المعالجة النفسية بسبب مشاعر الخوف و القلق التي يشعر بها المريض من نتائج العملية الجراحية . لذا ينبغي أن تمنح المتابعة الجيدة لما بعد الجراحة مع الاهتمام بموضع الجراحة و المشكلات التي قد تنشأ لذا لا بد أن يقوم الطبيب بمتابعة الطفل بشكل منتظم لتجنب حدوث مضاعفات للأذن و إذا حدث ذلك فلا بد من اطلاع الجراح الذي قام بالعملية الجراحية على ذلك.

ج- مرحلة إعادة التأهيل:

تتم برمجة حصص إعادة التأهيل بعد تقريبا 06 أسابيع من العملية الجراحية أي بعد التئام الجرح و بداية تنشيط الالكترودات المزروعة داخل القوقعة و ذلك باستخدام استراتيجيات مناسبة لكل حالة على حدة و التأكد من أن الجهاز قد برمج على أفضل و أدق وضع لخدمة الحالة ، و بعدها يتم إخضاع الحالة إلى مجموعة من البرامج المصممة للتكفل بمثل هذه الحالات.

6- الأطراف المتدخلة في الزرع القوقعي:

ورد في أدبيات علاج الإعاقة السمعية أن هناك فريقا متكاملًا لزراعة القوقعة كما وردت في (ASHA) و هي نشرة الجمعية الأمريكية للنطق و اللغة و السمع و هم على النحو التالي:

أ- اختصاصي التأهيل السمعي: الذي يقوم بعملية التأهيل بحسب المنهجية التواصلية التي يتبناها و التي تتناسب مع قدرات و احتياجات الطفل.

ب- المختص الارطفوني: يقوم هو الآخر بإعادة التربية السمعية و بعملية تصحيح النطق و تنمية اللغة الشفوية سواء قبل العملية أو بعد العملية أين يكون تركيزه على التربية السمعية محاولا بذلك ربط المعنى بجميع أنواع الأصوات و المنبهات السمعية.

ج- الأخصائي النفسي: يعمل الأخصائي النفسي على مرافقة كل من الحالة و الأولياء سواء قبل العملية أو بعدها و محاولته لربط علاقة الثقة بين الطفل و ما يقدمه الجهاز بالإضافة إلى توجيه الأولياء أثناء مراحل التكفل باعتبارهم من الأطراف الأساسية المساهمة في عملية نجاح الزرع القوقعي.

د- الأخصائي التربوي: غالبا ما يتدخل الأخصائي التربوي في المرحلة ما بعد الزرع القوقعي من خلال محاولته لتصميم برامج تتماشى و القدرات السمعية للحالة و تتماشى و التنشيط الالكترودي المستمر بالإضافة إلى المساعدة التي يقدمها أثناء عملية الدمج المدرسي. بالإضافة إلى ذلك هناك عدة أطراف أخرى تتدخل في عملية الزرع و المتمثلة في:

- مختص الأنف و الأذن و الحنجرة.
- مختص في القياسات السمعية.
- مختص في الأعصاب.

7- أنواع أجهزة الزرع القوقعي:

تنقسم الأجهزة بشكل عام إلى:

- أ- أجهزة داخل القوقعة: حيث يتم إدخال الالكترودات إلى داخل القوقعة عبر النافذة المدورة و هي الأكثر فعالية.
- ب- أجهزة خارج القوقعة: تطبق الالكترودات على سطح العظم المسمى (الخرشوم) دون أن تدخل إلى داخل القوقعة أما فعاليتها فهي محدودة و متناقصة مع الزمن و سعرها أقل بكثير من السابقة.
- ج- أجهزة وحيدة القناة: و هي تحوي على مسرى كهربائي واحد كما أنها قليلة الفعالية.
- د- أجهزة متعددة الأقبية: و هي الأكثر فعالية مقارنة ببقية الأجهزة الأخرى و تحتوي على عدد متفاوت من الالكترودات يختلف باختلاف الشركة المصنعة للجهاز ، و من أهمها:

• جهاز Med-el: من صنع ألماني.

يعتبر أول زرع قوقعي متعدد الالكترودات استعمل منذ 1994. و في 2003 ظهر نظام combi 40+ استعمل في أكثر من 70 دولة أي أكثر من 13000 شخص في العالم يحمل الجزء الخارجي المكون من المعالج الصوتي tempo+ كما أن نسبة الأطفال تفوق 60 %¹

• جهاز Advanced bionics – Clarion: من صنع أمريكي.

هو جهاز قريب من الجهاز الفرنسي من حيث عدد المكونات و لكن الأجزاء المكونة له اكبر حجما من الجهاز الفرنسي و معروض بنسبة قليلة ، و مكون من خمسة عشر 15 الكترود لكنه غير مستعمل بكثرة عند الطفل.

¹ - Radafy E., « Etat de lieu de l'implantation cochléaire aujourd'hui », revue rééducation orthophonique, implantation cochléaire n°217, 2004, p20.

- جهاز Spectra de Cochleaire: من صنع أسترالي.

كثيرا ما يحمل التسمية القديمة Nucleus و هو الأول من حيث الاستعمال ، منذ 1986 و يحتوي هذا الجهاز على اثني عشر 12 الكترود.و هو الآن من أكثر الأجهزة تسويقا في العالم.

- جهاز Digisonic : من صنع فرنسي.

يعتبر الأكثر حداثة ، لكن تقنيته ترجع إلى أكثر من 15 سنة مضت ، عرض في فرنسا و العديد من الدول الأوروبية منذ 1999. و يعتبر الجزء المستقبل منه من اصغر الأجزاء حجما مقارنة ببقية الأجهزة و هذا ما يجعل منه سهل الاستعمال بالنسبة للطفل¹.

8- آلية ضبط وتعديل جهاز الزرع القوقعي:

تبدأ عملية التنشيط و الضبط الالكترودي عموما من 5 إلى 6 أسابيع بعد إجراء العملية الجراحية و ذلك مع زوال آثار الجراحة. فعملية تكييف المعالج الصوتي مع التنشيط الالكترودي يتطلب ضبط خاص و فردي يتوقف على خصوصيات كل حالة . و تتم هذه العملية من طرف طبيب الأذن و الأنف و الحنجرة أو المختص الصوتي أو المختص الارطفوني أو المهندس و ذلك من خلال برنامج معلوماتي خاص بهذه العملية . فكل الكترود يتم تنشيطه بالتنسيق مع الاستجابة الشخصية للحالة، و المعلومات السمعية المقدمة من طرف الالكترودات النشطة في هذا التنشيط الأول تتطلب ربطها بالمعني لتلك الأصوات المسموعة بالجهاز و هذه العملية تكون جد معقدة خاصة عند الطفل المصاب بصمم قبل اكتساب اللغة و لهذه الأسباب الأطفال لا يستجيبون جيدا للأصوات في أول تنشيط للالكترودات خاصة و أن هذه الخطوة كثيرا ما ينتظرها الطفل و الأولياء معا.²

و تصل عدد الحصص التي يتم فيها الضبط و التعديل من 10 إلى 12 حصة في السنة الأولى و هي تختلف من شخص لأخر حسب سن الحالة و نوع الصمم كما تكون الحصص متقاربة في البداية ثم تبدأ بالتباعد شيئا فشيئا في السنوات اللاحقة . و بالنظر للتحسن في عملية السمع التي يوفرها جهاز الزرع القوقعي يسمح ذلك بإعطاء فرص أكبر لتحسين عملية التواصل الشفوي . حتى و إن لم تكن هذه الكفاءة متساوية عند كل الأشخاص الحاملين للجهاز و السبب في ذلك راجع لمجموعة من العوامل أهمها عملية ضبط جهاز الزرع القوقعي باعتبار انه من الصعب الوصول إلى ضبط دقيق للجهاز بسبب تعدد العوامل المتسببة في ذلك بالإضافة إلى الصعوبات التي يجدها المصاب في ترجمة إحساساته السمعية.³

¹ service ORL –Hopital St-Antoine «Réhabilitation des surdit  profonde par l'implant cochl aire Digisonic » Notice d'information destin e aux patients souffrant de surdit  profonde ou de surdit  s v res et/ ou a leurs famille , paris.p15.

² A. Dumont.,loc cit ,p22-23

³ « Aide au param trage d'implant cochl aire par algorithme  volutionnaire » journal sur , & Collet P., Bourgeois C.-3 2004p -63., France.,Universit  de Bourgogne.Vol3,l'enseignement des science et technologies de l'information et des systemes

9- إستراتيجية التأهيل السمعي للأطفال الحاملين لجهاز الزرع القوقي:

يقصد بالتأهيل السمعي تنمية مهارة الاستماع و التمييز بين الأصوات و الكلمات لدى الأفراد المعاقين سمعياً باستخدام الطرق و الدلائل المناسبة ، و خاصة الدلائل البصرية و المعينات السمعية التي تساعد في نجاح هذه الطريقة.¹

و تفيد التجربة أن عمر الطفل وقت زرع القوقعة يحدد ما إذا كان الهدف من البرنامج السمعي هو إعادة التأهيل أو التأهيل . و بعبارة أخرى هل يؤكد البرنامج على التربية أو إعادة التربية ؟ و مما لا شك فيه أن مستخدم الجهاز الذي أصيب بالصمم بعد مرحلة تكوين اللغة سوف يستفيد من التدريب في تكوين ممرات سمعية لمعالجة الصوت في حين المصاب بالصمم قبل اكتساب اللغة سوف يتبع مجموع المراحل التي يمر بها الطفل في تكوين ذاكرته السمعية. و هذا ما جعل من المختصين في الضبط الالكترودي يفضلون أن يكون الطفل الأصم قد استفاد من التربية السمعية ولو شهر على الأقل قبل العملية لكن البعض الآخر يرى أن ذلك يجب أن يكون بالموازاة مع الضبط الالكترودي و التكفل الارطفوني و المتابعة الأسرية. أما في حالة الصمم الخلقي فالطفل مباشرة مع أول ضبط للالكترودات يتم توجيهه للتكفل الارطفوني الذي يهدف في بدايته إلى كشف العالم الصوتي من خلال التربية السمعية ، و لهذه الأسباب تم إنشاء الكثير من البطاريات في التحليل السمعي تهدف جميعها إلى تحقيق ثلاثة أهداف أساسية هي:

- تقييم المستوى الأولي للتحليل السمعي للطفل مباشرة بعد أول ضبط الكترودي.
- متابعة التطور بالنظر لفترات الضبط المتتالية.
- انتقاء و تكييف برنامج إعادة التربية يتوافق مع قدرات الحالة.²

و يتمثل الهدف النهائي لممارسة التربية السمعية في الفهم من خلال الاستماع. ومع ذلك ينبغي الاعتراف أن تنمية المهارات السمعية دائماً ما تقع داخل إطار السياق اللغوي و مع ذلك لا بد من فهم العلاقة اللغوية / السمعية من أجل ترجمة الأداء في الميدان السمعي. فقد لا يتمكن الطفل الذي يمتلك إشارات أو مفردات كلامية أولية من المشاركة في مهام الاستماع التي تتطلب المزيد من فهم اللغة. وقد يمتلك هذا الطفل القدرة على الاستماع و لكنها تظل غير فعالة لأن قيود النظام اللغوي لن تسمح بتقييمها.³ و نتيجة لذلك فقد وجب إتباع مجموعة من الخطوات في التربية السمعية بهدف تحقيق النتائج المرجوة و تتمثل هذه الخطوات في :

أ- تقبل الجهاز: أول خطوة لنجاح التربية السمعية تكمن في العمل على تقبل الجهاز فبدونه لا يستطيع الطفل تنمية قدراته السمعية بالإضافة إلى الحرص على حمل الجهاز في أغلب أوقات اليقظة.⁴

ب- تنمية الانتباه السمعي: في هذه المرحلة يكتشف الطفل العالم الصوتي و يكتشف أن الأشياء المحيطة به يمكن أن تكون مصادر لمختلف الأصوات فنقوم بجلب انتباهه من خلال حركات بسيطة مثل سحب الكرسي باب الغرفة ينغلق بسرعة ، الكتابة في السبورة ، إسقاط بعض الأشياء ، تمزيق الورق بالمقص ، طرق المسامير ... الخ . و في كل مرة نطلب من الطفل ماذا

¹- فؤاد عيد الجوالدة و مصطفى نوري القمش ، " البرامج التربوية و الأساليب العلاجية لذوي الاحتياجات الخاصة " ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن الطبعة الأولى، 2012. ص157.

²- A Dumont. loc cit , p37-40.

³- أحمد نبوي عبده عيسى ، مرجع سابق ، ص114

⁴- Busquet D., Mottier C., « L'enfant sourd. développement psychologique et rééducation », Bailliere , paris, p203

سمع ؟ كما يمكن استعمال المسجل الصوتي خلال هذا التدريب لتنوع الإصدارات الصوتية و استعمال حتى بعض أصوات الحيوانات.¹

ج- التمييز بين وضعية السكون واللاسكون: من خلال مجموعة من التمارين يتمكن الطفل من التمييز بين وضعية السكون واللاسكون و من أهم هذه التمارين ما يلي:

- عمل حلقة مغلقة مع الأطفال حيث يدور الأطفال بتتبع موسيقى ما و الجلوس عند توقفها.
- تحرك الكرة طالما هناك صوت و التوقف عند توقفه.
- الرقص على إيقاع موسيقى معين و التوقف عند توقف هذا الإيقاع.

كل هذه النشاطات تنمي وظيفة الانتباه السمعي و تساعد الطفل على التركيز و التدقيق . حيث يستعمل كل قدراته الإدراكية منها الإدراك البصري ، التنظيم الحركي و الإدراك الزمني .

د- التعرف على مصدر الصوت: التوجه نحو الصوت يعني تحديد المنبع الصوتي في الفضاء . و التحديد الكامل للمصدر الصوتي يشمل تحديد الارتفاع (أي ارتفاع الصوت عن السطح) و تحديد الاتجاه (مقابل ويمين أو يسار) و يضاف إلى ذلك تحديد المسافة التي صدر منها الصوت فالشخص الذي يسمع بأذن واحدة فالأذن السمي لمصدر الصوت يتطلب حركة صغيرة بالرأس لكن الشخص إلي يسمع بالأذنين فيركز في التعرف على المصدر الصوتي من خلال الاختلاف المسجل في وصول الموجات الصوتية إلى الأذن سواء اليمنى أو اليسرى حيث أن الصوت الصادر من الجهة اليمنى تصل أمواجه إلى الأذن اليمنى قبل اليسرى فيتم التعرف على اتجاهه.²

و تستغرق هذه العملية وقتا قد يختلف من طفل إلى آخر فالبعض يتمكن بكل سهولة من تحديد مصدر الصوت في حين البعض الآخر يجد صعوبة في ذلك و يخضع نجاح هذه العملية بنجاح العمليات الأخرى و التي من أهمها التعرف على الأصوات و تمييزها . و من التمارين المطبقة خلال هذه العملية ما يلي:

- وضع أدوات مرسله للأصوات مثل ساعة البيت ، المذياع ...الخ في أماكن لا يمكن أن يراها الطفل و نطلب منه تعيين اتجاه الصوت.

- مناداة الطفل من مختلف الأماكن.

- إرسال أصوات مختلفة حول الطفل (أمام ، وراء ، خلف ، فوق ، يمين ، يسار) و نطلب منه تحديد مصدر الصوت.

هـ- التمييز بين الأصوات : و يتم خلال هذه المرحلة التمييز بين الصوت الطويل والقصير ، القوي و الضعيف ، الحاد و الغليظ و ذلك من خلال عدة تمارين معدة لهذا الغرض و التي يمكن إيجازها فيما يلي:

- نضع الطفل في العربة نسير به بصورة غير منقطعة عندما يتم بث صوت طويل ثم نسير به بصورة منقطعة عندما يبت صوت قصير.

- إصدار أصوات طويلة و أصوات قصيرة و تمثيل تلك الأصوات على ورق مقوى أحدهما عليه خط غامق طويل ليدل على الصوت الطويل و الآخر عليه خط غامق قصير ليدل على الصوت القصير و المطالبة من الطفل أن يميز بينهما.

¹ - David R M. « Le développement du langage, Guide pratique » la liberté Inc. Québec , Canada, 1980, p71

² - Gribenski A. « L'audition », Que sais je, puf. 4^{ème} édition 1975. p67-48

- استعمال مكعبات ونعمل على إبعادها عن بعضها البعض عند سماع الصوت الطويل و تقربها من بعضها البعض عند سماع الصوت القصير.
- نطلب من الطفل التوجه إلى الكرة الصغيرة عند سماع صوت ضعيف و التوجه إلى الكرة الكبيرة عند سماع الصوت القوي.
- الوقوف و رفع الذراعين عند سماع صوت حاد و الوقوف بدون رفع الذراعين عند سماع صوت غليظ.
- التتبع بالإصبع سلم خيالي لترسيخ فكرة الارتفاع في الصوت الحاد و الانخفاض في الصوت.

و بعد أن يتمكن الطفل من التمييز بين كل هذه الأصوات يصبح التحليل السمعي لديه أكثر دقة مع تطور التربية السمعية و استمرار عملية الضبط الالكتروني ، و الهدف من هذا التحليل و التمييز السمعي الدقيق هو إيصال الطفل إلى مرحلة تمكنه من تمييز الأصوات اللغوية عن بعضها البعض . و لتحقيق هذا الهدف فعلى الطفل أن يكون قادرا على إدراك مختلف خصائص الكلام لذا يجب التمرن أكثر على التعرف على خصائص الصوت من شدة و ارتفاع و طابع و إيقاع.¹

و- إدراك الإيقاع و الشدة و الارتفاع: قد يجد الطفل الأصم صعوبة كبيرة في إدراك الإيقاع لكن و بعد التجهيز أصبح من الضروري القيام بعدة تدريبات للوصول إلى عملية الإدراك الإيقاعي . الإيقاع الأولي هو المشي حيث نأخذ الطفل من يده و بخطوات صغيرة نقوم بإيقاعات باستعمال الحذاء أثناء المشي، بعد ذلك كل خطوة تكون مرافقة لدقة باليد و بعد ذلك يبدأ المختص بتنوع الإيقاعات من خلال تنوع الضربات باليد و على الطفل أن يكرر نفس الإيقاع. في البداية يكون باستعمال المجال البصري بعدها بالسمع فقط. كأن يقوم الفاحص بالضرب تحت الطاولة إيقاعات مختلفة و يطلب من المفحوص إعادة نفس الإيقاعات كما يمكن كذلك استعمال القراءة الإيقاعية و التي تتطلب رسم بعض المخططات الإيقاعية على الورق و بعد الضرب تحت الطاولة لنموذج معين نطلب من الطفل أن يعين النموذج الصحيح من بين النماذج المقدمة أمامه. و القيام بالعملية العكسية كذلك كان يصبح الطفل مكان المختص و المختص مكان الطفل و نفس الخطوات و نفس المنهجية تتبعها في إدراك الشدة و إدراك الارتفاع.

و تمثل جميع هذه الخطوات المرحلة الأولى في إعادة التربية السمعية و التي تركز على الأصوات البيئية و الأصوات الطبيعية و بعدها يمكن القول بأن القدرة على الإدراك السمعي و الذاكرة السمعية للطفل قد تطورتا بشكل يسمح بتحويل هذه المكتسبات إلى مستوى الأصوات اللغوية و الكلام.²

ز- التعيين: خلال هذه العملية يطلب من الطفل الاستماع إلى إحدى الأشياء من بين مجموعة من الأشياء المتشابهة و بعد ذلك يطلب منه تعيين الشيء أو الكلمة الهدف . كما ينبغي العمل على زيادة تعقد المستوى اللغوي المستخدم إذا كانت القدرات اللغوية للطفل تدعم ذلك . و لا يقتصر أثر مستوى لغة الطفل على النشاط نفسه فقط بل ينبغي أن تكون تعليمات المشاركة في النشاط في نطاق القدرة اللغوية للطفل.

ك- الفهم السمعي: يمثل الفهم السمعي للغة أرقى مستوى للاستماع و يطلق "روبينز" 1994 على هذه المهارة مصطلح " التفكير أثناء الاستماع". فعندما يطلب من الطفل أن يفكر أثناء الاستماع، فلا بد أن يصدر حكما أو يتخذ قرارا بشأن ما سمعه، ثم يقوم بإنتاج استجابة لفظية لا تقتصر على مجرد تكرار المثير و يمكن أن تكون الاستجابة واحدة من مجموعة مغلقة، و لكن غالبا ما تكون استجابة جديدة تمثل نتيجة لفهم ما تم سماعه.

¹ - Busquet D., Mottier C., loc cit, p203

² - David R.M., loc cit, p74-80

إن الهدف الرئيسي من الزرع القوقعي هو تنمية القدرة على إدراك وإنتاج الكلام ، لهذا ينبغي استخدام الكلام الذي له معنى كمدخلات لمهام الاستماع كما ينبغي تشجيع الطفل للاستجابة للأصوات البيئية التي تحدث بشكل طبيعي في المنزل و المدرسة ، و مع نمو مهارات الاستماع خلال مرحلة ما بعد عملية الزرع من الأمور التي لها أهمية قصوى في أن يربط الطفل العلاقة بين السمع و الكلام حتى يتمكن من توظيف قدراته السمعية الجديدة في إنتاج الكلام¹.

و تعتبر هذه المرحلة من أهم المراحل فكلما زادت قدرة الطفل على التمييز بين الأصوات و في وقت مبكر كلما كانت مهارات النطق لديه أفضل و كان كلامه أوضح . و من أهم التدريبات المقدمة في هذه المرحلة ما يلي:

- إتباع الأوامر المكونة من عدة خطوات: حيث يتم تدريب الطفل على تنفيذ الأوامر ابتداء بالأوامر المكونة من خطوة واحدة مثل: ضع الكتاب فوق الطاولة؟ ثم خطوتين مثل : خذ الكتاب من فوق الطاولة واجلس على الكرسي؟ ثم ثلاثة خطوات مثل: خذ الكتاب من فوق الطاولة و خذ القلم من المحفظة و اجلس على الكرسي؟
- التعرف عن طريق الوصف: تتم تنمية قدرة الطفل على التعرف على الأشياء عن طريق الاستماع مثل: يوجد حيوان كبير لونه أبيض و أسود و نأخذ منه الحليب. ما هو؟ فهذه المهارة تزيد من قدرة الطفل على فهم الكلام عن طريق الاستماع.
- الاستجابة للمحادثة الكلامية: تتم تنمية قدرة الطفل على الاستجابة للأسئلة عن طريق السمع أثناء محادثته عن اهتماماته اليومية مثل : ماذا فعلت اليوم ؟ متى رجعت من المدرسة؟ و غيرها من الأسئلة.
- مناقشة موضوع مألوف: تتضمن مهارة الطفل على إجابته على الأسئلة حول موضوع ما مثل لماذا تحب أن تسافر ؟ و تعتبر هذه المهارة أصعب من سابقتها لأنها تتضمن أسئلة يسميها الطفل لأول مرة.
- التتبع السمعي للكلام: تتضمن تدريب الطفل على إعادة جمل كلامية تبدأ من كلمتين و ثلاث كلمات و تزداد لتصبح ست إلى سبع كلمات . و ذلك عن طريق السمع فقط ن و تساهم هذه المهارة في تحسين قدرة الطفل على اكتساب التراكيب اللغوية المعقدة التي لا تظهر في الجمل القصيرة كالضمائر و ظرف الزمان و المكان و أدوات التعليل و غيرها، كما تساهم في تحسين نوعية كلام الطفل و تنمية قدرته التعبيرية².

و نتيجة لما سبق تقديمه يمكن القول أن على المختص الأروطوني أن يكون على دراية بجميع خطوات الإدراك السمعي و اللغوي و أن الانتقال من خطوة إلى أخرى يكون بطريقة مسترسلة حيث أنه لا يجب أن نتقيد كلية بهذه الخطوات بل بإمكاننا أن نطبق عدة خطوات في نفس الوقت ، لكن يجب أن نعرف كيف نرجع إلى خطوة سابقة إذا رأينا أنها ذات أهمية. أو كيف نقفز إلى خطوة أخرى إذا رأينا أن هناك صعوبات كبيرة في الخطوة السابقة. و خلاصة القول أن أغلبية الأطفال المستفيدين من عملية الزرع القوقعي يدركون سريعاً الأصوات البيئية لكن القدرة على تمييز هذه الأصوات و التعرف عليها يستغرق وقتاً طويلاً لاكتسابه³.

أحمد نبوي عبده عيسى ، مرجع سابق ، ص 119-122¹.

²- عبد الرحمن محمد خير نقاوة ، " فاعلية برنامج تأهيل سمعي لفظي في تحسين مهارات النطق لدى الأطفال مستخدمي جهاز زراعة الفوقعية السمعية الالكترونية في عمر ما قبل المدرسة بالملكة العربية السعودية"، رسالة دكتوراه في التربية الخاصة ، كلية الدراسات التربوية و النفسية العليا ، جامعة عمان العربية ، الأردن ، 2010. ص 24_25.

³ - Loundon N., & Busquet D., « Implant cochléaire pédiatrique et rééducation orthophonique », Médecine- science Flammarion, paris 2009.P57-58

12- نتائج الزرع القوقعي:

تتوقف نتائج نجاح عملية الزرع القوقعي على توفر الشروط التي تسمح بالقيام بالعملية إلا أن هذه النتائج تختلف باختلاف عدة عوامل أهمها:

أ- عمر الطفل عند الإصابة بالصمم: و يعتبر من أهم العوامل في تحديد النتائج، فالأطفال الذين صاروا صما بعد اكتساب اللغة يمكنهم بسهولة و بسرعة أن يربطوا الأصوات الجديدة المستقبلية بالجهاز بما لديهم في الذاكرة الصوتية. أما الأطفال الذين ولدوا أو صاروا صما قبل اكتساب اللغة تكون عملية التأهيل لديهم أطول و أصعب.

ب- مدة الصمم: كلما طالت مدة الصمم كلما تراجعت الذاكرة السمعية.

ج- نوع الاتصال: تسمح طرق التواصل الشفوي و الكلي بتحقيق نتائج أفضل في عملية التأهيل بعد الزرع القوقعي.

د- تباين عدد ألياف العصب السمعي السليمة: أسباب الإصابة قد تفسر النتائج المحدودة عند بعض الأشخاص.

هـ- نوع الجهاز المستعمل: قد يفسر 40 % من الاختلاف في نتائج اختبارات التعرف على الكلمات الشفوية و الأصوات اللغوية¹.

كما أن قدرات الإدراك و الفهم للكلام تتطور مع مرور سنوات الزرع و هي على النحو التالي:

- بعد بضعة أسابيع من الزرع يتم التعرف على العالم الصوتي .
- بعد سنة إلى سنتين من الزرع يتم التعرف على الكلمات و الجمل البسيطة في قوائم مغلقة.
- بين سنتين و ستة سنوات يتم التعرف على الكلمات و الجمل في قوائم مفتوحة.
- بعد ستة سنوات يكون احتمال استمرارية التطور في القوائم المفتوحة دون المساعدة على قراءة الشفاه.

أما قدرات إنتاج الكلام فتتطور بالتوازي مع الإدراك السمعي و تطوره.

خاتمة:

لقد ساهمت البحوث التكنولوجية الحديثة تقديم الكثير من الحلول لتسهيل المهمات الحياتية اليومية للمعاقين سمعياً، و من أهم هذه الحلول ظهور ما يسمى بجهاز الزرع القوقعي هذا الأخير الذي يعمل على تعويض النقص السمعي للمعاق سمعياً من خلال التنبيه المباشر للعصب السمعي بواسطة حزمة من الإلكترودات تغرس داخل القوقعة، و من خلال عرض إستراتيجية التأهيل السمعي و أهميتها في تنمية اللغة الشفوية عند الطفل الحامل لجهاز الزرع القوقعي و من خلال توضيح دور و أهمية المختص الارطفوني في التكفل بهذه الفئة يمكننا القول أن جهاز الزرع القوقعي يقدم فرصة جيدة لتنمية القدرة السمعية و المهارة اللغوية الشفوية الا انه لا يعتبر إنجازاً في حد ذاته إن لم تؤخذ الكثير من الشروط و عوامل النجاح بعين الاعتبار سواء قبل العملية أو بعدها، كما أن ثلاثون (30) إلكتروداً مزروعا داخل القوقعة لا يمكنها بأي حال من الأحوال تعويض 40000 خلية شعرية في الأذن الطبيعية و التي تعمل على تنبيه نهايات العصب السمعي.

قائمة المراجع:

قائمة المراجع باللغة العربية:

1- أحمد نبوي عبده عيسى، " زراعة القوقعة الالكترونية للأطفال الصم"، دار الفكر للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى، 2010.

¹ - Bouton C.P., « Le développement du langage Aspect normaux et pathologiques » Masson, paris 2eme édition , 1997, p65.

2- فؤاد عيد الجوالدة و مصطفى نوري القمش ، " البرامج التربوية و الأساليب العلاجية لذوي الاحتياجات الخاصة " ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن الطبعة الأولى، 2012.

3- ليلى عمر الصديق ، "زراعة القوقعة" ، (د . ط) ، دار الحكمة ، جدة ، المملكة العربية السعودية، 2004.

المذكرات والرسائل:

1- عبد الرحمن محمد خير نقاوة ، " فاعلية برنامج تأهيل سمعي لفظي في تحسين مهارات النطق لدى الأطفال مستخدمي جهاز زراعة القوقعة السمعية الالكترونية في عمر ما قبل المدرسة بالمملكة العربية السعودية" ، رسالة دكتوراه في التربية الخاصة ، كلية الدراسات التربوية و النفسية العليا ، جامعة عمان العربية ، الأردن ، 2010.

2- خولة محمد الزين ، "تطوير برنامج تدريبي للمهارات السمعية واختبار فاعليته في عملية اكتساب اللغة ، لدى فئة الإعاقة السمعية الشديدة ، و حالات زراعة القوقعة في الأردن " رسالة دكتوراه في التربية الخاصة ، كلية الدراسات التربوية العليا ، جامعة عمان العربية ، الأردن ، 2004.

قائمة مراجع اللغة الأجنبية:

1- Brin F. & al ; « Dictionnaire D'orthophonie » ، 2^{ème} édition. ortho édition. France. 2004.

2- Busquet D., Mottier C., « L'enfant sourd. développement psychologique et rééducation » ، Baillere ، paris.

3- Bouton C.P., « Le développement du langage Aspect normaux et pathologiques » Masson، paris 2eme édition ، 1997.

4- Chute P., & Nevins M., « School Professional Working with Children with Cochlear Implant » ، Plural Publishing، CA، USA. 2006.

5-Dumant A., « Implantations cochléaires : Guide pratique d'évaluation et de rééducation » ، L'ortho édition. 1997.

6- David R M., « Le développement du langage. Guide pratique » la liberté Inc. Québec ، Canada. 1980، 1984.

7- Gribenski A., « L'audition » ، Que sais je. puf. 4^{ème} édition 1975.

8-GILLET P., Hommet C., « Neuropsychologie de l'enfant : Introduction » ، Solal، Marseille. 2000.

9- Loundon N., & Busquet D., « Implant cochléaire pédiatrique et rééducation orthophonique » ، Médecine-science Flammarion، paris 2009.

10- Nicholas J., Geers A., « Will They Catch Up? The Role of Age at Cochlear Implantation in the Spoken Language Development of Children with Severe to Profound Hearing Loss ». Journal of Speech، Language، and Hearing Research.Vol.50. 2007.

11- Yves M., « le petit Larousse médical » ، paris 2001.

رسائل دكتوراه باللغة الأجنبية:



1- Bouton. S., « Apprendre a lire avec un implant cochléaire sur la base de quel signal auditif? », thèse de doctorat en psychologie sous la direction de Mme pascale cole & M . Willy Serniclaes Université de Provence France , 2010.

2- Scarbel. L., « Production de parole et perception de sons et de parole par les enfants sourds porteurs d'un implant cochléaire » Mémoire de master – Sous la direction de Anne VILAIN, UFR Sciences du Langage, Université Stendhal, France 2011.

مقالات علمية:

1- Bourgeois C., & Collet P., « Aide au paramétrage d'implant cochléaire par algorithme évolutionnaire » journal sur l'enseignement des science et technologies de l'information et des systemes.Vol3.Université de Bourgogne, France.2004.

2-service ORL –Hopital St-Antoine «Réhabilitation des surdité profonde par l'implant cochléaire Digisonic » Notice d'information destinée aux patients souffrant de surdité profonde ou de surdité sévères et/ ou a leurs famille , paris.

3-Radafy E., « Etat de lieu de l'implantation cochléaire aujourd'hui », revue rééducation orthophonique. implantation cochléaire n°217, 2004.

سوسيولوجيا التنظيمات: من ماكس فيبر إلى ميشيل كروزي

د. مروان لمدير/جامعة القاضي عياض، مراكش، المغرب

71

ملخص:

ارتبط الاهتمام السوسيولوجي بدراسة التنظيمات بالمجتمعات الغربية، خاصة بأوروبا وأمريكا الشمالية، حيث عرف الفكر السوسيولوجي المرتبط بالحقل التنظيمي ازدهارا كبيرا انطلاقا من البدايات الأولى له خلال مرحلة الثلاثينيات من القرن العشرين. هذا الازدهار ترجمته مجموعة من الدراسات، والأبحاث، ذات الارتباط سواء بعلم الاجتماع أو بعلم النفس الاجتماعي وأيضا علم النفس، وفي هذا النطاق تبلورت سوسيولوجيا الشغل والتنظيمات والمقاولات كتخصصات علمية دقيقة حاولت التركيز على الإنسان الفاعل والعامل كمركز محوري في التنظيم/المقولة بمختلف أنواعها وأشكالها. وتعتبر أعمال ماكس فيبر من أهم هذه الإسهامات وأبرزها على اعتبار أنه أول من قارب الحقل التنظيمي وفق تصور سوسيولوجي مخالف للتصورات التي كانت سائدة خاصة الاقتصادية منها، وقد استطاع فيبر تجاوزها وتقديم فهم أعمق؛ بل أغلب الأعمال التي جاءت بعده تبقى كمحاولات لنقد نمودجه وتطويره وهو ما قام به عالم الاجتماع ميشيل كروزي على سبيل المثال لا الحصر، وهو ما يسعى هذا المقال إبرازه من خلال إسهاماتهما في سوسيولوجيا التنظيمات.

الكلمات المفتاحية: سوسيولوجيا التنظيمات، البيروقراطية، التحليل الاستراتيجي.

مقدمة:

شكلت سوسيولوجيا التنظيمات إحدى أهم فروع علم الاجتماع التي ظهرت بشكل بارز بعد الحرب العالمية الثانية، خصوصا في الولايات المتحدة الأمريكية. وحسب G. Herreros فسوسيولوجيا التنظيمات ولدت في الولايات المتحدة الأمريكية في أواخر القرن التاسع عشر في أعقاب سوسيولوجيا الصناعة الموسومة بتيار "الإصلاح الاجتماعي"¹. وقد عرف هذا التخصص الجديد ازدهارا في أمريكا عكس أوروبا التي عرفت تخلفا نسبيا، ويمكن إرجاع ازدهار سوسيولوجيا التنظيمات في الولايات المتحدة الأمريكية إلى سببين:

□ السبب الأول: ويمكن القول أنه سياسي تاريخي، بمعنى غياب التوتر الاجتماعي الذي عرفته أوروبا في الولايات المتحدة الأمريكية (الأحزاب، النقابات، والحركات العمالية...)، وهذا لا يعني غيابها المطلق، وإنما كان عمل هذه التنظيمات فائرا نسبيا مقارنة بأوروبا.

¹ - Gilles Herreros : Au-delà de la sociologie des organisations. Sciences sociales et intervention. Editions érès. 2008. p. 35.

□ السبب الثاني: ظهور دراسات مرتبطة بعلم النفس الاجتماعي الذي يركز على الفرد، وقد ركزت هذه الدراسات على الحاجيات المرتبطة بالعمل (الإثارة، ظروف العمل...) أي بالعوامل التي تساعد العامل في عمله، إضافة إلى وجود عقلية براغماتية نفعية في الولايات المتحدة الأمريكية والثقافة الأنجلوساكسونية بشكل عام.

ويمكن إرجاع التخلف الذي عرفته أوروبا في ميدان سوسيولوجيا التنظيمات إلى سببين رئيسيين:

□ السبب الأول: هو معرفي أكاديمي، أي أن معظم الدراسات السوسيولوجية في أوروبا كانت أكاديمية تركز على البحث النظري والمفاهيمي (دوركايم، فيبر، ماركس) أي محاولة إرساء سوسيولوجيا إبستمولوجية معرفية تهتم دراسة المجتمع الأوروبي، وحتى الدراسات الأميركية أنجزت لتقعيد المفاهيم السوسيولوجية.

□ السبب الثاني: ويمكن القول على أنه سبب تاريخي سياسي. فقد عرفت أوروبا تجربة سياسية تمثلت في الأحزاب والنقابات والمؤسسات، مما جعل الاهتمام بالحركات الاجتماعية وفي خضمها الحركات العمالية. وفي دراسة المقاولات تم التركيز على براديغم الحركات الاجتماعية حيث يطالب من خلالها العمال تحسين ظروف عملهم، ومن ثم أصبحنا أمام سوسيولوجيا العمال وليس سوسيولوجيا المقاولات أو التنظيمات.

وقد شكلت الدراسات التي تم إنجازها من قبل فريق البحث بجامعة هارفارد تحت قيادة عالم النفس الاجتماعي الأسترالي E. Mayo وأعمال الانجليزي Oliver Shildon* نقطة الانطلاق لنشأة علم اجتماع الشغل أو علم الاجتماع الصناعي عند الانكلوساكسونيين. هذه الدراسات كانت قد ركزت على الأبعاد السيكولوجية وخصوصا المستويات المرتبطة بالحاجات الفردية والنفسية للعامل من خلال تصور اجتماعي لمدى تأثير الحاجات النفسية وقيمتها في بناء وتشكل ممارسات وسلوكات العمال في فضاء عملهم. وقد كان لفريق بحث إلتون مايو دور هام في تقديم تصور نقدي لظاهرة البيروقراطية التي وضع أساسها فيبر وذلك بهدف لفت الانتباه لما قد تفرزه البيروقراطية الشككية من أشكال تنظيم كامنة وموازية، وذلك انطلاقا من التركيز على مستوى حاجات الفرد في فضاء العمل¹.

لقد كان لتراكم مجموعة من الأطروحات التي أثنت المستوى النظري والامبريقي لعلم اجتماع الشغل أو الصناعة، (أعمال تايلور، أوليفر شيلدون، وإلتون مايو، ماكس فيبر...) القدر الكبير في التأسيس لبراديغم جديد لمقاربة مسألة التنظيمات حيث شهد منتصف القرن العشرين ظهور تخصص قائم بذاته هو علم اجتماع التنظيمات الذي تجاوز الأبعاد التقليدية لعلم اجتماع الشغل.

وبخصوص سوسيولوجيا التنظيمات، فقد حاولت تناول مجموعة من الإشكالات الأساسية من خلال مجموعة من العناصر المركزية لتقديم فهم سوسيولوجي لمختلف التنظيمات سواء الاقتصادية أو التنظيمات الحكومية والمستشفيات والجامعات... هذه الإشكالات تبقى جديدة مقارنة بما ثم إثارته من خلال سوسيولوجيا الشغل، ومن أهم هذه المستويات نجد الاندماج والتكيف ودراسة العلاقات الرسمية وغير الرسمية لمختلف التنظيمات وكذلك دراسة علاقات السلطة واستراتيجيات الفاعلين المتشكلة على خلفية هذه العلاقات... وبشكل عام، فسوسيولوجيا التنظيمات يمكن اعتبارها كدراسة سلوكيات الأفراد والجماعات التي يمكن ملاحظتها على مستوى اشتغال التنظيمات. إن سوسيولوجيا التنظيمات تهدف إلى تفسير السلوكات

*- يعتبر أوليفر شيلدون Oliver Shildon من رواد مدرسة العلاقات الإنسانية ومن الأوائل الذين قدموا نقدا لفكر المدرسة الكلاسيكية ولإعمال تايلور خاصة وذلك من خلال عمله الموسوم ب: فلسفة الإدارة 1923.

¹- Michel De Coster, François Pichalt : Traité de sociologie du travail, De Boeck Université, 2^e édition, Paris, 1988, P : 14.

والعلاقات المتوافقة أو غير المتوقعة مقارنة بالقواعد التوجيهية¹. ويعتبر كل من ماكس فيبر وميشيل كروزبي من أهم علماء الاجتماع الذين أسهموا في إغناء هذا الحقل السوسيولوجي من خلال تصورهما اتجاه التنظيمات.

إسهامات ماكس فيبر:

لقد كان لماكس فيبر (1864-1920) Max Weber من خلال أعماله الأثر البالغ في إغناء النقاشات بخصوص الإهتمام السوسيولوجي بالتنظيمات، ويبقى عملة الموسوم بـ: "الاقتصاد والمجتمع" Wirtschaft and Gesellschaft أهم الأعمال التي تركها فيبر بخصوص النموذج المثالي للتنظيم البيروقراطي. ويعتبر الاتجاه الفيبري Weberian Theory هو الاتجاه الذي يشير إلى أعمال ماكس فيبر في مجال التنظيم الاجتماعي والاقتصادي. فمعظم الدراسات الحديثة، تبقى في عمقها أما تعديلات لأفكار وتصورات فيبر. وقد تناول فيبر تحليل العناصر البيروقراطية في التنظيمات، تلك التي تعمل من أجل تحقيق استمرار التنظيم وبقائه².

لقد انطلقت أعمال ماكس فيبر من خلال تساؤل إشكالي مهم هو: ما الذي يصنع فرادة المجتمع الحديث؟ وقد أكد فيبر أن العقلانية هي السمة الأساسية لهذه المجتمعات. ومن هذه النقطة جاءت تحليلات فيبر للتنظيمات كفضاء لممارسة السلطة ونشرها لتحقيق المشروع بين الجميع. ويرى فيبر أن عملية العقلانية هذه تؤثر في الحياة الاقتصادية والقانون والإدارة وأنها تشكل الأساس في ظهور الرأسمالية والبيروقراطية والدولة القائمة على أحكام القانون. وجوهر عملية العقلانية هو النزوع المتزايد للفاعلين الاجتماعيين نحو استخدام المعرفة في إطار علاقات غير شخصية بهدف تحقيق سيطرة أعظم على العالم المحيط بهم³.

وقد اقترح فيبر في كتابه الاقتصاد والمجتمع عدة أنماط من العلاقات الاجتماعية داخل التنظيم، وخاصة أشكال الهيمنة السياسية. إن أشكال الهيمنة في عددها ثلاثة: الهيمنة العقلانية والهيمنة التقليدية والهيمنة الكاريزمية. وهذه النمذجة تتأسس على خاصية التحفيز التي تقود للطاعة⁴. وهذه الأنماط هي:

أ- الهيمنة التقليدية: تتأسس مشروعية هذا النمط على الصفة المقدسة للتقاليد داخل تنظيم معين والهيمنة التقليدية مرتبطة بالمكانة الاجتماعية للقائمين على السلطة. وحسب فيبر فهذا النمط من السلطة له تأثير على المجتمع، يتمثل أساسا في إضعاف مواقف وأنشطة الأفراد سواء الاقتصادية الواعية أو العقلانية، بمعنى أن القائد أو الحاكم الذي يعتمد هذه الامتيازات للتصرف في المجتمع يجعل الأفراد غير قادرين على القيام بمبادرات اقتصادية ومالية وتجارية... مخافة الاصطدام بسلطة القائد أو الحاكم.

ب- الهيمنة الكاريزمية: يقصد بالكاريزما مجموعة من الصفات والخصائص غير الاعتيادية التي يتميز بها شخص سواء كانت هذه الصفات حقيقية أو غير حقيقية. ويرتبط هذا النمط أساسا بقوة شخصية معينة ذات هالة قوية. وتقوم سلطة هذا النمط على قوة القائد عبر قدرته على الإقناع وجمع وتجميع الجميع من حوله، وهي مواصفات تفوق مواصفات باقي الأشخاص العاديين. والتاريخ الغربي والشرقي مليء بنماذج كاريزمية واضحة. إن مصطلح "القائد الكارزمي" ظهر بشكل كبير في العصر الحديث، وحسب فيبر فهذا النوع من القادة الكارزميين يظهرون في المجتمعات العقلانية عند مرورها بأزمات، بحيث أن

¹-Michel Foudriat : Sociologie des organisations, édition PEASON Education, 2 éditions, 2007, p : 3.

²- محمد على محمد وآخرون: دراسات في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، دار المعارف، الطبعة الأولى، مصر، 1975، ص: 322.

³- جون سكوت وجوردون مارشال: موسوعة علم الاجتماع، ترجمة أحمد زايد وآخرون، المركز القومي للترجمة، الطبعة الثانية، 2011، ص: 407.

⁴- Raymond Aron : Les étapes de la pensée sociologique, Editions Gallimard, 1967, p : 556.

المؤسسات السياسية تصبح غير قادرة على القيام بأدوارها ووظائفها، ومن هنا تظهر زعامات إما سياسية أو دينية... تدعوا إلى التغيير وضرورة تطوير النظام السياسي بشكل عام. ويضيف فيبر أن هذا النوع من السلطة غير عقلاني وإنما انفعالي يعتمد على الثقة.

ج- الهيمنة العقلانية / القانونية: يرتبط هذا النموذج داخل أي تنظيم بسلطة القانون الواضح والصريح وغير الشخصي. إن السلطة العقلانية حسب فيبر تستمد شرعيتها من القانون والقواعد والنصوص القانونية... إن السيطرة العقلانية هنا هي من مميزات التنظيمات والمجتمعات الحديثة. والممارس للسلطة في هذه الحالة يستند لهذه القواعد والقوانين غير الشخصية، من هنا تكون سلطته محدودة.

ويعتقد فيبر أن من أهم الأسباب التي ساعدت أوروبا في الانتقال من مرحلة النظام الإقطاعي إلى مرحلة الدولة-الامة في صورتها الديمقراطية بعد مرورها من الملكيات المطلقة هو تجريد السلطة من طابعها الشخصي وإضفاء الطابع المؤسسي العقلاني.

إن فيبر من خلال تقديمه للنماذج السابقة حاول أن يمنحنا أنماطا مثالية والمقصود بذلك، مجموعة من البناءات النظرية الهادفة إلى القيام بمقارنات مع الواقع وكذلك تحليل الفوارق.

وقد قدم فيبر تصوره بخصوص التنظيمات الحديثة من خلال ما يعرف بـ "التنظيم البيروقراطي"، وحسب فيبر فالبيروقراطية* هي شكل من أشكال التنظيمات الاجتماعية الحديثة، بحيث أصبحت هذه الظاهرة تعرف نموا مفرطا سواء في حجمها أو في مجالات اختصاصاتها في المجتمعات الصناعية، سواء في القطاع العام أي إدارة الدولة أو القطاع الخاص.

وتمثل الإدارة البيروقراطية النمط الخالص للهيمنة الشرعية، وتندرج السلطة المبنية على الكفاءة وليس على الأصل الاجتماعي، ضمن إطار من وضع تدابير موضوعية غير شخصية، وينقسم تنفيذ المهام إلى وظائف متخصصة ذات حدود محددة بشكل منهجي. وتدار المهن بقرائن موضوعية من الكفاءة والأقدمية... وليس عن طريق قرائن فردية...

ويحدد فيبر أن هذا النمط من التنظيم ليس خاصا بالإدارة العامة، بل يخص أيضا التنظيمات الرأسمالية الكبرى. وتتصف البيروقراطية بنمط إداري ونمط من التنظيم مؤسس على عقلنة الأهداف مثلما بدأ تطبيقها مع F.W.Taylor و H.Fayol، هذه العقلانية تمس أيضا أشكال الفكر، عبر انطلاقة العلوم والتقنيات. إن التحول العلماني والتحول التقني للفكر يضعان نهاية لعالم الأساطير والمعتقدات الدينية. وهذا هو معنى الصياغة الجميلة لتعبير "نزع السحر عن العالم" Disenchantment¹.

وقد وضع فيبر مجموعة من الخصائص، وهي تعتبر في رأيه كمعايير لنجاح أو فشل التنظيم، وهذه القواعد تستمد من المجتمع الكلي، أي أن المجتمعات الرأسمالية وصلت درجة من العقلانية بحيث أصبح لا مجال للعواطف والقيم التقليدية.

* - البيروقراطية: استعمل هذا المفهوم من قبل مجموعة من الباحثين والمفكرين والبيروقراطية كلمة مكونة من شقين Bureau وتعني المكتب و Cratie وتعني الحكم- السلطة، أي سلطة المكاتب. وقد اختلفت المعاني المقدمة لمفهوم البيروقراطية حيث أن كارل ماركس استعمل هذا المفهوم بمعنى سلبي، إذ يربطها بالهيمنة الطبقية التي تمثل في الدور الذي تلعبه الدولة كجهاز طبقي يخدم مصالح طبقة معينة... إضافة إلى ماركس اهتم Alexis De Tocqueville بمفهوم البيروقراطية في تحليله لنظام الديمقراطية في الولايات المتحدة الأمريكية من خلال المعوقات الوظيفية والمخاطر التي تواجه وتهدد الإدارة التي تتميز بقدر كبير من الديمقراطية...

¹ - فيليب كابان وجان فرانسوا دورتيه: علم الاجتماع: من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية، أعلام وتواريخ وتيارات، ترجمة إياس حسن، دار الفرق، الطبعة الأولى، 2010، ص: 49.

فالنموذج المثالي أو النمط الخالص للسيطرة الشرعية عند فيبر هو التسيير الإداري البيروقراطي. وتكون صلاحيات من يملك السلطة في هذا التسيير عبارة عن "كفاءات" شرعية سواء كانت هذه الصلاحيات نابعة من الملكية أو بموجب انتخابات أو عن طريق تعيين سابق. وتتشكل الإدارة المسيرة في صيغتها الخالصة من موظفين فرديين تتوفر فيهم المواصفات التالية:

- أنهم أحرار، ولا يخضعون سوى للواجبات الموضوعية.
 - يتوزعون حسب تراتبية للوظيفة الموضوعية بشكل محكم.
 - يتمتعون بكفايات مرتبطة بالوظيفة ومعترف بها.
 - إنهم موضوع تعاقد، ولهذا يخضعون مبدئياً لانتقاء مفتوح.
 - يتم هذا الانتقاء بناء على التأهيل المهني، وهو في الحالات الأكثر عقلانية، تأهيل مهني يتم التحقق منه من خلال الامتحان، وعن طريق الشهادة.
 - تمنح لهم أجور قارة حسب المركز في التسلسل الإداري وحسب المسؤولية التي يتحملونها كما يتمتعون بالحق في التعاقد (...).
 - يتصرفون إزاء وظيفتهم كمهنتهم الوحيدة أو الرئيسية.
 - وأخيراً، لهم مسار مهني، ويتسلقون الدرجات تبعا للأقدمية¹.
- ويربط فيبر ظهور النموذج البيروقراطي الذي يتميز بالعقلانية والموضوعية إلى مجموعة من الظروف الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، ومن بين هذه العوامل نجد:

- التطور الذي عرفه الاقتصاد النقدي، مما أتاح دفع الأجور النقدية للمنتسبين للتنظيم.
 - ظهور نظام ضريبي وفر للأجهزة البيروقراطية الحكومية الاستفادة من مداخيل قارة.
- وهنا يشير فيبر على أن مستوى التنظيم البيروقراطي في المجتمعات الحضرية أعلى وأكثر تطوراً من نظيراتها غير الحضرية بسبب حضوره في الأولى واختفاءه في الثانية، إضافة إلى ما سبق، فتراكم المشاكل ونمو حجم العمل داخل المجتمعات الحديثة كان له دور في تشجيع ظهور التنظيم البيروقراطي. إن التنظيم البيروقراطي عند فيبر في حالة تمسكه ونهجه للقواعد والممارسات والأفعال السابقة (اعتماد الكفاءات والتعاقد والتخصص وتقسيم العمل والترقية...) يكون عبارة عن اليات عقلانية تسهم في عملية تحديث المجتمعات.

لقد واجهت نظرية ماكس فيبر مجموعة من الانتقادات، ولكن رغم ذلك فتصوره مازال يتم اعتماده في تسيير وتدير مجموعة من التنظيمات سواء الحكومية أو غير الحكومية، الصناعية أو غير الصناعية...

وما يمكن قوله بخصوص الانتقادات الموجهة لفيبر، أن أغلبها كان مصدره أصحاب الاتجاه الوظيفي في علم الاجتماع، وهذه الانتقادات ترتبط بالجانب الوظيفي للتنظيم. فإذا كان فيبر اهتم بموضوع اسهام العناصر التنظيمية المختلفة في تحقيق الفعالية، فإنه بالمقابل لم ينجح في إبراز وكشف المعوقات الوظيفية التي تنطوي عليها هذه العناصر. وحسب ميرتون Merton فالنموذج المثالي يفتقد تلك الملائمة (الموازنة) اللازمة بين الوظيفة والخلل الوظيفي.

¹-لحبيب معمري: التنظيم في النظرية السوسيولوجية، منشورات ما بعد الحداثة، الطبعة الأولى، 2009، ص: 19-20.

وبالموازاة مع ذلك، ذهب Gouldner إلى ما أكده ميرتون، حيث أجرى جولدنر دراسة امبريقية على أحد المصانع وتوصل أن تمة تناقضا خفيا في النموذج المثالي، ويتمثل ذلك في مستويين: التسلسل الرئاسي والمعرفة التقنية أي بين الادارة القائمة على الخبرة الفنية والأخرى القائمة على النظام والانضباط، حيث أكد انه في حالة توفر الخاصيتين، فإنه من الصعب أن يؤدي التنظيم أنشطته في تكامل وانسجام، بمعنى أن فرص ظهور الصراع ستكون كبيرة

وهناك انتقاد شائع يشترك فيه دارسو التنظيمات ذوي الاتجاهات المختلفة مؤداه، أن نموذج فيبر قد بالغ في تأكيد الجوانب الرسمية والمظاهر النظامية للتنظيم، متجاهلا بذلك تلك العلاقات الاجتماعية غير الرسمية التي تنمو في التنظيم والتي تلعب دورا هاما في تحديد طابعه وأدائه لوظائفه. ولقد كان فيليب سلزنيك Selznick من أوائل من اهتموا بدراسة هذه النقطة في مقالين نظريين هامين* كما وجه كل من تشارلز بيدج Page نقده لنموذج فيبر بخصوص ديناميات التنظيم، وكذلك اتزيوني Etzioni ومارتنديل Martindale واندريسكي Andreski كلهم ركزوا نقدهم لأنماط السلطة...¹. ومن أهم الانتقادات الموجهة لنموذج فيبر، نجد انتقادات كروزيي والتي كانت نقطة انطلاقه لبناء نظريته الموسومة بالتحليل الاستراتيجي.

إسهامات ميشيل كروزيي

شكلت أعمال عالم الاجتماع Michel-Crozier (1912)، خصوصا ما يعرف بنظرية التحليل الاستراتيجي إحدى أهم المحاولات في تطوير التحليل المتعلق بالظاهرة البيروقراطية. وقد قدم كروزيي قبل ذلك انتقادات لمجموعة من النظريات خاصة منها الكلاسيكية (تايلور وفورد وفايول...) وكذلك لمدرسة العلاقات الانسانية (مدرسة هارفارد: أوليفر شيلدون والتون مايو...). وقد رفض كروزيي كل أشكال الحتمية المطلقة التي ميزت الفكر التنظيمي. وقد كان لماكس فيبر والوظيفية (ميرتون وبارسونز) وعلوم التنظيم الأمريكية تأثيرا بالغا على ميشيل كروزيي الذي يحاول تجاوز عيوبها ونقائصها النظرية، فينتقد بالمناسبة ماكس فيبر في اعتقاده في التفوق المطلق للنموذج التسلسلي القانوني والبيروقراطي، أما فيما يخص الفعالية، إذ يبين تحليل الوقائع أنه كلما ساد هذا النموذج كلما كان التنظيم أقل فعالية². ويمكن تقديم أهم مصادر التحليل الاستراتيجي³ في العناصر أسفله:

- مدرسة العلاقات الإنسانية.

- ماكس فيبر.

- سوسيولوجيا التنظيم الأمريكية (أ.و. غولنير، بول سيلزنيك...).

- البنيوية الوظيفية (ر.ك. ميرتون، تالكوت بارسونز...).

انطلق كروزيي في نظريته التحليل الاستراتيجي من محاولة تطوير التحليل المتعلق بالظاهرة البيروقراطية. وقد قدم كروزيي من قبل ذلك انتقادات لمجموعة من النظريات، خاصة منها الكلاسيكية (المدرسة الكلاسيكية مع تايلور وفايول وفيبر...)، وكذلك لمدرسة العلاقات الانسانية (مدرسة هارفارد مع مايو...). وحسب كروزيي فإن الإنسان في التنظيم لا يمكن اعتباره كيد

* - هذين المقالين هما:

أولا: An Approach to the Theory of Bureaucracy

ثانيا: Fondations of the Theory of Organizations

¹ - السيد الحسيني: النظرية الاجتماعية ودراسة التنظيم، دار المعارف، الطبعة الرابعة، 1983، ص: 57-61.

² - جان بيار دوران و روبر فايل: علم الاجتماع المعاصر، ترجمة ميلود طواهري، ابن النديم للنشر والتوزيع ودار الروافد الثقافية-ناشرون، الجزائر، الطبعة الأولى، 2012، ص: 320.

³ - Jean-Pierre Durand, Robert Weil : Sociologie contemporaine, Edition VIGOT-3 édition revue et augmentée, Paris, 2006.

عاملة كما تصورت ذلك نظرية التنظيم العلمي للعمل لفردريك تايلور ولا كيد وقلب حسب مدرسة العلاقات الإنسانية، إن هذه الاتجاهات وغيرها تتناسى/تغفل فكرة أن الإنسان يملك عقلا يفكر به، وله حرية وبمعنى أكثر وضوحا، إنه عبارة عن فاعل مستقل قادر على الحساب والتحكم والتسيير، كما أنه قادر على التأقلم والابتكار في ظل الظروف السائدة وحركية باقي الشركاء¹. كما وجه كروزي انتقاده لأنصار الاتجاه السلوكي في فهم التنظيم. وقد أكد ذلك من خلال اعتباره أن التفسيرات التي قدمها السلوكيون تبقى محدودة على اعتبار أنهم ركزوا على العلاقة الفردية للفاعل في التنظيم، فهم اعتبروا أن الأفراد في التنظيم يتوفرون على نماذج مثالية للصحة النفسية والعقلية، بمعنى أن تفسير الألعاب التنظيمية يتم انطلاقا من المستوى النفسي والعقلي فقط، وهنا يكون أصحاب هذا الاتجاه إما أمام إهمال لكل التعقيد الذي يميز السلوكيات الإنسانية في التنظيم أو المقابلة، والذي قد تنفي حتى أكثر النظريات التي تدعي معرفة بالدافعية، هذا إلى جانب التركيز على الفرد وتناسي وجود الجماعة². إن التحليل الإستراتيجي يبقى بمثابة انقلاب كلي في التصور مقارنة بالتنظيم العلمي للعمل (OST) واتجاه العلاقات الإنسانية³.

لقد رفض كروزي كل أشكال الحتمية المطلقة التي ميزت الفكر التنظيمي. وقدم كروزي أفكاره في عمليتين أساسيتين هما:

– الظاهرة البيروقراطية 1963.

– الفاعل والنسق 1977.

إن كروزي من خلال مقارنته أو تصوره الجديد لعلاقة الفرد بالتنظيم حاول التوفيق بين الاتجاهين البارزين في تفسير السلوك الاجتماعي:

- 1- الاتجاه الأول: والذي يفسر السلوكيات الاجتماعية انطلاقا من الحتمية الفردية، بمعنى تأثير التاريخ الشخصي كالوسط الاجتماعي العائلي والطبقي في سلوكيات وأفعال الفرد؛ وهو ما يمكن اختصاره في مفهوم P.Bourdieu الهابيتوس Habitus.
- 2- الاتجاه الثاني: وهو ما يعرف باتجاه النزعة السوسيولوجية ويمثله إ. دوركايم؛ هذا التوجه يحدد الفرد في يد الوعي الجمعي، وينفي على الفرد القدرة على الاختيار وتبني القرارات والإبداع...

إن كروزي هنا حاول التوفيق بين هذين التصورين مقدما في خضم ذلك انتقادات للتصور البيروقراطي، بمعنى أن العلاقة بين التنظيم والفرد هي وليدة لعبة Jeu بين طرفين في التنظيم من خلال الضوابط الرسمية التي يقوم هدفها تنظيم سلوكيات الأفراد مما يخلق عوائق أمام الفاعل، وهذا الأخير يهدف تجاوزها يكون أمام ضرورة تبني استراتيجيات معينة تختلف من فاعل إلى آخر انطلاقا من الكفاءة المعرفية من جهة والظروف التنظيمية التي يعيشها الفاعل من جهة أخرى.

لقد حاول كروزي من خلال نظريته التحليل الاستراتيجي تقديم تصور جديد يحاول دراسة علاقات السلطة داخل التنظيم. ويمكن تناول نظرية التحليل الاستراتيجي من خلال مستويين:

– أهم المسلمات الأساسية لنظرية كروزي.

– الجهاز المفاهيمي للتحليل الاستراتيجي.

¹- M.Crozier, E.Friedberg : L'acteur et le système, éditions du seuil, 1977, p: 45.

²-Ibid, p: 48.

³- Claude Louche : Psychologie sociale des organisations, éditions Armand Colin, 2 édition, Paris, 2007, p : 28.

حسب Ph. Bernoux في عمله الموسوم ب: La sociologie des entreprises فنظرية التحليل الاستراتيجي تقوم على أربع مسلمات أساسية:

- المسلمة الأولى: التنظيم هو بناء والفاعلون فيه هم من يؤسسون الاجابات على الاكراهات التي يواجهونها...
- المسلمة الثانية: حسب كروزي إن الافراد داخل التنظيم لا يقبلوا أن يعاملوا كأدوات ووسائل بهدف تحقيق أهداف التنظيم، وهذا مفاده أن لكل منهم غاياته وأهدافه الخاصة. إن هذا الطرح لا يعني حتما أن الاهداف الخاصة متناقضة ومتعارضة مع أهداف التنظيم. وحسب بيرنو فإن هذه المسلمة يمكن الاستنتاج منها أن أي تنظيم مهما وصلت مراقبته وإخضاعه لأفعال وسلوكات المنتمين إليه، فإن هذه العقلانية تبقى محدودة وغير مطلقة.
- المسلمة الثالثة: إن الفاعل داخل التنظيم يتمتع بنوع من الحرية، وهذه الأخيرة تمنح له درجة من الاستقلالية عن التنظيم مما يمكنه من الحصول على قدرة الاختيار في أن يسهم ويشارك أو العكس من ذلك، حتى وإن كان مفروض عليه المشاركة. إن الاستقلالية هنا تعطيه إمكانية تحديد مستوى المشاركة؛ فالتنظيم يسعى إلى الحد من درجة هذه الاستقلالية والفاعل يحاول انطلاقا من ما يتوفر عليه من قدرات أن يعزز هذه الاستقلالية أو على الأقل أن يحافظ عليها.
- المسلمة الرابعة: يعتبر كروزي أن الاستراتيجية التي يختارها الفاعلين، سواء في علاقتهم ببعضهم البعض أو في علاقتهم بالتنظيم تتميز بالعقلانية إلا أن هذه العقلانية محدودة وذلك راجع بطبيعة الحال إلى وجود استراتيجيات أخرى مضادة، إضافة إلى عوائق السياق المتعددة. وهنا لا يمكن لأي فاعل مهما كانت له القدرة أن يجد الوقت والوسائل التي تمكنه من التوصل إلى حل عقلاي أو أمثل بهدف تحقيق أهدافه. وهنا يكون هذا الفاعل أمام حل مرضي نسبيا أو أمام الحل الأقل ضرار بالنسبة إليه في ظل الحواجز والإمكانيات التي يحتكم إليها¹.

وإلى جانب هذه المسلمات، اعتمد كروزي على جهاز مفاهيمي بمثابة الإطار النظري والمنهجي الأساسي لبيسط وتدعيم نظريته في فهم وتحليل الحقل التنظيمي سوسيولوجيا، ومن هنا فإن فهم نظريته هذه يتطلب ضرورة تحديد وعرض أهم المفاهيم الأساسية:

■ **الفاعل Acteur**: التنظيم أو المقابلة تتفاعل داخله مجموعة من العناصر، الفاعلين الاجتماعيين. والفاعل قد يكون فردا أو جماعة. وهذا الفاعل يتبنى استراتيجية معينة بهدف توفير أكبر الحظوظ المكنة للربح والمنافع الذاتية. الاستراتيجية لا تكون بالضرورة واضحة وواعية ضمن الفرد ويتم شرحها من بعد ما يمر الفاعل للممارسة.

إن هذه الاستراتيجية ترتبط بعقلانية محدودة ومتعددة باختلاف الوضعيات التي يتموضع فيها الفاعل الاجتماعي، فداخل المقابلة يتحدد الفاعل الاجتماعي من خلال تفاعله مع الآخر، وقد يتكتلوا في فاعل اجتماعي واحد بهدف تحقيق هدف معين وحسب وضعية معينة، لكن بعد تحقيق هدف هذا الفاعل، يتفكك من جديد ليعطي فاعلين اجتماعيين كل مستقل وكل له رهاناته الفردية، والاستراتيجية تتحقق عبر الوضعية والإكراهات ثم العقلانية². إن استراتيجية الفاعل حسب كروزي تبقى كل تصرف ذو معنى حتى لو لم يكن مرغوبا فيه، أو كان مصدره من الفاعل عن غير وعي.

■ **السلطة Pouvoir**: تعد السلطة من المفاهيم الأساسية عند كروزي، وهي لا تأتي من الموقع الهرمي الذي يحتله الفاعل، بل انطلاقا من التصورات والتمثيلات التي يصنها الأفراد على هذا الفرد، وليس ما يخوله القانون من الحق في إعطاء الأوامر في

¹- Philippe Bernoux : La sociologie des entreprises, éditions de seuil, 1999, p : 141.

²- M.Crozier, E.Friedberg : L'acteur et le système, Paris, Editions du seuil, 1977.

الإدارات. إنها نسق يحدد العلاقات بين العمال والإدارة وهي القدرة على التأثير، إن السلطة هنا ليست صفة بل إنها علاقة تبادل يتم التفاوض بخصوصها. إن السلطة كمفهوم عند كروزي تبقى عنصرا أساسيا في التحليل السوسيولوجي الكروزي، وهذا ما نجده بارزا عند الرجوع إلى أعماله، خاصة منها مؤلفه الموسوم بالظاهرة البيروقراطية وأيضا مؤلفه الفاعل والنسق. وحسب كروزي فالسلطة تشمل أو تستلزم دائما إمكانية أن بعض الأفراد أو المجموعات لهم قدرة التحكم في أفراد أو مجموعات أخرى؛ وهذا التحكم يقصد به الدخول معهم في علاقة، وهذه الأخيرة تتطور في خضمتها سلطة البعض على البعض الآخر. إن السلطة عند كروزي ليست صفة/ ميزة يتسم بها الفاعلون، ولكنها علاقة تبادل تتأسس انطلاقا من التفاوض بين شخصين على الأقل¹.

ويحدد كروزي أربع مصادر للسلطة² وهي كالتالي:

- امتلاك الفاعل للكفاءة ولقدرات تخصصية من الصعب تعويضها.
- التحكم في مناطق الظل المرتبطة بعلاقات التنظيم بسياقه الخارجي.
- التحكم في قنوات التواصل وتدفق المعلومات بين مختلف وحدات وأعضاء التنظيم.
- التحكم في القواعد التنظيمية.
- مناطق الظل **Zone d'incertitude**: هي المصدر الذي يستمد منه الفاعل سلطته على الآخرين. فالجانب الرسمي داخل التنظيم لا يستطيع أن يقن ويهيكل كل الجزئيات والتفاصيل بهدف الحد من درجة حرية الفاعل وتقويض استقلاليتها، وهذا يجعل التنظيم يترك فراغا أو منفذا يعمل العامل على استغلاله في بناء استراتيجية معينة، إما هجومية أو دفاعية. إن هذا الاستغلال لمناطق الظل من قبل فاعل معين يمنحه الأسبقية عن باقي الأطراف المتفاعلة معه في تلك العلاقة التبعية التي تجمعهم ببعض البعض داخل المجال التنظيمي، وتصبح بالنسبة إليه مصدرا للسلطة، وتزيد أهمية منطقة الظل وتنقص حسب درجة تبعية الأفراد الآخرين إليه وحسب درجة سلطته عليهم وكذلك من عدم قدرة هؤلاء على الاستغناء عليه أو على الكفاءة والقدرة التي يمتلكها. وهذه الكفاءة والقدرة لها مصادر أساسية وهي:
- الكفاءة والقدرة المهنية المتميزة في القضاء على مناطق الظل الداخلية للنسق.
- القدرة والكفاءة العالية أو النوعية في علاقتها مع السياق الخارجي للتنظيم.
- امتلاك المعلومات وتديرها لكن بشرط أن تكون هذه المعلومة تشكل رهانا حقيقيا بالنسبة للإطراف الأخرى؛
- التمسك الحرفي بتطبيق وتنزيل القانون الذي يمكن الفاعل من امتلاك قدرة دفاعية أو هجومية انطلاقا من الوضعية التنظيمية التي يتموقع فيها.

■ النسق الفعلي للأفعال **Système d'action concret**

كل تنظيم يتكون من مجموعة معينة من الفاعلين، وهؤلاء الفاعلين يعملون على هيكلة وتنظيم علاقاتهم إما عن طريق الترابط المتبادل، وإما عن طريق التفاعل المتبادل، وهذا يحدث في الوضعية المستقرة للتنظيم. وهنا يكون النسق الملموس للأفعال هو تلك الكيفية التي يهيكل بها الكيان البشري في التنظيم باعتبارهم فاعلين اجتماعيين علاقاتهم الداخلية، بمعنى آخر: الطريقة التي ينظم بها الفاعلون نسق علاقاتهم التفاعلية بهدف مجابهة ومعالجة مختلف الإشكالات التدييرية والتسييرية

¹- Philippe Bernoux, op.cit, pp : 144-150

² M.Crozier, E.Friedberg, op.cit, pp :71-72.

والانتاجية.... وهؤلاء الفاعلين حين قيامهم بذلك، لا يكون وفق صورة حيادية وجردة ولكن وفق أهدافهم التي تكون ضمنيا أو علنيا متوافقة مع غايات التنظيم. وهذا النسق الفعلي للأفعال يشمل بدوره نسقين فرعيين هما:

أ- النسق الفرعي لضبط العلاقات **Le système de régulation des relations**: مجموع القواعد والضوابط التي يتم إنتاجها من قبل الافراد داخل التنظيم، وهدفها حل ومعالجة المشاكل اليومية للتنظيم من جهة أولى، وتوجيه ومعييرة سلوكياتهم وأفعالهم في علاقاتهم ببعضهم البعض من جهة ثانية، وفي علاقاتهم بعملهم أو موضوعاتهم اليومية من جهة ثالثة. فمثلا إذا وقع عطل في آلة من الآلات ماذا يفعل العامل المكلف من أجل مواجهة هذه الإشكالية الإنتاجية، هل يتصل بمسئوله المباشر؟ أو بالعون المعني؟ أو بمسؤول العامل المعني؟... إلخ إذن هناك نسق من القواعد والقوانين مهما كانت جزئية وغير مشكلة بصورة رسمية، فهي تعمل على ضبط العلاقة بين الفاعلين المتواجدين داخل المنظمة وهذا ما يطلق عليه بالنسق الفرعي لضبط العلاقات.

ب- نسق التحالفات **Système des alliances**: وهو النسق الذي يحكم التحالفات بين الفاعلين داخل التنظيم، بحيث في هذا الشكل من العلاقات فإن الفاعل المعين من أجل قضية معينة فإنه يعرف جيدا من هو الحليف أو الحلفاء الذين سيساندونه، فإن التحالفات داخل المؤسسة ميزتها الأساسية أنها ظرفية ومرتبطة بقضية محددة وعلى أساسها يتم تحديد كيف أن المجموعة تعالج قضاياها المطروحة عليها، انطلاقا من أهدافها الخاصة وأهداف المجموعة المنتمية إليها. فالنسق الفرعي للتحالفات ضروري في المؤسسة، لكون أنها معرضة دائما لعدد كبير من حالات الارتياح **Incertitudes** والحلول المقترحة لهذه الارتياحات ليست بديهية أو مبرمجة مسبقا مما يجعل الفاعلين يتجابهون و يتنازعون بسببها لفرض الحلول التي يراها كل فاعل (سواء كان فردا أو مجموعة) بأنها هي المناسبة، وذلك كما قلنا مع الأخذ بعين الاعتبار استراتيجياتهم الخاصة سواء للمحافظة على وضعياتهم في التنظيم كما هي أو لتعظيمها. أما الذي يفرق بين النسق الفرعي الأول عن النسق الفرعي الثاني هو أن نسق التحالفات يتميز بالظرفية ويكون عادة مرتبط بحالات خاصة وطارئة، أما نسق ضبط العلاقات يتميز بالديمومة ويقوم بتنظيم وهيكلية العلاقات المستقرة والمنظمة. أما عن المحتوى الذي يعطيه كل من كروزي **M. Crozier** وفريدبارغ **Friedberg** لمفهوم النسق الفعلي للأفعال بأنه يركز فقط على القواعد والضوابط التي تحكم قواعد اللعبة الاستراتيجية في التنظيم وتتميز بالاستقرار النسبي أي أن النسق الفعلي للأفعال هو مطابق أو يشتمل فقط على النسق الفرعي لضبط العلاقات **Le système de régulation des relations** أو كما ترى ديرفيل بياتريس **Dauberville Béatrice** وآخرون "أن النسق الفعلي للأفعال عند كروزي وفريدبارغ يعني وجود حد أدنى من الانتظام والترابط المتبادل **Interdépendance** على خلفية الفوضى الظاهرة في العلاقات الاستراتيجية بن الفاعلين -سواء كانوا أفرادا أو مجموعات- المتواجدين في حقل تنظيمي معين¹.

■ العقلانية² **Rationalité**

القدرة على ترشيد الموارد المادية والفكرية لبلوغ أهداف معينة. وليس هناك عقلانية وحيدة؛ لأن هناك وسائل واستراتيجيات متعددة لتوظيف الموارد بغية الوصول إلى الغايات وتحقيق النتائج. وحسب **March** و **Simon** فالإنسان تبني نمط تفكير أحادي الجانب للوصول إلى الحد الأقصى للفائد والمكاسب وحل أمثل لجميع المشاكل بطريقة خطية يتبعها الفرد دون أن يترك المجال للتفكير. وهذا النموذج في التفكير و العقلنة خاطئ في نظر **Crozier** و **Friedberg**، إذ أن حرية وأهداف

¹- بن عيسى محمد المهدي: ثقافة المؤسسة: دراسة ميدانية للمؤسسة الاقتصادية العمومية في الجزائر، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2004-2005، ص: 263-264.

² - M. Crozier, E. Friedberg: L'acteur et le système, éditions du seuil, Paris, 1977.

وعقلانية وحاجيات ومشاعر الفاعلين تبني اجتماعيا وليست معطيات مجردة، كما أن الفاعلين لا يمتلكون سوى حرية محدودة وعقلانيتهم أيضا محدودة.

إذن، فالإشكال لا يتعلق بالتفكير أو بالتفسير، لكن يتعلق بإستراتيجية البحث التي تسمح بمعرفة الظروف المادية والبنوية والإنسانية للظرفية التي تحت وتعرف هذه الحرية وهذه العقلانية، ومنه معنى السلوكات الملاحظة في الواقع. أي فهم الظرفية التي تحدد تصرف وسلوك وإستراتيجية وعقلانية الفاعلين الاجتماعيين والتي لا تلاحظ كوقائع عينية في الواقع المعاش.

■ التنظيم Organisation :

التنظيم لا يمكن تعريفه كأنه جماعة من الأفراد، إنه الفضاء الذي تنسج فيه علاقات السلطة، وعلاقات التفاعل بين التأثير والتأثر، التسويق والتبادل التجاري والحساب (ترشيد الموارد).

إن التنظيمات/ المقاولات ليست آليات الضغط والإكراه كما تظهر لمنتقديها، فعلاقات الصراع والتنافر ليست موجودة وفق مخطط قبلي، والمقاولة ليست محبولة على الصراع لكنها تشكل ذلك الفضاء الذي يتم فيه التعبير عن التناقضات والرهانات المختلفة، لكن في ذلك الوقت هناك تنسيق بين الأفراد. إن التنظيم لا يمكن تعريفه تعريفا ماديا كتحديد عيني، بل هو شيء يبني اجتماعيا وبه رهانات مختلفة، ومظاهر للتنسيق¹... إن كروزي وفريدبارغ يعتبران أن التنظيم ظاهرة سوسيولوجية، وهو بناء اجتماعي يوجد ويتغير فقط لكون أنه يستطيع الاستناد إلى ألعاب تمكنه من الاندماج مع استراتيجيات الفاعلين به، كما أنه يضمن للمشاركين استقلالياتهم كفاعلين أحرار ومتعاونين².

إن التنظيم حسب كروزي لا يستطيع أن يشغل كآلة ولن يستطيع ذلك أبدا، فمردوديته لها علاقة بكفاءة الكل الانساني المكون له فيما يتعلق بتنسيق الأنشطة بطريقة عقلانية وهذا مرتبط بتطور التكنولوجيا ولكن مرتبط أساسا بالشكل الذي يكون فيه الأفراد قادرين على ممارسة اللعب، أي بمعنى لعبة التعاون فيما بينهم³.

إن الجهاز المفاهيمي للتحليل الاستراتيجي يتميز بتعدد وتنوعه، وهو ما يستدعي المهتم به أن يضطلع على أعمال مختلفة عند كروزي وفريدبارغ، هذه الاضطلاع الكامل والشامل هو الكفيل بإعطاء تصور أولي للعمق السوسيولوجي في هذه النظرية والوقوف على التجديد الذي قدمته في محاولة فهم غرائب الواقع الاجتماعي للحقل التنظيمي وفق تصور سوسيولوجي.

بعض التصورات النقدية

إن إسهامات م. كروزي في حقل سوسيولوجيا التنظيمات تبقى ذات عمق سوسيولوجي هام. لقد أسهم التحليل الاستراتيجي النسقي بلا شك في تجديد سوسيولوجيا التنظيم انطلاقا من مفهوم علاقات السلطة، غير أنه بصفة عامة، يتغاضى عن مصادر التفاوت في علاقات السلطة ومعنى ذلك أنه لا يتطرق إلى المحددات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والسيكولوجية والديمقراطية وغيرها، لهذا التفاوت في علاقات السلطة. وبتعبير آخر يتجه تحليل التنظيم الاجتماعي للنزاعات ولعلاقات السلطة إلى الالتفاف حول نفسه دون مرجعية للعوامل الخارجية. يقول كروزي وفريدبارغ إن "القوة والثراء والسمعة والسلطة، وباختصار كل موارد يكتسبها أولئك أو هؤلاء لا تتدخل إلا حين تمنح حرية فعل أكبر". ولكن من أين تأتي هذه الموارد التي يكتسبها هؤلاء وهؤلاء؟ هل تظهر في علاقة السلطة أم سابقة لها؟ يعترف الكاتبان بأنهما يدركان "التفاوت الهيكلية الذي

¹ - M.crozier, E.Freidberg : L'acteur et le système, éditions du seuil, Paris, 1977, pp:35-38.

² - M.crozier, E.Freidberg : L'acteur et le système, éditions du seuil, Paris, 1981, p:388.

³ - M.Crozier : Le phénomène bureaucratique, éditions di seuil, 1963, p:9.

يميز إمكانيات الفعل المتعددة لمختلف "اللاعبين" داخل التنظيم" لا كنهما لا يوليان له الاعتبار في نموذجهما؛ وذلك ما يلاحظه بيار رول (P.Rolle) حين يقول أن: "الورشة ما هي إلا بلورة نشاطات ضمن نسق يتجاوزها إلى حد بعيد جدا، والذي يرسم الشروط الأساسية للتفاعلات التي نلاحظها فيه، نسق لا يمكن للمنظم تجاهله حتى وإن لم يستطع تحويله". وعلى هذا الأساس تقوم الفكرة القائلة بإمكانية وجود تسلسل هرمي لعلاقات سلطة تحددها عوامل خارجية عنها، وذلك ما لا يأخذه تحليل كروزي بالحسبان¹ (...). ومن الانتقادات الموجهة لكروزي أنه ركز على اللعب في التنظيم ومناطق الظل كمصادر للسلطة مع إغفال موارد خارجية مثل رأس المال والقوى البولييسية والانتماء الطبقي والطائفي أو كذلك التأثير الشخصي من طابع مادي وسيكولوجي، وهذا ما ذهب إليه Sansaulieu.

وعموما، يلقي التحليل الإستراتيجي بذلك بعض الصعوبات في إحداث نقلة من السوسيولوجيا الجزئية إلى تحليل المجتمع بصفة عامة، ذلك أن المجموعات الاتصالية التي أسسها، من الفرد إلى الاجتماعي غير موجودة بهذه الصفة. وتعبير آخر لا يمكن اختزال الاجتماعي في التنظيمي وحده الذي يخفي الارتياح مصدر السلطة، إذ من المؤكد وجود قوى من طبيعة أخرى تعبر الاجتماعي، وعلى هذا الأساس نتساءل عن ما إذا لم تمثل الرغبة في وصف كل الحالات الاجتماعية بشبكة تحليل واحدة خطرا؟

في الختام، يرى سانسوليو أن التحليل الاستراتيجي يحول الفاعل إلى نوع من الإنسان الاستراتيجي يشكل الحساب والمساومة وبالتالي العقلانية أهم صفاته. يمتاز الفاعلون بقابلية الإستبدال، كما يظهر الفاعل الجماعي من جهة أخرى بمثابة مركب متجانس من الأفراد المتماثلين، وحسب الكاتب ذاته تكمن "صعوبة هذا التحليل النسقي في الحقيقة في أخذ التمثلات الفكرية وثقافات وقيم ومعايير واديولوجيات بالاعتبار (...). أن لا تفسر دوما وكلية حتمية الأفراد من خلال الثقافة الموروثة والعنف الرمزي الذي تمارسه الثقافات المهيمنة وتعقيد الألعاب العلائقية في تنظيم، فثمة ملاحظة قوة استقلالية الأثر التنظيمي الذي يؤكد عليه الكاتب باستمرار. ولكن هل لهذا السبب تكون لعبة السلطة (jeu de pouvoir) مستقلة عن عالم التمثلات والقيم والمآرب؟ ألا يمثل الفكر أيضا قوة ووساطة لا غنى عنها بين الواقع المدرك والفعل؟ إن الحديث عن الثقافة بصفتها قدرة متدخلة في الألعاب الاستراتيجية هو بالتأكيد طريقة لنقد الحتمية الثقافية (culturalisme) لتعزيز فكرة الحرية في العلاقة، لكننا نندهش لكون الكاتب بقي كتوما حول المشكل الرئيسي للتمثلات والأفكار والثقافات باعتبارها بعدا انسانيا عميقا في كل العلاقات، حتى الاستراتيجية منها².

إن تتبع إسهامات سوسيولوجيا التنظيمات سواء عند فيبر أو عند كروزي يبقى أمرا من الصعب الإحاطة به في مقال معين، وهذا يفتح المجال للمزيد من البحث النظري وضرورة التعقيد المفاهيمي من جهة، وضرورة مسألة واقعنا التنظيمي والمقاولاتي من خلال مدى صدقية هذه البناءات النظرية ونجاحتها في تفكيك البنيات الاجتماعية والثقافية والسياسية لمؤسساتنا بالرغم من أن أغلب هذه النظريات ظهرت في ابستيمي مرتبط بالمجتمعات الصناعية. إن سوسيولوجيا التنظيمات عامة، وإسهامات فيبر وكروزي من بعده، تبقى تخصصا ونقاشا مبررا، خاصة في ظل الوضع الذي يتميز به الحقل التنظيمي في مجتمعاتنا.

قائمة المراجع:

المراجع العربية :

- 1- السيد الحسيني: النظرية الاجتماعية ودراسة التنظيم، دار المعارف، الطبعة الرابعة، 1983.

¹- جان بيار دوران و روبير فايل، نفس المرجع السابق، ص: 333-334.

²- جان بيار دوران و روبير فايل، نفس المرجع السابق، ص: 335-336.

- 2- بن عيسى محمد المهدي: ثقافة المؤسسة: دراسة ميدانية للمؤسسة الاقتصادية العمومية في الجزائر، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2004-2005.
- 3- جان بيار دوران و روبير فايل: علم الاجتماع المعاصر، ترجمة ميلود طواهري، ابن النديم للنشر والتوزيع ودار الروافد الثقافية-ناشرون، الجزائر، الطبعة الأولى، 2012.
- 4- جون سكوت وجوردون مارشال: موسوعة علم الاجتماع، ترجمة أحمد زايد وآخرون، المركز القومي للترجمة، الطبعة الثانية، 2011.
- 5- فيليب كابان وجان فرانسوا دورتيه: علم الاجتماع: من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية، أعلام وتواريخ وتيارات، ترجمة إياس حسن، دار الفرق، الطبعة الأولى، 2010.
- 6- لحبيب معمري: التنظيم في النظرية السوسيولوجية، منشورات ما بعد الحداثة، الطبعة الأولى، 2009.
- 7- محمد على محمد وآخرون: دراسات في علم الاجتماع والانثروبولوجيا، دار المعارف، الطبعة الأولى، مصر، 1975.

المراجع الأجنبية:

- 1- Claude Louche : Psychologie sociale des organisations, éditions Armand Colin, 2 édition, Paris, 2007.
- 2- Jean-pierre Durand , Robert Weil : Sociologie contemporaine, Edition VIGOT-3 édition revue et augmenté, Paris, 2006
- 3- Gilles Herreros : Au-delà de la sociologie des organisations, Sciences sociales et intervention, éditions érès, 2008.
- 4- M.Crozier, E.Friedberg : L'acteur et le système, éditions du seuil, 1977.
- 5- M.crozier, E.Freidberg : L'acteur et le système, éditions du seuil, Paris, 1981.
- 6- M.Crozier : Le phénomène bureaucratique, éditions du seuil, 1963 Michel De Coster, François Pichalt : Traité de sociologie du travail, De Boeck Université, 2édition, Paris, 1988.
- 7- Michel Foudriat : Sociologie des organisations, édition PEASON Education, 2 éditions, 2007.
- 8- Philippe Bernoux : La sociologie des entreprises, éditions du seuil, 1999.
- 9- Raymond Aron : Les étapes de la pensée sociologique, Editions Gallimard, 1967.

سوسيولوجيا التغير الاجتماعي: رؤية نظرية تحليلية

الباحث محمد بو النعناع/كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط، المغرب

ملخص

تحاول هذه الورقة البحث في الأسس النظرية لمفهوم التغير الاجتماعي، باعتباره يشكل مبحثا رئيسيا من مباحث علم الاجتماع. وتعتمد الدراسة على مقارنة نظرية تحليلية، غايتها ضبط وتحديد مفهوم التغير الاجتماعي كما هو مطروح في الأدبيات و الدراسات السوسيولوجية، مع تحليل ومقارنة مختلف التحديدات الموجودة في هذا الباب. كما تهدف هذا المقاربة إلى دراسة ومناقشة أبرز الإسهامات النظرية والميدانية التي قاربت موضوع التغير الاجتماعي، وذلك بغية تقديم إطار نظري رصين يساعد على فهم ودراسات ظواهر التغير الاجتماعي والتحولات المرتبطة به في المجتمعات الراهنة.

الكلمات المفتاحية: التغير الاجتماعي، التحولات الاجتماعية، سوسيولوجيا التغير، النظرية السوسيولوجية.

تمهيد:

غني عن البيان أن التغير الاجتماعي من الظواهر الأساسية التي نالت اهتمام العديد من الباحثين في العلوم الاجتماعية. وذلك لكونه يتصل مباشرة بالحياة الاجتماعية، وتخضع له جميع المجتمعات البسيطة منها والمركبة. وفي هذا الإطار، يمكن القول بأن التغير الاجتماعي هو من أعظم المفاهيم التي احتلت موقعا جوهريا في بناء النظرية السوسيولوجية، «بل إن هناك من الباحثين من اعتبره أساسا لميلاد علم الاجتماع»¹. فقد شكل البحث في مختلف التغيرات الاجتماعية التي حلت بالمجتمعات المعاصرة منبع بروز وتطور الفكر السوسيولوجي، مما ساعد على ظهور وإنتاج تصورات ومقاربات نظرية و إمبريقية عديدة، تسعى كلها إلى فهم وتفسير حقيقة التغير الاجتماعي.

وعلى هذا الأساس، يأتي اهتمامنا في هذا المقال بمفهوم التغير الاجتماعي، نظرا لكونه يعتبر موضوعا يستحق المزيد من الدراسة والتحليل وإعادة القراءة من مختلف زوايا النظر. وفي هذا الاتجاه، يحسن بنا في البداية أن نتساءل عما معنى التغير؟ وماذا نقصد بالتغير الاجتماعي؟ وما هي التعريفات التي أعطيت لهذا المفهوم؟ وكيف تناولته المقاربات النظرية و الإمبريقية؟

1. في معنى التغير والتغير الاجتماعي

يبدو في الوهلة الأولى أن مصطلح التغير يشير من الناحية اللغوية إلى: «التحول وينطوي على الاختلاف، ويقال غيرت الشيء أي جعلته على غير ما كان عليه، أو أصلح من شأنه أو بدله»². أما في الدلالة الفلسفية، فنجد أن «التغير يعني عمل أو فعل يتبدل

¹Alexis Trémoulinas (2006). Sociologie des changements sociaux. Paris : édition la Découverte. p 9.

²مجموعة مؤلفين (2004). المعجم الوسيط. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية. ط 4. ص 692.

بواسطته شيء دائم، أو يتبدل في واحدة أو في كثير من سماته، ويعني كذلك تحول شيء إلى آخر، أو إبدال شيء من شيء آخر¹. ويحتوي التغير أيضا من الناحية اللغوية على معاني أخرى مترابطة فيما بينها: (مثل الاضطراب، التجديد، التبدل، التطور، التدرج، الانتقال والتحسين)².

وفي الواقع، إن مفهوم التغير ليس مفهوما حديثا، بل إن الفكرة ذاتها قديمة قدم الفكر البشري. ويكفي أن ننوه هنا بما ثبت عن الفيلسوف اليوناني القديم هيراقليطس (540-475 ق.م) حينما قال بأن «التغير قانون الوجود والاستقرار "موت وعدم" ومثل لفكرة التغير بجريان الماء فقال: "إنك لا تنزل النهر الواحد مرتين، فإن مياه جديدة تجري من حولك أبدا"³.

وفي ذلك إشارة إلى أن التغير مسألة طبيعية، وحقيقة اجتماعية عامة تشهدها كل المجتمعات الإنسانية بجميع ظواهرها ووقائعها. إذ لا وجود لمجتمع ثابت ثباتا كليا أو مطلقا بحكم تفاعل مجموعة من المتغيرات داخل بنياته الأساسية. كما أن التغير «لا يخضع لإرادة معينة، بل إنه نتيجة لتيارات وعوامل ثقافية واقتصادية وسياسية، يتداخل بعضها في بعض، ويؤثر بعضها في بعض»⁴.

وفي هذا الإطار يذهب عالم الاجتماع الإنجليزي أنتوني غدنز (Antoni Gidnz) إلى القول بأن «التغير الاجتماعي هو تحول في البنى الأساسية للجماعة الاجتماعية أو المجتمع، ويرى غدنز أن التغير الاجتماعي هو ظاهرة ملازمة على الدوام للحياة الاجتماعية»⁵. ولعل ما نفهم من ذلك أن التغير ينطوي في عمقه على نوع من الاستمرارية، لأن التغير على مستوى الواقع الاجتماعي هو عملية مستمرة ومتجددة في آن واحد. كما أن هذا التغير يطال بصفة رئيسية البنيات الاجتماعية الأساسية التي يتشكل منها المجتمع. ومع ذلك، فإنه في حقيقة الأمر هو من الصعب تعريف التغير الاجتماعي كظاهرة ذات دلالة.

وعلى أية حال فإن التغير الاجتماعي يمكن أن يعني «ظهور اختلاف يمكن ملاحظته في "البناء الاجتماعي" أو في "العادات المعروفة" أو في "معدات أو آلات" لم تكن موجودة من قبل»⁶. ولعل ما يمكن أن نستشفه من خلال هذا التعريف أنه يركز بالأساس على عنصر الاختلاف، وهو اختلاف في الأشياء، الأدوار، العلاقات، وفي العادات الاجتماعية... إلخ. وأي اختلاف يطرأ على هذه العناصر على مر الزمن يعتبر في نظر هذا التعريف تغيرا اجتماعيا.

ومن نفس المنطلق عرف سالفادور جينر (Salvador Giner) التغير الاجتماعي بأنه «الاختلاف الملاحظ بين الحالة السابقة والتالية لمنطقة محددة من الواقع الاجتماعي، أو بالأحرى ما يحدث بين مرحلتين بمرور الوقت»⁷. وهنا يظهر عامل الزمن كعنصر أساسي في حدوث التغير الاجتماعي. لأن التغير في الواقع، وعلى الأقل بالنسبة لإميل دوركايم (Emil Durkheim)، «هو قبل كل شيء مرحلة تاريخية انتقالية بين حالتين مستقرتين للمجتمع»⁸.

¹ أندريه لالاند (1996). موسوعة لالاند الفلسفية. تعريب خليل أحمد خليل. بيروت: منشورات عويدات. المجلد الأول. ص 167.

² فاطمة مسدالي (2005). المجتمع القروي الدكالي والتغير المرتبط بتدخل الدولة الزمامرة نموذجا. الرباط: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. ص 4.

³ سعيد فالج الغامدي (1981). البناء القبلي والتحضري في المملكة العربية السعودية. جدة: دار الشروق. ص 107.

⁴ إبراهيم مذكور (1975). معجم العلوم الاجتماعية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص 165.

⁵ أنتوني غدنز (2005). علم الاجتماع. ترجمة فايز الصياغ. بيروت: المنظمة العربية للترجمة. ص 743.

⁶ حنان محمد عبد المجيد (2011). التغير الاجتماعي في الفكر الإسلامي الحديث. فريجنا الأمريكية: المعهد العالي للفكر الإسلامي. ص 32.

⁷ المرجع نفسه. ص 35.

⁸ Alexis Trémoulinas. Op. Cit. p 17.

وعلى نفس المنوال يرى الباحث السوسيولوجي الفرنسي غريغوري لازاريف (Grigori Lazarev) من جهته أن التغير الاجتماعي «هو التحول القابل للملاحظة الذي يؤثر في بنية ووظيفة التنظيم الاجتماعي لجماعة ما، ويغير مجرى تاريخها»¹. ومما يعني ذلك أن التغير الاجتماعي عند لازاريف يكون مرئيا وملموسا ويمكن ملاحظته، كما أنه يمس أساسا عناصر التنظيم الاجتماعي، وله القدرة على تغيير سياقات التحول ومجالاته.

وهو نفس المعنى الذي سبق أن ذهب إليه عالم الاجتماع الفرنسي غي روشي (Guy Rocher) عندما قال «بأن التغير الاجتماعي يتوقف إلى حد ما على التحولات الملحوظة والقابلة للتحقق على مدى فترات زمنية قصيرة. حيث يمكن لنفس الملاحظ أثناء حياته أو حتى فترة وجيزة من حياته، أن يتتبع التطور ويعرف نتيجته، أو ما يمكن اعتباره مؤقتا كنتيجة»². وعلاوة على ذلك، يعرف غي روشي التغير الاجتماعي باعتباره «كل تحول ملحوظ في الزمن، والذي يؤثر بطريقة غير مرحلية أو سريعة الزوال، في بنية أو وظيفة التنظيم الاجتماعي لجماعة معينة ويقوم بتعديل مجرى تاريخها»³.

يضاف إلى ما تقدم، إن التغير الاجتماعي بحسب كل من جيرث (Gerth) وميلز (Mills) «هو ذلك التحول الذي يطرأ على الأدوار الاجتماعية التي يقوم بها الأفراد، وكل ما يطرأ على النظم الاجتماعية، وقواعد الضبط الاجتماعي التي يتضمنها البناء الاجتماعي في مدة معينة من الزمن»⁴. وهذا يعني أن التغير الاجتماعي هو تحول في النظام الاجتماعي، وبموجب هذا التحول فإن «الأفراد يمارسون أدوار اجتماعية مختلفة عن تلك التي كانوا يمارسونها خلال حقبة من الزمن»⁵. ومن ثم فإن التغير الاجتماعي في واقع الأمر، يشير إلى «نمط من العلاقات الاجتماعية في وضع اجتماعي معين يظهر عليه التغير خلال فترة محددة من الزمن»⁶.

وبناء على كل ما سبق عرضه، يمكن اعتبار التغير الاجتماعي هو «كل تحول يقع في التنظيم الاجتماعي سواء في بنائه أو في وظائفه خلال فترة زمنية معينة. وينصب على كل تغيير يقع في التركيب السكاني للمجتمع، أو في بنائه الطبقي، أو نظمه الاجتماعية، أو في أنماط العلاقات الاجتماعية أو في القيم والمعايير التي تؤثر في سلوك الأفراد والتي تحدد مكاناتهم وأدوارهم في مختلف التنظيمات الاجتماعية التي ينتمون إليها»⁷.

كما يمكن تعريف التغير الاجتماعي من منظور هذه الدراسة، باعتباره كل ما يطرأ على البنيات والعلاقات والأدوار والتصورات والممارسات والعادات والقيم والمعايير التي يتكون منها النظام الاجتماعي من تحولات ظاهرة وجهرية، نتيجة تفاعل عدد من المؤثرات والعوامل الداخلية والخارجية. وهي تحولات يمكن ملاحظتها بصور مختلفة ومتنوعة، انطلاقا من متغيرات اجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية وديموغرافية ومجالية محددة.

2. إسهامات نظرية وميدانية في فهم التغير الاجتماعي

مما لا مرية فيه أن فهم سؤال التغير الاجتماعي كان من أهم الإشكالات الكبرى التي شغلت تفكير العديد من المفكرين وعلماء الاجتماع على مر التاريخ. بحيث تعددت طرق فهم إشكالية التغير وتنوعت بحسب تنوع وتعدد زوايا النظر التي ينطلق منها كل

¹Grigori Lazarev (1978). « Changement social et développement : Etudes sociologiques sur le Maroc ». In : B.E.S.M. Rabat : nouvelle édition. p 130.

²Guy Rocher (1968). *Introduction à la sociologie générale : Le changement social*. Édition HMH. Ltée. p17.

³Ibid. p 22.

⁴ دلال استيتية (2008). *التغير الاجتماعي والثقافي*. عمان: دار وائل للنشر والتوزيع. ط 2. ص 21.

⁵ أحمد زايد (2001). *التغير الاجتماعي*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. ط 2. ص 19.

⁶ محمد عاطف غيث (1966). *التغير الاجتماعي والتخطيط*. الإسكندرية: دار المعارف. مطابع رويان. ط 2. ص 17.

⁷ أحمد زكي بدوي (1978). *معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية*. بيروت: مكتبة لبنان. ص 382.

اتجاه معرفي على حدة. وقد تبين في هذا الشأن أن دراسة التغير الاجتماعي «يطرح إشكالات كثيرة سواء على المستوى النظري حيث تعدد النظريات وإحالاتها المرجعية أو على مستوى منهجي صرف، وعلى مستوى كذلك المقاربة والتفسير حيث تصادف تعدد المنظورات والنماذج التفسيرية»¹.

وبناء عليه، فإن البحث في موضوع التغير الاجتماعي يفترض الكثير من الحذر المنهجي، وخصوصاً أثناء التعامل مع الإرث النظري الذي خلفه لنا التراث الأنثروبولوجي والسوسيولوجي. فالمقاربة الرصينة للتغير الاجتماعي تبدأ في الوهلة الأولى من التأصيل النظري للظاهرة. وفي هذا المستوى يكشف لنا تصفح الأدبيات المعاصرة عن زخم كبير من المحاولات الفكرية والعلمية التي تناولت إشكالية التغير. وههنا، تجدر الإشارة إلى أن الاختلاف بين الباحثين وعلماء الاجتماع في تعرضهم للتغير الاجتماعي لم يكن حول التغير كحقيقة أو كمسألة في حد ذاته، وإنما كان الاختلاف حول طرق تفسير هذا التغير وتحديد عوامله وأسبابه.

وفي هذا الصدد، حاول هيربرت سبنسر (Herbert Spenser) أن يفسر تغير (نمو) المجتمعات انطلاقاً من تصور وظيفي للمجتمع، حيث يرى أنه «لا يمكن أن يتم التغير في البناء التركيبي دون حدوث تغيرات في الوظائف والأدوار... نظراً لأن كثيراً من تغيرات البنية في المجتمع تبرزها التغيرات الوظيفية أكثر مما تمكن رؤيتها مباشرة»². ففي هذا الاتجاه بلور سبنسر نظريته الاجتماعية حول التغير أو التطور الاجتماعي، حيث اعتبر أن المجتمع يتطور من حالة المجتمع البسيط مجسداً في الأسرة إلى حالة المجتمع المركب، مجسداً في المجتمعات الصناعية المعاصرة، وبين الحالتين تتمظهر تنظيمات اجتماعية أخرى كالعشيرة والقبيلة.

أما إميل دوركايم (Emil Durkheim) فقد انطلق، في تفسيره لظواهر التغير، من التأكيد على ضرورة التمييز بين الأسباب والوظائف. «ويعتبر بأن الأسباب التي توجد الظواهر مستقلة عن الغايات التي تخدمها. فوجود الأشياء لا يمكن أن يُرد إلى حاجتنا إليها بل إلى أسباب من نوع آخر»³. وفي ذات السياق، اعتبر دوركايم أنه «لتفسير ظاهرة حيوية لا يكفي أن نحدد سببها، بل ينبغي علاوة على ذلك، إيجاد القدر الذي تسهم به في إقرار الانسجام العام»⁴.

ووفق هذا المنظور، كان دوركايم يعتقد أنه يمكن تفسير التغير الاجتماعي بالرجوع إلى العامل الديموغرافي، ويؤكد في كتابه «تقسيم العمل الاجتماعي» على أن الانتقال من التضامن الآلي الذي يميز المجتمع التقليدي، إلى التضامن العضوي الذي يميز المجتمع الحديث، رهين بعامل رئيسي هو ارتفاع الكثافة الديموغرافية في المجتمع.

وضمن نفس التوجه الوظيفي اعتبر عالم الاجتماع الأمريكي تالكوتبارسونز (Talcott Parsons) أنه لتفسير حالة التغير ينبغي الرجوع إلى حالة عدم التغير أي فترة الثبات والتوازن. ويشير إلى ذلك بقوله «لا يمكن أن تظهر مواصفات التغير إذا لم يكن هناك خلفية نسبية لعدم التغير التي يمكن ربطها به»⁵. ويضيف بارسونز قائلاً: «إن بنية النظام الاجتماعي وبنائه، يجب أن

¹ محمد شرقي (2009). التحولات الاجتماعية بالمغرب من التضامن القبلي إلى الفردانية. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق. ص 25.

² هيربرت سبنسر (1984). «نمو المجتمعات». ضمن: التغير الاجتماعي: مصادره، نماذجه ونتائجه. إعداد أميتاي اتزيوني. ترجمة محمد أحمد حنون. دمشق: منشورات وزارة الثقافة. ص 26.

³ المختار الهراس (1995). «الوظيفة والمجتمع: أية علاقة؟». ضمن: المصطلح في الفلسفة والعلوم الإنسانية. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. سلسلة ندوات ومناظرات رقم 42. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة. ص 84.

⁴ المرجع نفسه. ص 84.

⁵ تالكوتبارسونز (1984). «النظريات الوظيفية للتغير». ضمن: التغير الاجتماعي: مصادره، نماذجه ونتائجه. إعداد أميتاي اتزيوني. ترجمة محمد أحمد حنون. دمشق: منشورات وزارة الثقافة. ص 132.

تُميّزًا عن سيرورة التقدم التي تتم داخل النظام وعن التغير المتبادل بين النظام وبيئته¹. «وهذا التمييز بالتأكيد هو تمييز نسبي ولكنه تمييز أساسي ومنظم»².

وهنا، يرى لويس كوسر (Lewis A. Coser) من جهته بأن «التمييز بين تغيرات النظم والتغيرات داخل النظم هو بطبيعة الحال أمر نسبي. لأن هناك دائما نوعا من الاستمرارية بين الماضي والحاضر، أو بين حاضر النظام الاجتماعي ومستقبله»³. ولئن كان الأمر كذلك، فإن تفسيرات التغير الاجتماعي «تتطلب من الباحث أن يحدد العناصر التي تظل ثابتة ومستقرة، باعتبارها المعيار الأساسي الذي تقاس على أساسه درجة التغير اللاحق وحتى في عالمنا الراهن الحافل بالتغيرات السريعة، حيث ثمة استمرارية ودواما بين ما نحن فيه اليوم من جهة والماضي البعيد من جهة أخرى»⁴.

في حين أن نظرية الفعل الاجتماعي تذهب إلى القول بأن الأفعال تتمركز حول مختلف الفاعلين الاجتماعيين، وبالتالي فالتغير يكون نتيجة حدوث فاعلين يقومون في فترات معينة بمجموعة من الأنشطة الاقتصادية أو السياسية التي تساهم في إحداث التغير الاجتماعي. كما تقف نظرية الفعل عند مستويين أساسيين من التغير الاجتماعي: الأول يعتبر أن التغير يقع على مستوى الماكرو أي المجتمع العام الكلي، والثاني يرى بأن التغير يحدث على مستوى الميكرو. وهنا يرى ماكس فيبر (Max Weber) «بأن التغير الاجتماعي يمكن أن يحدث لأسباب عديدة، وبلغة أكثر دقة فإن التغير الاجتماعي متعدد العوامل وفقا لتحليل ماكس فيبر»⁵.

بينما تنطلق النظرية الماركسية في تفسيرها للتغير الاجتماعي من اعتبار أن العامل الاقتصادي هو الموجه للحياة الاجتماعية. ومعنى ذلك أن المجتمع يتأسس على أساس اقتصادي يكمن في علاقات الإنتاج وأنماط الإنتاج السائدة في كل مرحلة تاريخية. وفي هذا المضمار يقول كارل ماركس (Karl Marx): «إن شكل الإنتاج في الحياة المادية هو الذي يبت بالصفة العامة لعمليات الحياة الاجتماعية والسياسية والروحية»⁶. ومن ثمة فإن التغير الاجتماعي يحدث بفعل تغير في التركيب المادي والاقتصادي للمجتمع. بحيث أنه «لما يتغير الأساس الاقتصادي تحدث تغيرات في البنية العليا الهائلة بكاملها وبفلسفة السرعة تقريبا»⁷.

أما نظرية وليام أوبرن (William Ogberن) فتركز أساسا على العوامل الثقافية والتكنولوجية، «ويفترض أوبرن أن الجانب المادي من الثقافة أسبق في التغير، ومن ثم فهو عامل أول في كل التغيرات التي تحدث في البناء الاجتماعي»⁸. كما يرى أوبرن أن التغير الاجتماعي «يحدث عندما يخلق اختراع هام في قطاع معين من الثقافة حالة من عدم التوازن، تتبعها تحولات في القطاعات الثقافية الأخرى من أجل التكيف مع هذا الاختراع الجديد قبل أن يعود التوازن من جديد»⁹. وفي نفس السياق

¹ المرجع نفسه. ص 133.

² المرجع نفسه. ص 134.

³ Lewis A. Coser (1957). «Social Conflict and the Theory of Social Change». In: The British Journal of Sociology. Vol. 8. No. 3 (Sep. 1957). p 201. Accessed: 14/11/2013 12:31. <http://www.jstor.org/stable/586859>

⁴ غدنز. علم الاجتماع. ص 105.

⁵ مصطفى خلف عبد الجواد (2002). قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع. القاهرة: مركز البحوث والدراسات الاجتماعية. ص 56.

⁶ كارل ماركس (1984). «موجز في المادية التاريخية». ضمن: التغير الاجتماعي: مصادره، نماذجه ونتائجه. إعداد أميتاي اتزيوني. ترجمة محمد أحمد حنون. دمشق: منشورات وزارة الثقافة. ص 63.

⁷ المرجع نفسه. ص 63.

⁸ محمد عاطف غيث (1967). دراسات في علم الاجتماع القروي، بيروت: دار النهضة العربية. ص 323.

⁹ لحبيب امعمري (2010). التغير الاجتماعي ورهانات العولمة. فاس: منشورات دار ما بعد الحداثة. الجزء الأول. ص 99.

تدخل كذلك نظرية لويس مامفورد (Louis Mumford) الذي كان يعتبر «أن عامل التقدم التقني هو السبب الرئيسي الذي يفسر التغيرات التي تحدث في المجتمع»¹.

وفي الواقع، يمكن اعتبار روبرت ريدفيلد (Robert Redfield) من أهم الباحثين الذين حاولوا فهم إشكالية التغير الاجتماعي، حيث انطلق في ذلك من دراسة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي عرفتها المجتمعات القروية تحت تأثير المدينة الحديثة. وفي هذا الشأن يقول بأن «فهم المجتمع بشكل عام، ومجتمعنا الحديث والمتمدن على الخصوص، يمكن أن يكون من خلال النظر إلى المجتمعات المتأخرة مثل المجتمعات البدائية والمحلية»². ومن هذا المنطلق كان ريدفيلد يدرك التغير من الخارج، أي أنه يهتم قبل كل شيء بأثر المدينة على الأفراد والثقافة والتنظيم الاجتماعي، وعلى الأخص في نواحيها المباشرة والثنائية.

وفي نفس الإطار ذهب العديد من الباحثين المغاربة والأجانب إلى الاهتمام بدراسة آثار وانعكاسات التغير الاجتماعي في المجتمع المغربي. ومن أهم هؤلاء الباحثين نخص بالذكر: رحمة بورقية، المختار الهراس، عبد الجليل حليم، غريغوري لازاريف، فاطمة مسدالي... وغيرهم. وقد اعتبر بعض من هؤلاء الباحثين السالف ذكرهم، أن فهم إشكالات التغير في القرى المغربية خصوصا يستلزم من ناحية أولى التركيز على الكيفية التي يتم بها التحول، ثم تحديد وتفسير عوامل وميكانيزمات هذا التغير من ناحية ثانية. وفي هذا الشأن اعتبرت الباحثة رحمة بورقية أن «تحليل التحول أو التغير لا ينبغي أن ينطلق من مقارنة معيارية، تطلق عليه حكما إيجابيا أو سلبيا، وإنما من مقارنة تعتبره ظاهرة تاريخية واجتماعية تتطلب الفهم والتفسير»³.

ومن هذه المقاربة التاريخية الاجتماعية انطلق غريغوري لازاريف في دراسته للتغير الاجتماعي بالمغرب، حيث يرى لازاريف أن بؤادر التغير الذي عرفته القرى المغربية ظهرت بشكل جلي بعد الاستقلال، «لكن هذا لا يعني أن جميع عوامل التغير ظهرت خلال هذه الفترة، لأن بعضها بدأ في التأثير منذ زمن بعيد، وتفاعلت مع عوامل جديدة بعد الاستقلال لينتج عنها هذا التغير الاجتماعي الواضح في المجتمع القروي المغربي»⁴.

وقد حدد لازاريف عوامل التغير الاجتماعي في أربعة عناصر أساسية، وهي:⁵ الظواهر الإيديولوجية المرتبطة بالاستقلال، تغلغل الدولة واختراقها للمجال القروي، ثم المشاكل المرتبطة بالتزايد الديموغرافي، وأخيرا تنقيد القرى إن صحت ترجمة كلمة (la monétarisation des campagnes). والتي تعني سيادة ثقافة النقود في العلاقات الاجتماعية وانتشار المعاملات النقدية في أداء الأجور بعد الانتقال من الاقتصاد المعاشي إلى اقتصاد السوق.

أما المختار الهراس فقد حاول البحث في التحولات التي عرفتها مناطق أقصى شمال غرب المغرب خلال المرحلة الاستعمارية وفترة الاستقلال. وهي تحولات تركت أثارا بالغة على التنظيمات القبلية، التي عرفت جراء ذلك المزيد من التآزم والتفكك. ولعل من أبرز مظاهر هذا التحول، في نظر الهراس، «انغلاق "الحياة القبلية" ضمن حدودها الدنيا، وتغير طبيعة الروابط الزبونية،

¹ المرجع نفسه. ص 99.

² Robert Redfield (1947). « The Folk society ». In: *The American journal of sociology*. V 52. N° 4. (Jan 1947). Published by The university of Chicago press. p 293. Accessed: 08/08/2013 19:15. Stable URL: <http://www.jstor.org/stable/2771457>

³ رحمة بورقية (2004). مواقف: قضايا المجتمع المغربي في محك التحول. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة. ص 38.

⁴ Grigori Lazarev (2014). *Ruralité et changement social : Etudes sociologiques*. Rabat : Editeur FLSH Rabat. Impression Bouregreg. p127.

⁵ Ibid. pp 127-132.

إضافة إلى تقليص الحياة المشتركة، بما ترتب عنه من تصدر للنزعات الفردية وفسح المجال أمام تطور علاقات اجتماعية ذات صبغة طبقية متزايدة¹.

ومما سبق، يظهر أن استنتاجات المختار الهراس تنم عن رؤية تحليلية نظرية عميقة للتغير الاجتماعي. ولعل ما يؤكد ذلك، هو ما يخلص إليه في مناسبات علمية أخرى حينما أشار إلى أن «كل مجتمع إنساني يتضمن ديناميات تغير وقوى اجتماعية وسياسية تدفع به في اتجاه أوضاع جديدة، ويحتوي في طياته على ميل "طبيعي" إلى تعديل الكفة واستعادة التوازن، ضمانا للاستمرار وحفاظا على حد أدنى من التماسك الاجتماعي»². ومن هنا يبدو أن الهراس قد تأثر بالنظريات الوظيفية وأصبح لديه توجه وظيفي في تحليلاته وتفسيراته السوسيولوجية. ويتأكد لنا ذلك من خلال طبيعة المفاهيم التي يستعملها، ثم كذلك سعيه إلى البحث عن أسباب قارة مفسرة للتغير الاجتماعي.

خاتمة:

ومجمل القول، إن أهم ما يمكن أن نختم به هذا المقال هو أن التغير الاجتماعي، كما أشارت إلى ذلك الباحثة فاطمة مسدالي، أصبح عنصرا أساسيا في مقاربة مختلف الظواهر الاجتماعية، نظرا لكون أن «حالة السكون المطلق غير ممكنة بالنسبة إلى منظومة متعددة المكونات ومعقدة التركيب مثل: المجتمع»³. وفي المقابل، لاحظ أحد الباحثين أن «الاتجاه الغالب على دراسات التغير الاجتماعي كان ولا يزال ينصب على المجتمعات المتمدنة»⁴. وهو الأمر الذي جعل كثير من المجتمعات البدوية والواحية لم تعرف دراسات كثيرة حول تغيراتها الاجتماعية، باستثناء قلة قليلة من الكتابات التي حاولت مقاربة الموضوع من جوانب مختلفة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: باللغة العربية:

1. كتب ودراسات:

- استيتية دلال (2008). التغير الاجتماعي والثقافي. عمان: دار وائل للنشر والتوزيع. ط 2.
- الغامدي سعيد فالح (1981). البناء القبلي والتحضر في المملكة العربية السعودية. جدة: دار الشروق.
- الهراس المختار (1988). القبيلة والسلطة تطور البنيات الاجتماعية شمال المغرب. المركز الوطني لتنسيق وتخطيط البحث العلمي والتقني. الرباط: مطبعة الرسالة.
- امعمري لحبيب (2010). التغير الاجتماعي ورهانات العولمة. فاس: منشورات دار ما بعد الحداثة. الجزء الأول.
- بدوي أحمد زكي (1978). معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية. بيروت: مكتبة لبنان.
- بورقية رحمة (2004). مواقف: قضايا المجتمع المغربي في محك التحول. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.
- زايد أحمد (2001). التغير الاجتماعي. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. ط 2.

¹ المختار الهراس (1988). القبيلة والسلطة تطور البنيات الاجتماعية شمال المغرب. المركز الوطني لتنسيق وتخطيط البحث العلمي والتقني. الرباط: مطبعة الرسالة. ص 236.

² المختار الهراس (2000/1999). بروز الفرد داخل العائلة في أنجرة: الهوية الاقتصادية، وصراعات الجنس والأجيال. بحث لنيل دكتوراه الدولة في علم الاجتماع تحت إشراف فاطمة المرينسي. كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. ص 244.

³ مسدالي. المجتمع القروي الدكالي. ص 6.

⁴ عاطف غيث. دراسات في علم الاجتماع القروي. ص 325.

- شرقي محمد (2009). التحولات الاجتماعية بالمغرب من التضامن القبلي إلى الفردانية. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.
- عبد الجواد مصطفى خلف (2002). قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع. القاهرة: مركز البحوث والدراسات الاجتماعية.
- عبد المجيد حنان محمد (2011). التغيير الاجتماعي في الفكر الإسلامي الحديث. فرجينيا الأمريكية: المعهد العالي للفكر الإسلامي.
- غدنز أنتوني (2005). علم الاجتماع. ترجمة فايز الصياغ. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- غيث محمد عاطف (1966). التغيير الاجتماعي والتخطيط. الإسكندرية: دار المعارف. مطابع رويان. ط 2.
- غيث محمد عاطف (1967). دراسات في علم الاجتماع القروي. بيروت: دار النهضة العربية.
- لالاند أندريه (1996). موسوعة لالاند الفلسفية. تعريب خليل أحمد خليل. بيروت: منشورات عويدات. المجلد الأول.
- مذكور إبراهيم (1975). معجم العلوم الاجتماعية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- مسدالي فاطمة (2005). المجتمع القروي الدكالي والتغير المرتبط بتدخل الدولة الزمامرة نموذجاً. الرباط: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.
- مجموعة مؤلفين (2004). المعجم الوسيط. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية. ط 4.
- 2. مقالات
- المختار الهراس (1995). «الوظيفة والمجتمع : أية علاقة؟». ضمن: المصطلح في الفلسفة والعلوم الإنسانية. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. سلسلة ندوات ومناظرات رقم 42. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.
- تالكوت بارسونز (1984). «النظريات الوظيفية للتغير». ضمن: التغيير الاجتماعي: مصادره، نماذجه ونتائجه. إعداد أميتاي اتزيوني. ترجمة محمد أحمد حنونة. دمشق: منشورات وزارة الثقافة.
- كارل ماركس (1984). «موجز في المادية التاريخية». ضمن: التغيير الاجتماعي: مصادره، نماذجه ونتائجه. إعداد أميتاي اتزيوني. ترجمة محمد أحمد حنونة. دمشق: منشورات وزارة الثقافة.
- هيربرت سبنسر (1984). «نمو المجتمعات». ضمن: التغيير الاجتماعي: مصادره، نماذجه ونتائجه. إعداد أميتاي اتزيوني. ترجمة محمد أحمد حنونة. دمشق: منشورات وزارة الثقافة.
- 3. أطاح ورسائل جامعية
- المختار الهراس (2000/1999). بروز الفرد داخل العائلة في أنجرة: الهوية الاقتصادية، وصراعات الجنس والأجيال. بحث لنيل دكتوراه الدولة في علم الاجتماع تحت إشراف فاطمة المريني. كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

ثانياً: باللغات الأجنبية:

Alexis Trémoulinas (2006). Sociologie des changements sociaux. Paris : édition la Découverte. Grigori Lazarev (1978). « Changement social et développement : Etudes sociologiques sur le Maroc ». In : B.E.S.M. Rabat : nouvelle édition. Grigori Lazarev (2014). Ruralité et changement social : Etudes sociologiques. Rabat : Editeur FLSH Rabat. Impression Bouregreg. Guy Rocher (1968). Introduction à la sociologie générale : Le changement social. Édition HMH. Ltée. Lewis A. Coser (1957). «Social Conflict and the Theory of Social Change». In: The British Journal of Sociology. Vol. 8. No. 3 (Sep. 1957). p 201. Accessed: 14/11/2013 12:31.



<http://www.jstor.org/stable/586859> Robert Redfield (1947). « The Folk society ». In: The American journal of sociology. V 52. N° 4. (Jan 1947). Published by The university of Chicago press. p 293. Accessed: 08/08/2013 19:15. Stable URL: <http://www.jstor.org/stable/2771457>

سوء التوافق النفسي لدى مدمني الحبوب المهدئة والمنومة (القرقوبي) وعلاقته بالاغتراب النفسي

الباحثة خديجة أنجار/ جامعة محمد الخامس السويسي / المغرب

ملخص:

يستعرض المقال النتائج التي توصلت إليها الباحثة في دراسة موضوع التوافق النفسي لدى مدمني الحبوب المهدئة والمنومة وعلاقته بالاغتراب النفسي، بتوظيف المنهج الوصفي التحليلي والاعتماد على مقياس التوافق النفسي ومقياس الاغتراب النفسي. فدراسة الموضوع ترنو إلى فهم شخصية المدمنين وما يعانونه من ضغوطات واضطرابات نفسية اجتماعية وحتى معرفية، بالإضافة إلى السعي للمساهمة في تسهيل خطوات العلاج للتخلص التام من تعاطي هذا النوع من المخدرات ؛ وذلك بدراسة متغيرات الموضوع رغم أنه معقد يحتاج للكثير من التمحيص والتنقيب من خلال الدراسات والأبحاث العلمية، التي يجب أن تنكب على مفاهيم أخرى مرتبطة بالإدمان على الحبوب المهدئة والمنومة (القرقوبي).

الكلمات المفتاحية : سوء التوافق النفسي / المدمن / الحبوب المهدئة والمنومة / الاغتراب النفسي.

1 - تقديم الإشكالية :

تتخبط فئة من المراهقين والشباب المغربي المدمن، في ظل الأوضاع والتحديات الاقتصادية والتحولت القيمية الاجتماعية في مشاكل عدة؛ ومعانات نفسية اجتماعية سواء في تفاعلاتهم مع الآخرين، أو فيما يخص كذلك توافقيهم السليم مع مكونات المجتمع ومعايير وقيمه، ما أدى بهم إلى صراعات داخلية ذاتية وتفاعلية. هذه الوضعيات المتسمة بنوع من التجربة السلبية تجاه المجتمع والنتيجة عن مواقف التهميش وتبخيس الطاقات والقدرات، وما يصاحبها أيضا من إحساس بالاحباطات والفشل نتيجة الحرمان العاطفي وعدم توفير الرعاية الجيدة وغياب الإحساس بالأمن خلال مراحل النمو الأولى، أدى إلى سوء توافقيهم خاصة مع ذاتهم ومع الأسرة ثم مع محيطهم الاجتماعي. وإن محاولة المدمنين مواجهة هذه الصراعات جعلتهم يرتمون بسهولة في برائين الإدمان على شتى أنواع المخدرات؛ وسأركز خاصة على الحبوب المهدئة والمنومة "القرقوبي" نظرا لتمييز خصائصها وإثارتها أكثر للمدمنين الذين يعانون من مشاكل وصعوبات في التوافق النفسي فهي أقرب ملاذ لهم لنسج عالمهم الخاص والبدل عن الواقع الشائك الذي يعيشونه، ما جعل من بنيتهم النفسية مرتعا لتكون مشاعر وأحاسيس الاغتراب النفسي، المتمثلة في : التمرد والعدوانية وعدم تحقيق الذات والعزلة الاجتماعية أو الانسحاب العلائقي، والشعور بالضياع وعدم الاستقرار الداخلي، بالإضافة إلى غياب أهداف ومشاريع الحياة بسبب طمس كل إمكانيات استثمار القدرات الذاتية في المجالات الحياتية. وكما ذكرت كورني هورني Corny henry فالإغتراب يحيل إلى : " إلى ضغوط داخلية؛ حيث يواجه الفرد معظم نشاطه نحو الوصول إلى أعلى درجات الكمال حتى يحقق ذاته ويصل بنفسه إلى الصورة التي يتصورها، ويصبح غافلا عن واقعه من جراء انشغاله الذاتي، مما قد يؤدي إلى العجز عن اتخاذ القرارات، وبالتالي العيش في حالة من اللاواقعية ويصبح بالتالي وجوده

زائفا¹ وكما أضاف إريك فروم Erick Fromm أن : " الإنسان الذي يعاني من الاغتراب النفسي لم يعد كمركز لعالمه أو كخالق لأفعاله، بل أن أفعاله ونتائجها تصبح بمثابة سيدة عليه يطيعها ويعبدها، أي أنه تصبح له ذات زائفة"² بمعنى آخر أن المدمنين الذين يدخلون في دوامة الاغتراب النفسي لا يحسون بأن هناك رابطة تربطهم بواقعهم حيث يتموضعون في معادلة متشابكة ومتراصة من خلال عملية تأثير وتأثر ويسعى هذا البحث إلى وضع محاولة لدراسة هذه الإشكالية.

2 - أهمية البحث :

تتجلى أهمية البحث في إحاطته بإشكالية مرتبطة بفئة من شباب مجتمعنا المغربي، الذين يعانون من مشكل الإدمان على مواد الحبوب المهدئة والمنومة les psychotropes ، ويسعى إلى تسليط الضوء على أحد أهم العناصر النفسية التي تدفع بالفرد إلى ولوج عالم المخدرات، ويتمثل هذا العنصر في سوء التوافق النفسي وما يخلقه الإدمان من حالة اغتراب نفسي لدى المدمنين. فهذا البحث يسعى إلى فهم أكثر لظاهرة الإدمان على هذا النوع من المخدرات خاصة في ظل ندرة الدراسات، بالإضافة إلى تسهيل عملية وضع برامج علاجية للمدمنين، وذلك بالاستفادة من الجانب الميداني للدراسة والمتمثل في نتائجها التي يمكن للمعالجين وللباحثين في الميدان الاستفادة منها.

3 - أهداف البحث :

يهدف البحث إلى دراسة مظاهر سوء التوافق النفسي، والذي يشمل العلاقة مع الذات ومع الأسرة والأصدقاء والعلاقة مع المحيط العام، بمعنى التعرف على مدى مساهمته وارتباطه كعامل نفسي بإدمان فئة من الشباب على هذا النوع من أنواع المخدرات ومدى مساهمته في اضطراب البنية النفسية للمدمنين واختلال علاقاتهم وتفاعلاتهم الاجتماعية. ويهدف كذلك إلى التعرف على مظاهر الاغتراب النفسي التي يخلفها التعاطي من " عدم تحقيق الذات، التمرد، ضعف الشعور بالانتماء، العزلة فقدان القيمة والهدف من الحياة.." وذلك في ارتباطه ببعض المتغيرات المتحكممة في مستوى الاغتراب لدى المدمنين كمتغير: السن والوضعية مع الأسرة ومدة الإدمان. وفي الأخير أدرج هدف القياس النفسي لمستوى التوافق النفسي في ارتباطه بأبعاد الاغتراب النفسي لدى مدمني الحبوب المهدئة والمنومة

4 - أسئلة إشكالية البحث :

- هل هناك علاقة ارتباطية بين مستوى التوافق النفسي لدى مدمني الحبوب المهدئة والمنومة (القرقوبي) Les psychotropes و الاغتراب النفسي المتمثل في عدم تحقيق الذات، التمرد، العزلة، فقدان الشعور بالانتماء وفقدان الهدف ؟.

- هل المدمنين على الحبوب المهدئة والمنومة لديهم سوء التوافق النفسي بفروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير السن والوضعية مع الأسرة والحالة الاقتصادية (الدخل الشهري للفرد أو الأسرة) ؟

- هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين الأفراد المدمنين على مستوى الاغتراب النفسي تبعا لمتغير السن وعدد سنوات الإدمان ؟

- هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين الأفراد المدمنين في مستوى الاغتراب النفسي تبعا لمتغير الوضعية مع الأسرة (يعيشون مع والديهم؛ يعيشون مع أحدهما ؛ لا يعيشون مع أي منهما ؟

¹ عمران شادية أحمد، 1993، البطالة وعلاقتها بالاغتراب بين الشباب الخريجين، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط. ص. 212.

² فروم أريك (1995)، الاغتراب ، ترجمة، حسن محمد حماد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت. ص (80:37)

5- فرضيات البحث :

نفترض أن هناك علاقة ارتباطية بين مستوى التوافق النفسي لدى مدمني الحبوب المهدئة والمنومة (القرقوبي) والإغتراب النفسي المتمثل في عدم تحقيق الذات، التمرد، العزلة، فقدان الشعور بالانتماء وفقدان الهدف.

- نفترض أن المدمنين على الحبوب المهدئة والمنومة لديهم سوء التوافق النفسي بفروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير السن والوضعية مع الأسرة والحالة الاقتصادية (الدخل الشهري للفرد أو الأسرة)

- نفترض أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين الأفراد المدمنين في مستوى الإغتراب النفسي تبعاً لمتغير السن وعدد سنوات الإدمان.

- نفترض أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين الأفراد المدمنين في مستوى الإغتراب النفسي تبعاً لمتغير الوضعية مع الأسرة (يعيشون مع والديهم؛ يعيشون مع أحدهما : لا يعيشون مع أي منهما).

6 - المفاهيم الإجرائية :

• مفهوم مستوى التوافق النفسي l'ajustement psychologique :

يعبر في هذا البحث عن مدى إشباع الفرد المدمن على الحبوب المهدئة والمنومة لحاجاته ومتطلباته النفسية، وذلك في إطار علاقاته التفاعلية مع أسرته وأصدقائه ومع محيطه العام. وفي ارتباطه بمجموعة من العوامل التي تؤثر سلباً على دينامية التوافق. يشير كارل روجرز Carl Rogers في تعريفه للتوافق إلى كيفية تقدير وإدراك الفرد لذاته، فهو في نظره يحيل إلى : " قدرة الشخص على تقبل الأمور التي يدركها بما فيها ذاته ثم العمل من بعد ذلك على تبنيها في تنظيم شخصيته " ¹ وقد حددت أبعادها في : التوافق الانفعالي والتوافق الأسري والتوافق الاجتماعي.

• مفهوم الإغتراب النفسي Aliénation psychologique :

الإغتراب النفسي مفهوم تناولته العديد من مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية وأفاضت في معانيه وأهميته لدى الكائن الإنساني، وهو في هذا البحث عبارة عن متغير من المتغيرات الأساسية وأقصد به شعور الفرد الداخلي بالتباعد والانفصال عن ذاته وواقعه ومحيطه بالرغم من كونه يعيش ويتعايش داخله لكن دون انسجام أو تناغم. أي أنه لا يحس بانتماء هويته النفسية إلى محيطه، وقد حددته في مجموعة من الأبعاد المتمثلة في : عدم تحقيق الذات والتمرد والعزلة والعجز فقدان الهدف وضعف الشعور بالانتماء.

• مفهوم الحبوب المهدئة والمنومة (القرقوبي) Les psychotropes :

وهي عبارة عن مجموعة من العقاقير التي يطلق عليها فرمكولوجيا ديازيبام Diazepam وتستعمل لعلاج القلق والانفعالات وعلاج الأرق وآلام العضلات ² ... وذلك بوصفة طبية، ويلجأ المدمنون إلى هذه العقاقير لمفعولها التخديري وتأثيراتها. وهي ما يصطلح عليها في البيئة المغربية بالقرقوبي. ومن بين هذه العقاقير :

¹ مصطفى فهي، 1979، التوافق الشخصي والاجتماعي، مكتبة الخزناجي للنشر، القاهرة ص. 23

² Allain (p)، Hallucinogène et société، cannabis et Peyolh، phénomènes culturelles et mondes de l'imaginaire، p : 12

Valium – Imovane – Lexomil 6 mg – Rivotril - Roche - Artane – Nordaz - Tesmesta ¹

● المدمنون Les toxicomanes :

هم متعاطي الحبوب المهدئة والمنومة (القرقوبي). والذين تتراوح أعمارهم بين 14 و 28 سنة.

7- منهج وتقنيات البحث :

معلوم أن اختلاف مواضيع البحوث يؤدي إلى اختلاف المناهج والأدوات الموظفة، حيث يختار الباحث المنهج الملائم والمتوافق لدراسة موضوعه. وقد اتبعت في دراسة موضوع: التوافق النفسي لدى مدمني الحبوب المهدئة والمنومة (القرقوبي) وعلاقته بالاغتراب النفسي" ، على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يحاول وصف طبيعة الظاهرة موضوع البحث، ويشمل ذلك تحليل بنيتها وبيان العلاقة بين مكوناتها. كما أنه منهج علمي يمكن من الكشف عن خبايا العناصر المرتبطة بالإشكالية، وبالتالي فموضوع الدراسة يستدعي عملية الوصف والتحليل بناء على البيانات المحصل عليها من خلال مقياس الاغتراب النفسي للباحثة رغداء نعيصة وهي دكتورة في علم النفس بكلية علوم التربية جامعة دمشق. ومقياس التوافق النفسي ليهيوم بل (1934)، نقله إلى اللغة العربية محمد عثمان نجاتي سنة (1960).

8- مجالات البحث :

أ - المكان والزمان : أجري هذا البحث في جامعة محمد الخامس السويسي- كلية علوم التربية خلال السنة الدراسية 2012-2013 . وفيما يخص مكان إجراء البحث الميداني فقد أجري بالمركز الوطني للعلاج والوقاية والبحث في الإدمان بالمستشفى النفسي الجامعي الرازي. وأيضا بالجمعية المغربية لمساعدة أطفال في وضعية صعبة التابع لمؤسسة أحمد بن زايد آل نهيان للرعاية الاجتماعية بمنطقة عين عتيق.

ب - المجال البشري : شمل البحث مجموعة من مدمني الحبوب المهدئة والمنومة (القرقوبي) وعددهم 20 مدمن، منهم من في مرحلة العلاج بالمركز الوطني للعلاج والوقاية والبحث في الإدمان بالمستشفى النفسي الجامعي الرازي ومدمنين من المركز الاجتماعي عين عتيق.

9 - عينة البحث :

تتكون من 20 مدمن على الحبوب المهدئة والمنومة (القرقوبي) من مختلف الأعمار من المركز الوطني للعلاج والوقاية والبحث في الإدمان بالمستشفى النفسي الجامعي الرازي. ومن المركز الاجتماعي عين عتيق.

● وصف عينة البحث :

طبق مقياس التوافق النفسي ومقياس الاغتراب النفسي، على عينة تحتوي على 20 مدمن على الحبوب المهدئة والمنومة (القرقوبي)، مختلفين من حيث السن ومدة الإدمان والمستوى الاقتصادي (الدخل الشهري للفرد أو الأسرة) وأيضا من حيث الوضعية مع الأسرة. وسأدرج توزيع هذه العينة حسب هذه المتغيرات.

¹ Jamal TAOUFIK, (2007), précis de chimie thérapeutique. Collection médika université Mohamed V souissi faculté de médecine et pharmacie. P 115

الجدول رقم (1) : توزيع عينة البحث حسب السن :

السن	العدد	النسبة المئوية
من 14 إلى 20 سنة	14	70 %
من 21 إلى 28 سنة	6	30 %
المجموع	20	100

يبين الجدول (1) توزيع عينة البحث حسب متغير السن، فعدد المدمنين الذين يمثلون أعلى نسبة بمعدل 70% هم الفئة المتراوحة عمرهم من 14 إلى 20 سنة وهي التي تضمن عددا من المراهقين، في حين تشكل نسبة المدمنين المتراوحة أعمارهم من 21 إلى 28 سنة 30 % وهي فئة الشباب الأقل نسبة.

الجدول (2): توزيع عينة البحث حسب الوضعية الاقتصادية (الدخل الشهري للفرد أو الأسرة):

السن	العدد	النسبة المئوية
أقل من 2000 درهم	15	75 %
أكثر من 2000 درهم	5	25 %
المجموع	20	100 %

يبين الجدول (2) توزيع عينة البحث حسب متغير الوضعية الاقتصادية (دخل الفرد الأسرة الشهري)، فعدد المدمنين الذين يمثلون أعلى نسبة بمعدل 75% هم الفئة التي تحصل على دخل أقل من 2000 درهم، أما الفئة التي دخلها أكثر من 2000 درهم فهي تمثل أقل نسبة من الأفراد ب 25%.

الجدول (3) : توزيع العينة حسب سنوات الإدمان:

عدد سنوات الإدمان	العدد	النسبة المئوية
من سنة إلى 5 سنوات	12	60 %
من 6 إلى 10 سنوات	8	40 %
المجموع	20	100 %

يبين الجدول (3) نسب توزيع عينة البحث المكونة من 20 مدمنا على الحبوب المهدئة والمنومة، حسب سنوات الإدمان لدى هذه العينة. حيث يمثل الأفراد المدمنين من سنة إلى 5 سنوات نسبة 60%، مقابل 40 % بالنسبة للمدمنين من 6 إلى 10 سنوات.

الجدول (4) : توزيع عينة البحث حسب الوضعية مع الأسرة :

الوضعية الأسرية	العدد	النسبة المئوية
يعيش مع والديه	9	45%
يعيش مع أحد والديه	6	30 %
لا يعيش مع أي منهما	5	25 %
المجموع	20	100 %

الجدول الأخير المتعلق بمتغيرات البحث يبين توزيع عينة البحث حسب الوضعية مع الأسرة، المدرجة في ثلاث حالات : الحالة التي يعيش فيها المدمنون مع والديهم وتمثل نسبتهم 45% وهي أعلى نسبة مقارنة بالحالة التي يعيش فيها المدمنون مع أحد والديهم بنسبة 30%، وأقل نسبة متعلقة بالأفراد المدمنون الذين لا يعيشون مع أي من والديهم ويمثلون 25%.

تمهيد :

قبل عرض نتائج فرضيات البحث لا بأس أن أشير في البداية إلى مستوى التوافق النفسي ومستوى الشعور بالاعترا ب النفسي لدى عينة البحث:

كما تقدم سلفا أن المفحوصين تحدد درجاتهم على مقياس التوافق النفسي بالإجابة ب (نعم - لا). وتعطى درجتين كأكبر درجة للإجابة على العبارات السالبة ودرجة للإجابات الإيجابية. وبالتالي فإن أقصى درجة يمكن للمفحوص الحصول عليها هي 210، وأقل درجة يمكن الحصول هي 105 فكلما حصل الفرد المدمن على درجة أكبر كلما دل ذلك على سوء توافقه النفسي. وقد تم حساب المتوسط الحسابي للعينة، وهو 129.45 والانحراف المعياري 5.01 ما يدل على سوء التوافق لدى العينة.

أما درجات المفحوصين على مقياس الاعترا ب النفسي فتحدد درجاتهم على سلم ثلاثي (موافق - محايد - موافق جدا). وتكون الدرجة القصوى التي يمكن للمدمن على الحبوب المهدئة والمنومة (القرقوبي) الحصول عليها هي 210، في حين الدرجة الدنيا التي يمكن أن يحصل عليها هي 70، أما الدرجة المتوسطة فهي 140 وهي التي يتم بموجبها الحكم إذا كان أفراد العينة لديهم اعترا ب نفسي أم لا. فكلما كانت الدرجة المحصل عليها أكثر من 140 كلما دل ذلك على الاعترا ب النفسي لدى المدمن. وقد تم حساب المتوسط الحسابي لدرجات العينة على مقياس الاعترا ب النفسي فكانت النتيجة أن المتوسط الحسابي هو 164.45 وبالتالي يتضح وجود اعترا ب نفسي لدى عينة البحث.

10- عرض نتائج الفرضية الأولى المتعلقة بمقياس التوافق النفسي :

أفترض أن المدمنين على الحبوب المهدئة والمنومة لديهم سوء التوافق النفسي بفروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير السن والوضعية مع الأسرة والحالة الاقتصادية، وذلك باستخدام اختبار T-test. وقد جاءت النتائج كالتالي :

الجدول (5): سوء التوافق النفسي لدى مدمني الحبوب المهدئة والمنومة (القرقوبي) بفروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير السن :

مقياس	السن	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدلالة
التوافق النفسي	من 12 إلى 19 سنة	14	185.07	8.25	دال 0.000
	من 20 إلى 28 سنة	6	173.50	6.83	

تبين نتائج الجدول (5)، وجود فروق بين المتوسطات الحسابية لدرجات المدمنين على الحبوب المهدئة والمنومة (القرقوبي) على مقياس التوافق النفسي حسب متغير السن، حيث حصلت فئة المدمنين المتراوحة أعمارهم بين 12 إلى 19 سنة؛ والذين يبلغ عددهم 14 مدمنا على الحبوب المهدئة والمنومة على متوسط حسابي بلغ 185.07 وهي درجة عالية تدل على سوء التوافق النفسي وانحراف معياري 8.25، في حين حصلت فئة المدمنين المتراوحة أعمارهم من 20 إلى 28 سنة وعددهم 6 مدمنين على متوسط حسابي يدل أيضا على سوء التوافق النفسي لكن بشكل أقل مقارنة مع الفئة الأولى وبلغ هذا المتوسط 173.50 وانحراف معياري 6.83 أما مستوى الدلالة فهو 0.000 وهو دال لأنه أقل من 0.05.

الجدول (6) : يبين نتائج سوء التوافق النفسي لدى مدمني الحبوب المهدئة والمنومة (القرقوبي) بفروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير الوضعية مع الأسرة :

مقياس	الوضعية مع الأسرة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدلالة
التوافق النفسي	يعيش مع والديه	9	169.33	6.88	دال 0.000
	يعيش مع أحد والديه	6	187.66	7.73	
	لا يعيش معهما	5	191.80	3.11	

نلاحظ من خلال نتائج الجدول رقم (6) الفروق بين الأفراد المدمنين في درجات سوء التوافق النفسي تبعا لمتغير الوضعية مع الأسرة، حيث أفرزت النتائج أعلى متوسط حسابي لدرجات الأفراد لفائدة المدمنين الذين لا يعيشون مع أي من والديهم حيث بلغ 191.80 بانحراف معياري 3.11 وعددهم 5 مدمنين، تليه فئة 6 أفراد من المدمنين الذين يعيشون مع أحد والديهم بمتوسط حسابي بلغ 187.66 وانحراف معياري 7.73 وهذين المتوسطين عاليين مقارنة مع المتوسط الحسابي للمدمنين الذين يعيشون مع والديهم، والذي بلغ 169.33 وانحراف معياري 6.88، وعددهم 9 أفراد. ما يدل على أن المدمنين يعيشون سوء التوافق

النفسي لكن بدرجات مختلفة، ويستدل على هذا الاختلاف بمستوى الدلالة الذي بلغ 0.000 المبين في الجدول وهو أقل من (0.05).

الجدول (7) : نتائج مستوى التوافق النفسي لدى مدمني الحبوب المهدئة والمنومة (القرقوبي) بفروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير الوضعية الاقتصادية (الدخل الشهري للفرد أو الأسرة) :

مقياس التوافق النفسي	الوضعية الاقتصادية (الدخل الشهري للفرد أو الأسرة)	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدلالة
دال 0.000	أقل من 2000 درهم	15	185.93	7.75	
	أكثر من 2000 درهم	5	173.60	7.63	

يوضح الجدول (7) الفروق بين المدمنين في مستوى سوء التوافق النفسي تبعاً لمتغير الدخل الشهري للفرد أو الأسرة، وقد بلغ المتوسط الحسابي للفئة التي دخلها أقل من 2000 درهم والبالغ عددها 15 مدمناً على الحبوب المهدئة والمنومة (القرقوبي) 185.93 بانحراف معياري 7.75 وهي درجة مرتفعة مقارنة بالمتوسط الحسابي لدرجات الأفراد الذين لهم أيضاً درجة تدل على سوء التوافق النفسي ثانوي بـ 173.60 وبانحراف معياري قدر بـ 7.63، أما مستوى الدلالة فهو 0.000 وأقل من 0.05 بمعنى أنه دال.

وبالتالي نقبل الفرضية التي تقول أن المدمنين على الحبوب المهدئة والمنومة لديهم سوء التوافق النفسي بفروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير السن والوضعية مع الأسرة والحالة الاقتصادية .

11 - عرض نتائج الفرضية الثانية المتعلقة بمقياس الاغتراب النفسي :

أفترض أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين الأفراد المدمنين على الحبوب المهدئة والمنومة في مستوى الإغتراب النفسي تبعاً لمتغير السن وعدد سنوات الإدمان .

- الجدول (8): يوضح الفروق الفردية بين المدمنين في مستوى الإغتراب النفسي تبعا لمتغير السن :

مقياس	السن	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدلالة
الاغتراب النفسي	من 12 إلى 19 سنة	14	172.14	9.9	دال 0.000
	من 20 إلى 28 سنة	6	160.66	7.18	

نلاحظ من خلال النتائج الواردة في الجدول (8)، وجود فروق بين المتوسطات الحسابية لدرجات الاغتراب النفسي لدى المدمنين حسب متغير السن، حيث حصلت فئة المدمنين المتراوحة أعمارهم بين 12 إلى 19 سنة والذين يبلغ عددهم 14 مدمنا على الحبوب المهدئة والمنومة على متوسط حسابي قدر ب 172.14 وانحراف معياري 9.9، في حين حصلت فئة المدمنين المتراوحة أعمارهم من 20 إلى 28 سنة وعددهم 6 مدمنين على متوسط حسابي 160.66 وانحراف معياري 7.18 أما مستوى الدلالة فهو 0.000 وهو أقل من (0.05) وبالتالي فهو دال.

الجدول (9): الفروق الفردية بين المدمنين في مستوى الإغتراب النفسي تبعا لمتغير عدد سنوات الإدمان :

مقياس	عدد سنوات الإدمان	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدلالة
الاغتراب النفسي	من سنة إلى 5 سنوات	12	171.25	8.76	دال 0.000
	من 6 إلى 10 سنوات	8	167	8.73	

يتضح من خلال الجدول (9)، وجود فروق بين المتوسطات الحسابية لدرجات الاغتراب لدى المدمنين حسب متغير عدد سنوات الإدمان، فالأفراد المدمنين المتراوحة عدد سنوات الإدمان لديهم من سنة إلى 5 سنوات وعددهم 12، بلغ المتوسط الحسابي لدرجات الاغتراب النفسي لديهم 171.25 بانحراف معياري قدره 8.76 وهي درجة عالية مقارنة بالمتوسط الحسابي لدرجات الأفراد المدمنين البالغ عددهم

8 أفراد مدمنين، والتي تقدر ب 167 وبانحراف معياري بلغ 8.73 أما مستوى الدلالة فهو 0.000 وهو أقل من (0.05) ما يؤكد وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المدمنين تبعاً لعدد سنوات الإدمان. عرض نتائج الفرضية الثالثة المتعلقة بمقياس الاغتراب النفسي :
أفترض أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين الأفراد المدمنين على الحبوب المهدئة والمنومة في مستوى الإغتراب النفسي تبعاً لمتغير الوضعية مع الأسرة.

جدول (10) : الفروق الفردية بين المدمنين في مستوى الإغتراب النفسي تبعاً لمتغير الوضعية مع الأسرة :

104

مقياس	الوضعية مع الأسرة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدلالة
الاغتراب النفسي	يعيش مع والديه	9	160.88	6.79	دال 0.000
	يعيش مع أحد والديه	6	171.66	4.50	
	لا يعيش مع أي منهما	5	179.20	5.02	

توضح نتائج الجدول رقم (10) الفروق بين الأفراد المدمنين في مستوى الاغتراب النفسي تبعاً لمتغير الوضعية مع الأسرة، حيث أفرزت النتائج أعلى متوسط حسابي لدرجات الأفراد على مقياس الاغتراب النفسي لفائدة المدمنين الذين لا يعيشون مع أي من والديهم حيث بلغ 179.20 وبانحراف معياري 5.02 وعددهم 5 مدمنين، تليه فئة 6 أفراد من المدمنين الذين يعيشون مع أحد والديهم بمتوسط حسابي بلغ 171.66 وبانحراف معياري 4.50 ، في حين أن فئة المدمنين الذين يعيشون مع والديهم بلغ متوسط الحسابي على مقياس الاغتراب النفسي 160.88 وبانحراف معياري 6.79، وقد بلغ مستوى الدلالة 0.000 وهو أقل من (0.05) وبالتالي وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الأفراد المدمنين على الحبوب المهدئة والمنومة تبعاً للوضعية مع الأسرة.

12 - تحليل ومناقشة نتائج الفرضيات :

بعد عرض نتائج الفرضيات المحصل عليها من خلال المعالجة الإحصائية لبيانات المقياسين المعتمدين في موضوع البحث، فيما يلي مناقشة النتائج الخاصة بكل فرضية.

○ تحليل ومناقشة نتائج الفرضية الأولى المتعلقة بمقياس التوافق النفسي :

لقد أظهرت النتائج أن المدمنين على الحبوب المهدئة والمنومة (القرقوبي) لديهم سوء التوافق النفسي بفروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير السن والوضعية مع الأسرة والحالة الاقتصادية.

اتضح لنا من خلال الجدول (5) أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين المدمنين على مستوى التوافق النفسي، حيث أظهرت أن لديهم سوء التوافق لكن مع وجود فروق بين متوسطات درجات الأفراد حسب السن. وتتفق هذه النتائج مع نتائج دراسة مصطفى فهي (1982) في دراسته " سيكولوجية التعاطي " والتي أكدت أن المدمنين تغلب عليهم سمة اللاتوافق في الأبعاد التالية: التوافق الأسري والتوافق الصحي والتوافق الانفعالي كما يشعرون بالضيق ويتمردون على السلطة بكافة أشكالها. في

حين تختلف هذه النتيجة مع ما توصل إليه عبد الرحمن عبيد العازمي¹ (2008) في دراسته حول " التوافق النفسي والاجتماعي وعلاقته بالإدمان لدى عينة من نزلاء المصحات النفسية بالملكة السعودية "، حيث أظهرت عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى التوافق النفسي والاجتماعي تعزى لمتغير السن لدى المدمنين على المخدرات.

ويمكن تفسير هذه النتيجة بالرجوع إلى خصوصية كل فترة عمرية، فالمدمنين الذين حصلوا على درجات مرتفعة ودالة على سوء التوافق النفسي هم المتراوحه أعمارهم من 12 إلى 19 سنة. وهذه الفترة تحيل إلى مرحلة المراهقة، التي يسعى فيها الأفراد إلى إشباع حاجاتهم النفسية والاجتماعية، بالإضافة إلى أنها مرحلة تكوين الذات ومحاولة جعل الآخر يعترف بأن لهم ذات مستقلة ومسؤولة لها هويتها الخاصة، وهذا ما قصده أيضا سفيان نبيل حين أبرز أهمية " إشباع الفرد لحاجاته النفسية، وتقبله لذاته، واستمتاعه بحياة خالية من التوترات، والصراعات والاضطرابات النفسية، واستمتاعه بعلاقات اجتماعية حميمة، ومشاركته في الأنشطة الاجتماعية، وتقبله لعادات وتقاليد وقيم مجتمعه"². وبالتالي فالمرهقون الذين لا يشعرون بالانتماء واعتراف الآخر والأمن، ويشعرون بغياب النظرة الايجابية لذاتهم خاصة إذا كانت من طرف المحيطين بهم كالأسرة، فهذا ما يدفعهم إلى سوء التوافق النفسي مع الذات ومع الأسرة ومع المجتمع. وأشار أيضا إلى أن الجانب الانفعالي يلعب دورا هاما في سوء التوافق، فالمدمنون على الحبوب المهدئة والمنومة (القرقوبي) المتراوحه أعمارهم من 12 إلى 19 سنة كانت درجاتهم على العبارات الدالة على التوافق الانفعالي مرتفعة مقارنة مع المتراوحه أعمارهم من 20 إلى 28 سنة والذين كانت درجاتهم أيضا تشير إلى أن لديهم سوء التوافق النفسي لكن بشكل أقل من الفئة الأولى، و يمكن إرجاع ذلك إلى أن لديهم نضجا في بعض القدرات التي لم تشكل بعد لدى المدمنين المراهقين خاصة في علاقتهم مع ذاتهم. وبالعودة إلى نظرية ألبرت إليس Albert Ellis نجد أنه تحدث عن دور المعتقدات اللاعقلانية في ظهور الاضطرابات والانفعالات حيث يرى " أن المشاعر السلبية لا تسببها الأحداث أو حتى الأعمال السيئة ولكنها تحدث نتيجة للأفكار اللاعقلانية التي لدينا عن تلك الأعمال "³، وهذا ما يمكن أن أفسر به أيضا النتائج التي توصلنا إليها، فالمدمنون على الحبوب المهدئة يلجأون إلى تعاطي العقاقير كمحاولة هروب من واقعهم ومن مشاكل حياتهم مع محيطهم، وهذا ما أسماه أليس بالانسمام مع مواد الإدمان.

من جهة أخرى أظهرت النتائج أيضا أن المدمنين على الحبوب المهدئة والمنومة (القرقوبي) لديهم سوء التوافق النفسي بفروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير الوضعية مع الأسرة. لفائدة المدمنين الذين لا يعيشون مع أي من والديهم، ثم يليهم الذين يعيشون مع أحد والديهم، ثم الذين يعيشون مع والديهم. ما يبين أن الأسرة تلعب دورا في توازنهم وتوافقهم، وهذا ما أكدته النموذج الاجتماعي من خلال النسق النمائي للأسرة، حيث اعتبر نمو الفرد قرين بالنمو السليم للأسرة فهي مرجعية الفرد في سلوكاته وتصرفاته. بالإضافة إلى أن الأسرة التي تعرف تفككا نتيجة غياب أحد الوالدين أو الموت أو الطلاق أو عدم الاهتمام بالأبناء ... يؤثر سلبا على الفرد ويعيق ذلك إشباع حاجاته النفسية والاجتماعية ما يجعله يحس بسوء التوافق فيلجأ إلى الإدمان كآلية للتعويض. وأفسر أيضا نتيجة هذه الفرضية، بأهمية حضور صورة الأب والأم في مراحل نمو الفرد، فالمدمنين الذين لا يعيشون مع أي من والديهم كانت درجاتهم تدل على سوء توافق نفسي مرتفع، ويرجع ذلك إلى الحرمان العاطفي وأنهم

¹ عبد الرحمن عبيد العازمي، 2008، التوافق النفسي والاجتماعي وعلاقته بالإدمان لدى عينة من المدمنين في المستشفيات الأمل، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

² سفيان نبيل، 2004، المختصر في الشخصية والإرشاد النفسي المفهوم- النظرية- النمو- التوافق- الاضطرابات، الطبعة الأولى، كلية التربية تعز. ص. 153

³ عبد الهادي عصام عبد اللطيف، 1997، أثر العلاج العقلاني الانفعالي في خفض العدوانية لدى المراهقين. رسالة دكتوراه جامعة الزقازيق مصر. ص. 33.

لم يتلقوا الرعاية الكافية خاصة في ظل غياب الأم والأب أو غياب أحدهما. فغياب الأم يؤثر كثيرا على الجانب العاطفي الانفعالي وغياب الأب يعني غياب عنصر هام في تكوين البنية النفسية للمدمنين، فكما أوضحت نظرية التحليل النفسي على أن تكمص صورة الأب بالإضافة إلى الصراعات الأوديبية لها دور في تشكل هذه البنية، بمعنى أن الأب في مراحل معينة يكون عدوا ولكن في مراحل أخرى يكون نموذجا. وبالتالي فغياب أحدهما يحيل إلى فقدان حلقة من حلقات سلسلة النمو المتوافق. حيث بين فينكل أن الإدمان: "عصاب اندفاعي ناشئ عن ظروف أسرية صعبة، أدت إلى نشوء إحباطات فمية في الطفولة؛ لذا فإن الشخص الذي يصبح مدمن هو في أساسه التكويني شخص يتصف بالانرجسية والمطالبة. حيث يكون التعاطي بالنسبة له وظيفيا يحقق من خلاله أدوار متعدد، فالتعاطي يعمل بمثابة مسكن ومخفف للإحباط والغضب وكوسيلة للتخلص من احتقار الذات الماسوشي؛ وإشباع رمزي للحاجة إلى الحب والعطف. وتلك كلها أعراض وظيفية تتناسج مع بعضها في الدائرة المفرغة العصابية"¹. من هنا يمكننا أن نضيف أنهم يحسون أمام الحرمان الذي طالهم من قبل الأسرة ووضعيتهم معها؛ أنهم بلا مرجعية انتمائية ولهذا نجد العديد منهم ينخرطون في جماعة أصدقاء تحكمها معايير وقوانين وهوية جماعية لها نفس الأهداف والاهتمامات، فذلك يجعلهم أكثر تعاطفا وتلاحما بينهم. وتتفق نتائج هذه الفرضية مع نظرية ودراسات إريك إريكسون Erik Erikson، الذي أولى أهمية كبرى لخبرات الطفولة السابقة ومدى تأثيرها في توجيه وتكوين شخصية الفرد، وذلك من خلال ضرورة توفير الحب فالذين لا يتلقون ما يكفي منه يكونون غير قادرين على مواجهة الأزمات في مسيرة حياتهم وبالتالي يقعون في بؤرة سوء التوافق النفسي. ولتجاوز العجز وعدم القدرة على المواجهة فإنهم يلجأون إلى الحبوب المهدئة والمنومة (القرقوبي) لتمنحهم القوة والحماية ولتسد الثغرات النفسية التي خلفها غياب الوالدين في مراحل من مسار حياتهم. وما رعى انتباهي أيضا أن حتى المدمنين الذين يعيشون مع والديهم حصلوا على درجات تدل على سوء توافقهم النفسي لكن بشكل أقل من الفئة المذكورة سلفا، وأفسر ذلك بوجود مشاكل مع الآباء وصراعات بين أفراد الأسرة، خاصة من حيث أساليب التنشئة التي عبر العديد منهم من خلال إجاباتهم على عبارات المقياس أنها سلطوية، وآخرون استخلصت من إجاباتهم أنها تتميز باللامبالاة.

بينت أيضا نتائج الفرضية في شقها المتعلق بالحالة الاقتصادية للمدمنين المتمثل في الدخل الشهري للفرد أو الأسرة. أن لديهم سوء توافق نفسي بفروق ذات دلالة إحصائية حسب متغير الحالة الاقتصادية لفائدة المدمنين الذين يقل دخلهم عن 2000 درهم. وأفسر هذه النتيجة بأن المدمنين على هذا النوع من المخدر يعيشون مشاكل نتيجة تدني مستوى المعيشة وعدم توفر الحاجات الضرورية لديهم، بل في كثير من الأحيان يواجهنا من جهة ضغط تحمل مسؤولية مصاريف الأسرة. والبحث عن موارد لسد حاجياتها. من جهة أخرى مواجهة مشاكل البطالة وعدم توفر فرص الشغل، ما يؤدي بفئة من هؤلاء المدمنين إلى البحث عن مصادر غير شرعية لكسب المال ولهذا نجدهم يتعاطون عقاقير الحبوب المهدئة والمنومة (القرقوبي) للنسيان والقدرة على مواجهة مشاكلهم، بالإضافة إلى المتاجرة فيها وفي أنواع أخرى من المخدرات بغية الحصول على المال. وبالتالي فهي مصدر المتعة والنسيان ومصدر لحل المشاكل المادية. أما المدمنون الذين دخلهم الشهري أكثر من 2000 درهم، فمتوسط درجاتهم على المقياس يحيل إلى سوء توافقهم لكن بفروق طفيفة مقارنة مع الفئة الأولى. ما يجعلنا نخلص إلى أن توفر الجانب المادي الاقتصادي يلعب دورا هاما في تحقيق التوازن والتوافق النفسي، أي أن كلما تحسنت الوضعية الاقتصادية كلما قل الشعور بسوء التوافق.

○ تحليل ومناقشة نتائج الفرضية الثانية المتعلقة بمقياس الاغتراب النفسي :

¹ سلسلة تشخيص الاضطرابات النفسية: اضطراب التعاطي والإدمان 2000، مكتب الإنماء الاجتماعي، الكويت. ص. 94.

أظهرت نتائج الفرضية الثانية أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين الأفراد المدمنين على الحبوب المهدئة والمنومة في مستوى الإغتراب النفسي تبعاً لمتغير السن، فالمدمنين الذين يتراوح عمرهم من 12 إلى 19 سنة حصلوا على درجات اغتراب نفسي عالية؛ مقارنة مع المدمنين المتراوحة أعمارهم من 20 إلى 28 سنة الذين حصلوا على درجات متوسطة. وهم نزلاء بمركز علاج الإدمان. ويمثلون الفئة الراشدة وهذا ما يمكن أن أفسر به أن لديهم اغتراب نفسي لكن بشكل أقل من الفئة المتراوحة عمرها من 12 إلى 19 سنة. وهنا لابد من لفت الانتباه إلى أن نسق الشخصية وخصائص الأبعاد النفسية للفرد، ليست آلية جاهزة يمكن للفرد اللجوء إليها وقتما يشاء، ولكنها تتأثر أساساً وتتطور مع العمر ونتيجة للخبرات المتراكمة في حياة الفرد وتفاعلها مع استعداده وما يطرأ على واقعه من تغيرات، ولذا فإننا قد نلمس بأن المدمنين ذوي الفئات العمرية الكبيرة - نتيجة للخبرات المتراكمة - ربما يكونوا أكثر دراية ونضج في تقبل الحياة وقيم المجتمع التي رفضوها في مرحلة معينة من حياتهم والتي كانت السبب الرئيسي وراء إدمانهم على الحبوب المهدئة والمنومة، بمعنى آخر أنهم أصبحوا يحسون بضرورة إعادة المعنى والاستقرار لحياتهم كما أصبحوا يتمتعون بالوعي بأهمية العلاج، من خلال مواجهة الأسباب التي أدت بهم إلى الإدمان والعمل على التحكم في مشاكلهم ومواجهتها بدل الاستسلام لها. ما ساعدهم على خفض حدة الشعور بالاغتراب النفسي ونبت كل مظاهره العدوانية من تمرد على الذات وعلى الآخرين والعمل على إحياء الجانب العاطفي والتفاعلي لديهم خاصة مع أفراد الأسرة والمجتمع، بالإضافة إلى العمل على تحقيق الذات بوضع خطط وأهداف لمسار مستقبلهم. في حين فئة المدمنين صغار السن هم في مرحلة المراهقة، وكما يرى كالابريس Kalabres بأن "المراهقين أكثر عرضة للاغتراب وأنهم لا يملكون الحصانة ضد هذه المشاعر وأن مواصفات الاغتراب هي بمثابة مظاهر النمو والتطور للمراهقين، بالإضافة إلى ذلك وجود التقاليد والعادات الاجتماعية والمثيرات والضغوط التي يتعرضون لها والتي تزيد من مشاعر الاغتراب لديهم"¹، فهذه الفئة إذن من المدمنين لهم خصائص تؤثر في قدراتهم خاصة المتعلقة بإرادة التحكم في الانفعال واتخاذ القرار. فكثيراً ما نجد هذه الفئة من المدمنين يعيشون في عالم غير مفهوم، تسود فيه مظاهر التعبير بالعنف والسلوكيات العدوانية، أي أن التعاطي يحقق لهم فرصة التعبير بحرية عن رفضهم للصراعات والمشاكل التي يعيشونها، ورفض المعايير والوضعيات التي تقيد حريتهم وتسبب لهم سوء التوافق النفسي. والتعبير عن هذا الرفض يكون عبر مظاهر الاغتراب النفسي؛ المتمثلة في التمرد كإحداث الشغب والفضوى والاعتداء على الآخرين (وكثيراً ما يتجلى هذا في شغب الملاعب وفي تخريب الممتلكات العمومية والسرقة...)، بالإضافة إلى السلوكيات العدوانية تجاه الآخرين. وبالتالي فما لم يستطيعوا التعبير عنه في حالة الوعي يعبرون عنه وهم في حالة اللاوعي، عبر تناول عقاقير الحبوب المهدئة والمنومة (القرقوبي) دون غيرها من المخدرات، فهي التي تنقلهم إلى عالم الاغتراب، وتتفق هذه النتيجة مع ما ذكره إريك فروم Erick fromm في نظريته حول كون "الإنسان الذي يعاني من الاغتراب النفسي لم يعد كمركز لعالمه أو كخالق لأفعاله، بل أن أفعاله ونتائجها تصبح بمثابة سيده عليه يطيعها ويعبدها، أي أنه تصبح له ذات زائفة"².

تحليل ومناقشة نتائج الفرضية الثالثة المتعلقة بمقياس الاغتراب النفسي :

خلصت نتائج الفرضية الثالثة إلى أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين المدمنين على مستوى الإغتراب النفسي تبعاً لمتغير الوضعية مع الأسرة لفائدة المدمنين الذين لا يعيشون مع والديهم (نتيجة رفض العيش معهم والتسكع مع جماعة الأصدقاء)، ثم تلهم فئة الذين يعيشون مع أحدهما فقط (إما بسبب حالات الطلاق أو موت أحد الوالدين أو غياب أحدهما لأسباب أخرى). وتتفق هذه النتيجة مع بعض النتائج التي توصل إليها الغامدي (1989) في دراسته "الخصائص العقلية والانفعالية والخلقية

¹ محمد إبراهيم ، مجلة الإرشاد النفسي، مقال بعنوان "دراسة تحليلية للاغتراب وعلاقته ببعض المتغيرات النفسية لدى الشباب" العدد 6. (1997)، ص 10

² فروم أريك (1995)، الاغتراب، ترجمة، حسن محمد حماد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت. ص (37:80)

لدمني المنهات ومدمني المهدئات"، حيث خلص إلى وجود فروق ذات دلالة بين المدمنين في مجموعة من الأبعاد من بينها البعد الأسري ونقد الذات. وأفسر هذه النتيجة بأن هذه الفئة من المدمنين هم الأكثر تمرداً وممارسة للعنف على الأسرة ورفض الانتماء إليها وإحداث القطيعة معها، خاصة وكما تبين في نتائج سابقة من هذا البحث أنهم يعانون من سوء التوافق معها، بمعنى أن الأسرة لم تتمكن من إشباع حاجاتهم النفسية خاصة ما يتعلق بالعطف والحنان والأمن في المراحل الأولى من النمو؛ ما أدى بهم إلى عدم تحقيق هويتهم النفسية الاجتماعية، فغياب الأسرة في حياة المدمن يعني غياب الاتجاهات الإيجابية تجاه مواقف الحياة وغياب المعايير والقيم والإحساس بالعجز في أن يحيوا أو أن يقيموا علاقات تفاعلية مع المحيطين بهم، وكما قال حافظ أحمد فإن الفرد في هذه الوضعية "يعي بالصراع القائم بين ذاته وبين البيئة المحيطة به بصورة تتجسد في الشعور بعدم الإنتماء والسخط والقلق والعدوانية، وما يصاحب ذلك من سلوك سلبي أو شعور بفقدان المعنى واللامبالاة ومركزية الذات والانعزال الاجتماعي وما يصاحبه من أعراض إكلينيكية"¹ وأيضاً عدم القدرة على مواجهة الصعوبات. وبالتالي فإن اللجوء إلى الحبوب المهدئة والمنونة هي التي تلبي لهم ما افتقدوه من حاجات وعناية نفسية.

خاتمة :

من خلال مناقشة وتحليل نتائج فرضيات البحث، يتبين أن المدمنين كلما كانوا غير متوافقين نفسياً مع ذاتهم وفي علاقاتهم مع الأسرة ومع المجتمع، كلما زادت وتفاقت مظاهر الاغتراب النفسي لديهم. ثم كلما انغمسوا أكثر في تعاطي الحبوب المهدئة والمنومة. وبالتالي فالدراسة خلصت إلى نتيجة مفادها وجود علاقة سببية بين متغيرات موضوع البحث. آخذين بعين الاعتبار أن النتائج رهينة بالشروط والأدوات الموظفة لجمع البيانات والمعالجة الإحصائية، ما يفتح المجال لمناقشة هذه النتائج والتوسع فيها أكثر في بحوث أخرى باعتماد المتغيرات التي لم تشملها الدراسة.

في الختام أشير إلى أن هذه الدراسة بمثابة لبنة متواضعة من اللبنة المساهمة في إثراء دائرة العلم والمعرفة الأكاديمية التي تسعى إلى خدمة الفرد والمجتمع، غير أن ثمة حاجة ماسة لمزيد من البحث والاستقصاء حول موضوع مستوى التوافق النفسي لدى مدمني الحبوب المهدئة والمنومة (القرقوبي) وعلاقته بالاغتراب النفسي، فالموضوع لا يزال يحتوي على خبايا عدة، ما يفتح أبواب التنقيب أمام الباحثين والأخصائيين سواء بتبني المقاربة النفسية بأنواعها أو المقاربة الاجتماعية أو الطبية.

قائمة المراجع:

1. أحمد أوزي، 2013، سيكولوجية الطفل: نظريات النمو النفسي، الطبعة الثالثة. الرباط
2. _ مصطفى حجازي، 2005، الإنسان المهدور دراسة نفسية اجتماعية، الطبعة الأولى، نشر المركز الثقافي العربي الدار البيضاء. المغرب
3. محمد التويجري 1999/1998، ظاهرة تعاطي المخدرات من خلال دراسة سيكوسوسيولوجية عن القنب الهندي وآثاره. أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الآداب تخصص علم النفس الاجتماعي. الرباط. المغرب

¹ حافظ أحمد خيرى، 1980، سيكولوجية الإغتراب لدى طلاب الجامعة، رسالة دكتوراة، كلية الآداب عين شمس. ص. 97.

4. عمران شادية أحمد، 1993، البطالة وعلاقتها بالاغتراب بين الشباب الخريجين، رسالة دكتوراه، كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط. مصر
5. فروم أريك (1995)، الاغتراب، ترجمة، حسن محمد حماد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت. لبنان
6. قماز فريدة 2009، عوامل الخطر والوقاية من تعاطي الشباب للمخدرات، رسالة ماستر في علم اجتماع التنمية جامعة قسنطينة. جمهورية الجزائر
7. سفيان نبيل، 2004، المختصر في الشخصية والإرشاد النفسي المفهوم- النظرية- النمو- التوافق- الاضطرابات، الطبعة الأولى، كلية التربية تعز.
8. صلاح أحمد مرحاب، سيكولوجية التوافق النفسي ومستوى الطموح، دراسة مقارنة بين الجنسين في مرحلة المراهقة بالمغرب، دار الأمان، الرباط.
9. عبد الرحمن عبيد العازمي، 2008، التوافق النفسي والاجتماعي وعلاقته بالإدمان لدى عينة من المدمنين في المستشفيات الأمل، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
10. عادل الدمرداش، 1978، الإدمان مظاهره وعلاجه، عالم المعرفة، العدد 56. الكويت
11. بليك أرون، 2001، ترجمة عادل مصطفى وغسان يعقوب، العلاج المعرفي والاضطرابات الانفعالية، دار النهضة العربية، بيروت لبنان
12. حافظ أحمد خيرى، 1980، سيكولوجية الإغتراب لدى طلاب الجامعة، رسالة دكتوراه، كلية الآداب عين شمس.
13. محمد ابراهيم، 1997، مجلة الإرشاد النفسي، مقال بعنوان "دراسة تحليلية للاغتراب وعلاقته ببعض المتغيرات النفسية لدى الشباب" العدد 6.
14. سلسلة تشخيص الاضطرابات النفسية: اضطراب التعاطي والإدمان 2000، مكتب الإنماء الاجتماعي، الكويت.
15. مياسا محمد، 1997، الصحة النفسية والأمراض النفسية والعقلية، دار الجيل بيروت.
16. مصطفى فهمي، 1979، التوافق الشخصي والاجتماعي، مكتبة الخزناجي للنشر، القاهرة.

●المراجع باللغة الأجنبية :

- 17-Jean BERGRET ; M.FAIN et BANDOULIER. 1981) . Le psychanalyste à l'écoute du toxicomane. Paris Dunod،
- 18-Braconnier A (1973) ، Toxicomanies Juvéniles et suicide. thèse de doctorat en médecine، université de Paris V. Pierre Descartes.
- 19-Allain (p). Hallucinogène et société. cannabis et Peyolh. phénomènes culturelles et mondes de l'imaginaire.
- 20-Jamal TAOUFIK، (2007)، precis de chimie therapeutique. Collection médika université Mohamed V souissi faculté de médecine et pharmacie.
- 21-N° de contrôle de la présentation : 146277 version s-a 6.0



datée du 13 octobre 2011. Sanofi-aventis Canada Inc.

22-Kineston K.(1965). The uncommitted : Alienation youth in American society. Harcourt. Brace & world Inc
N.Y.

تغير حجم السكان المهاجرين في دولة الإمارات العربية المتحدة 1975 – 2010 م

د. علي عبيد مبارك المنصوري/إدارة جمارك أبوظبي، الغويقات

ملخص:

شهدت المنطقة العربية في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين تحولات إقتصادية وإجتماعية وسياسية كبيرة، أثرت على نمط توزيع السكان في الوطن العربي وخاصة دولة الإمارات العربية المتحدة، وذلك من خلال تحركات العمالة بين أقطارها، وصاحبت الإنجازات السياسية والاقتصادية التي حققها الإمارات منذ تأسيسها قفزة ضخمة في الظروف الاجتماعية، وكان تأثير التغير الاجتماعي ملحوظاً، وبصفة خاصة في انعدام التوازن السكاني والذي كان سببه الهجرة واسعة النطاق والتحديث، ففي نهاية عام 2010م، فقد المكتب الوطني الإماراتي للإحصاء تعداد سكان الإمارات بأنه قد بلغ 8.26 مليون نسمة بزيادة قدرها 65 بالمائة عن عام 2006م والتي كان تعداد السكان حينها 5.01 مليون نسمة، كان أغلب هذا الارتفاع بسبب ارتفاع الطلب على العمالة في أبوظبي ودبي، الأمر الذي خفض إلى حد ما في ضوء تباطؤ النشاط الاقتصادي، وقُدِّر عدد السكان المواطنين بأنه قد زاد من 851.164 في عام 2006 إلى 947.997 في عام 2010⁽¹⁾.

كلمات مفتاحية: السكان، المهاجرين، الهجرة، الوافدين، الامارات العربية المتحدة.

حدود منطقة الدراسة:

الإمارات العربية المتحدة هي دولة إتحادية تقع في شرق شبه الجزيرة العربية في جنوب غرب قارة آسيا مطلة على الشاطئ الجنوبي للخليج العربي، لها حدود بحرية مشتركة من الشمال الغربي مع دولة قطر ومن الغرب حدود برية وبحرية مع المملكة العربية السعودية ومن الجنوب الشرقي مع سلطنة عُمان، تبلغ مساحة دولة الامارات العربية المتحدة نحو 86716 كيلومتر مربع، تأتي تسمية الإمارات نسبة إلى الإمارات السبع التي شكلت إتحاداً فيما بينها وهي، إمارة أبوظبي وإمارة دبي وإمارة الشارقة وإمارة رأس الخيمة وإمارة عجمان وإمارة أم القيوين وإمارة الفجيرة، وتقع دولة الإمارات العربية المتحدة بين دائرتي عرض (22° و 26.5°) درجة شمالاً وخطي طول (51° و 56.5°) درجة شرقاً.

أسباب اختيار الموضوع:

جاء اختيار موضوع تغير حجم السكان المهاجرين في دولة الإمارات العربية المتحدة نتيجة لعدة أسباب:

1. ان موضوع الهجرة يعد من الموضوعات المهمة والاصيلة في جغرافيا السكان.
2. كون اقليم الدراسة الامارات العربية المتحدة إقليماً جاذباً للسكان "الهجرة الدولية".
3. رصد التغيرات التي حدثت داخل إمارات المنطقة نتيجة تصاعد تيارات الهجرة إليها.
4. دراسة أهم المشكلات الناتجة عن الهجرة الى مدن الامارات العربية المتحدة ومحاولة تصور حلول مناسبة لها.

(1) المركز الوطني للإحصاء، دولة الإمارات العربية المتحدة، 2010م.

5. ندرة الدراسات الجغرافية التي تناولت هذا الموضوع، حيث تمثلت دراسة بعض الاشارات في الكتب والدراسات الخاصة بجغرافية الامارات العربية المتحدة.

6. تزويد المكتبة الجغرافية بتلك الدراسة المهمة لاستكمال الدراسات الخاصة بالهجرة والسكان في دولة الامارات العربية المتحدة.

أهداف الدراسة:

تهدف دراسة تغير حجم السكان المهاجرين في دولة الإمارات العربية المتحدة إلى:

1. دراسة التطور الحجمي للمهاجرين إلى الامارات ومعدلاتها داخل المنطقة ومراحل تطورها، وذلك من خلال التعرف على حجم الهجرة في كل مرحلة ونوعها وسياسة الدولة تجاهها.

2. دراسة تيارات الهجرة من خلال تحليل مصادر اتجاهات الهجرة الوافدة وصافي الهجرة.

3. رصد وتقييم الآثار المترتبة على الهجرة من تغير خصائص المهاجرين وتركيبهم والنمو الحضري.

4. دراسة مشكلات المهاجرين في المنطقة وامكانيات التنمية، ومحاولة التنبؤ بحجم الهجرة في المستقبل.

أهمية الدراسة:

هناك أهميتان لدراسة هذا الموضوع، تتمثلان في:

1. أهمية أكاديمية: وتتمثل في ان الموضوع يمثل جانباً مهماً من جوانب الدراسة في جغرافية السكان ينبغي دراسته.

2. أهمية تطبيقية: وتتمثل في اعداد دراسة تساعد الاجهزة المسؤولة عن الهجرة الوافدة الى الامارات العربية المتحدة، والمهتمة بهذه القضية في وضع السياسات المناسبة حتى يتم تنظيم هذه الظاهرة وتعظيم ايجابياتها والحد من سلبياتها.

مشكلة الدراسة:

ترجع جذور ظاهرة الهجرة في المنطقة الى كونها من المناطق المهمة على مستوى الخليج العربي من الناحية التنموية خاصة في النصف الثاني من القرن العشرين، فتؤدي الهجرة الى تغير خصائص السكان واعادة توزيعهم، وتكمن المشكلة هنا في - ما أثر الهجرة الوافدة على معدلات النمو السكاني؟ وهل تؤثر في توزيع السكان وكثافتهم؟ وما هي تيارات الهجرة الرئيسية والثانوية في المنطقة؟ وما عوامل الجذب التي تؤدي الى هذه الهجرة؟ وما علاقة معدلات التنمية بحجم الهجرة الوافدة الى المنطقة؟ وما اثار الهجرة على المهاجرين انفسهم؟ وآثارها على المنطقة باعتبارها مكان الوصول؟ وما المشكلات التي يعاني منها المهاجرون بعد الهجرة.

مناهج واساليب الدراسة:

تم إتباع بعض المناهج التي تساعد في معالجة مختلف جوانب الظاهرة، ومن بين هذه المناهج، المنهج التاريخي الذي اعتمدت عليه الدراسة في تحليل مراحل تطور الهجرة الى الامارات العربية المتحدة وحجمها ومعدلاتها وانماطها، ورصد التغيرات التي اصاب تيارات الهجرة من حيث الحجم والاتجاه وايضا، وتحليل التغيرات التي طرأت على خصائص المهاجرين وعوامل وآثار الهجرة.

هذا فيما يتعلق بمناهج البحث، اما بالنسبة لاساليب معالجة الموضوع فشمل الأسلوب الوصفي الذي تم الإستعانة به عند دراسة وتحليل تطور حجم الهجرة ومعدلاتها وتيارات الهجرة بالمنطقة وخصائص المهاجرين ومقارنة بالسكان الاصليين، وعوامل الجذب بالمنطقة والآثار المترتبة على الهجرة ومستقبلها.

كما تم إستخدام الأسلوب الكرتوغرافي والذي يعد من أهم الأساليب الجغرافية لتمثيل البيانات الإحصائية المختلفة في صورة أشكال بيانية وخرائط مختلفة المقاييس.

مقدمة:

ارتبط تاريخ المجتمعات البشرية بتدفقات الهجرة من خلال الفتوحات وتكوين الدول والاستعمار، وقد أحدث كل هذا على مر الزمن شبكات هجرة تطورت على إيقاع التحولات الظرفية، وقد تمخض كل هذا عن "عولمة الهجرات" وازدياد عدد الدول الموفدة والمستقبلة ودول العبور ليتعدى عدد المهاجرين في العالم سنة 2009م 200 مليون شخص، أي حوالي 3% من سكان العالم، وتشكل البلدان العربية مجاًلاً لحركات الهجرة هذه.

وبسبب هذه الأهمية أصبحت الهجرة موضوعاً يكاد يكون يومياً لوسائل الإعلام تتناول جميع حثياتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، مما حفز الأمم المتحدة بدورها إلى الاهتمام بهذا الموضوع، وقامت في اجتماعها خلال الدورة 61 لسنة 2006 باعتماد قرار يدعو إلى عقد منتدى دولي سنوي يعالج قضايا الهجرة الدولية.

ومع تكوّن جاليات مهمة في حجمها (سواء بصيغة قانونية أو غير قانونية)، أصبحت هذه تشكل مكوناً أساسياً في العلاقات بين الدول المستقبلية والدول الموفدة، وخاصة بعد أن تحول مشروع الهجرة بالنسبة للسود الأعظم من المهاجرين من مشروع مؤقت إلى إقامة دائمة، ولكن رغم هذا التحول ظلت هذه الجاليات على ارتباط وطيد مع بلدانها الأم على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

ولقد تعرضت دولة الإمارات العربية المتحدة لتغيرات إقتصادية كبيرة في أعقاب حرب أكتوبر (تشرين) 1973م، تمثلت في الإرتفاع الحاد الذي شهدته أسعار النفط نتيجة لقيام الدول العربية بحظر بيع نفطها إلى الدول الصناعية، مما أدى إلى إشتداد الطلب عليه، فقد إرتفعت عائدات تصدير النفط في البلدان العربية النفطية من خمسة مليارات دولار عام 1970م إلى خمسين مليار دولار في عام 1975م، ثم قفزت إلى المئتي مليار في عام 1980م⁽¹⁾، وأدى ذلك إلى ارتفاع معدلات النمو الإقتصادي في الامارات العربية المتحدة وقامت تتبنى خطط تنمية طموحة تحتاج إلى أعداد كبيرة من العمالة لتنفيذها، حيث أنها تعاني من نقص في القوى العاملة الوطنية نتيجة صغر حجمها السكاني وإنخفاض عدد النشيطون إقتصادياً قامت باستقدام عمالة ماهرة وغير ماهرة من الدول العربية التي تمتلك فائضاً في قوتها العاملة مثل مصر والأردن واليمن، وتعتبر هذه الفترة هي فترة إزدهار الهجرة في دولة الإمارات العربية المتحدة والتي إمتدت من منتصف الستينيات إلى منتصف الثمانينيات من القرن العشرين.

وشهد النصف الثاني من ثمانينيات القرن الماضي عودة العديد من العمال العرب إلى أقطارهم الأصلية نتيجة لتبني الحكومة في دولة الإمارات العربية المتحدة لسياسات سكانية تهدف إلى خفض العمالة الوافدة والإستغناء عن جزء كبير منها. وقد تبنت دولة الإمارات العربية المتحدة تلك السياسات بعد الإنخفاض الكبير الذي شهدته أسعار النفط، حيث انخفضت عائدات بيعه في البلاد العربية الأعضاء في منظمة الأوبك من مئتي مليار دولار عام 1980م إلى خمسين مليار دولار عام 1987م⁽²⁾.

(1) نادر فرجاني، الهجرة إلى النفط: أبعاد الهجرة للعمل في البلدان النفطية وأثرها على التنمية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984م، ص34.

(2) المركز الوطني للإحصاء، دولة الإمارات العربية المتحدة.

واستمر تيار العودة خلال النصف الثاني من عقد الثمانينيات حتى بلغ ذروته في بداية التسعينيات نتيجة للغزو العراقي للكويت، وفرار العديد من العمال العرب إلى أقطارهم الأصلية، ولكن بعد إستقرار الأوضاع السياسية والأمنية نوعاً ما في المنطقة بعد حرب الخليج الثانية بدأ تيار الهجرة في النمو التدريجي مرة أخرى.

ويرى كثير من الباحثين العرب أن الاختلال السكاني هو أخطر ما يواجهه أقطار الخليج العربي، ويبرز مصدر الخطورة عندما تشكل العمالة الأجنبية الوافدة في بعض الأقطار الخليجية ومن ضمنها الإمارات العربية المتحدة الغالبية العظمى من السكان بوجه عام.

كما ترى أغلب المصادر التي تناولت قضية الهجرة والعمالة الأجنبية في منطقة الخليج، إن لم تكن جميعها تقريباً، أن الاعتماد على تلك العمالة سيستمر على الأقل في المستقبل القريب، خاصة إذا استمرت السياسات المتبعة حالياً في تلك المجتمعات، وعليه فإن السكان المحليين سيتحولون إلى أقلية في معظم الأقطار الخليجية باستمرار هذه الهجرة الوافدة.

ورغم كثرة الحديث عن ظاهرة الخلل السكاني في بلدان مجلس التعاون لدول الخليج العربية منذ أكثر من أربعة عقود، فإن هذه المشكلة الهيكلية في دولة الإمارات العربية المتحدة مازالت تتفاقم حتى وقتنا الحاضر وتندّر بمخاطر مصيرية، فيما تقف الإجراءات التي تم اتخاذها بهذا الشأن على المستويين الأهلي والحكومي، والتي تبدو في ظاهرها مشددة، عاجزة عن إيقاف تفاقم مشاكل الخلل السكاني والهجرة، ومعالجة المشكلات الناجمة عنهما⁽¹⁾، والتي من أهمها: انتشار البطالة بين المواطنين وإخراجهم من سوق العمل، ونشوء نمط جديد من الاحتياجات الاستهلاكية الهامشية التي تعتمد على العمالة الوافدة، فضلاً عن عدم إدراك هذه الدول لطبيعة الظروف الطارئة للعمالة الوافدة في البلدان المكتظة بالسكان بسبب البطالة الهيكلية المتزايدة في دول العالم النامي.

ومما لا شك فيه، أن التركيب السكاني في دولة الإمارات ما زال يشكل أحد الهواجس المقلقة، التي تحتاج إلى عناية فائقة على كل المستويات، ولا ينبغي ترك هذا الأمر هالماً لا يصل الباحث فيه إلى نتيجة واضحة، فمن المعلوم أن دولة الإمارات تمثل حالة فريدة من هذه الناحية مقارنة بكل دول الخليج الأخرى.

لقد كانت ظروف الحياة قبل النفط عاملاً من عوامل الطرد لسكان دولة الإمارات، نتيجة لسوء الأحوال الاقتصادية، خصوصاً بعد تدهور صناعة اللؤلؤ الطبيعي ومنافسة اللؤلؤ الياباني له، مما دفع ما يزيد عن (18.000) شخص من سكان الإمارات للهجرة إلى كل من البحرين والكويت والسعودية للعمل هناك. كما دل إحصاء سنة 1968 الرسمي أن (58.33%)⁽¹⁾ من سكان الإمارات كانوا يعيشون في إمارتي أبوظبي ودبي مما أثر على التركيبة السكانية في هاتين الإمارتين من حيث السن والنوع، لاسيما مع تدفق المهاجرين إليها من الداخل والخارج، فيما ظلت هذه التركيبة متوازنة من حيث نسبة الذكور إلى الإناث ونسبة الكبار إلى الصغار في بقية الإمارات.

ويرجع هذا الاختلال في التركيبة السكانية إلى النسبة الكبيرة من المهاجرين الموجودة في المجتمع؛ حيث يبين لنا نفس الإحصاء أن 37% من مجموع السكان كانوا من المهاجرين، الذين أحدثوا تغييراً جذرياً في الهرم السكاني؛ لأن معظمهم من الذكور ومن فئات السن القابلة للعمل.

(1) عبدالله العوضي، التغير السكاني والعامل الاجتماعي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2010م، ص 72.

(1) المركز الوطني للإحصاء، دولة الإمارات العربية المتحدة، 2010م.

لقد وجد بعض العلماء أن ثمة علاقة ما بين معدلات الهجرة وبعض الخصائص الديمغرافية للمهاجرين؛ فقد اتضح أن هناك علاقة بين الهجرة وعامل السن؛ إذ أثبتت الدراسات أن الأفراد في سن العشرين والثلاثين يهاجرون في العادة أكثر من فئات السن الأخرى؛ لأنهم يكونون قادرين على تحمل أعباء السفر، أما من حيث النوع فقد اتضح أنه كلما زادت المسافة بين مكاني الهجرة زادت نسبة المهاجرين من الذكور إلى إجمالي عدد المهاجرين، كما ترتفع معدلات الهجرة بين غير المتزوجين عنها بين المتزوجين؛ نظراً لما تفرضه على أصحابها من أعباء مالية ونفسية، حتى يتوفر لها الاستقرار في المكان المهاجر إليه.

لقد مر النمو السكاني في دولة الإمارات العربية المتحدة بمرحلتين أساسيتين: الأولى: قبل اكتشاف النفط بكميات تجارية؛ حيث كان النمو السكاني بطيئاً وبمعدل لا يتعدى 1% سنوياً. أما المرحلة الثانية فهي الممتدة من 1975م حتى يومنا هذا، وقد شهدت هذه المرحلة طفرة واسعة في معدلات النمو السكاني؛ ففي السبعينات وصل معدل النمو إلى 15% سنوياً؛ حيث ارتفع عدد السكان من 200

جدول (1) تغير عدد السكان المواطنين والمهاجرون في دولة الإمارات العربية المتحدة للفترة من 1975م – 2010م

التعداد	المواطنون		المهاجرون		الجملة	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%
1975	201,544	6	356,343	2	557,887	3
1980	290,544	9	751,555	5	1,042,099	6
1985	396,114	12	983,189	7	1,379,303	8
1995	587,330	18	1,823,711	13	2,411,041	14
2005	825,495	25	3,280,932	23	4,106,427	23
2010	947,997	29	7,316,073	50	8,264,070	47

المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على تعداد الدولة 1975 – 2010م.

جدول رقم (2) تغير حجم السكان المواطنين في دولة الامارات العربية المتحدة موزعاً على امارات الدولة للفترة 1975 – 2010م.

العام	1975	1980	1985	1995	2005	2010
الإمارة						
أبوظبي	54,886	792.90	982,135	627,222	277,350	546,404
دبي	816,50	516.62	692.76	741,107	573,137	029,168
الشارقة	227,41	495.60	403.79	921,106	272,138	365,153
عجمان	442.7	376.13	253.19	832.28	231.39	186.42
أم القيوين	458.4	845.5	841.8	032.13	873.15	482.17
رأس الخيمة	613,29	148.39	317,49	376.67	848.87	529.97
الفجيرة	102,13	372.18	626.26	801.40	421.56	860.64
جملة الدولة	544,201	544,290	114,396	330,587	495,825	997,947

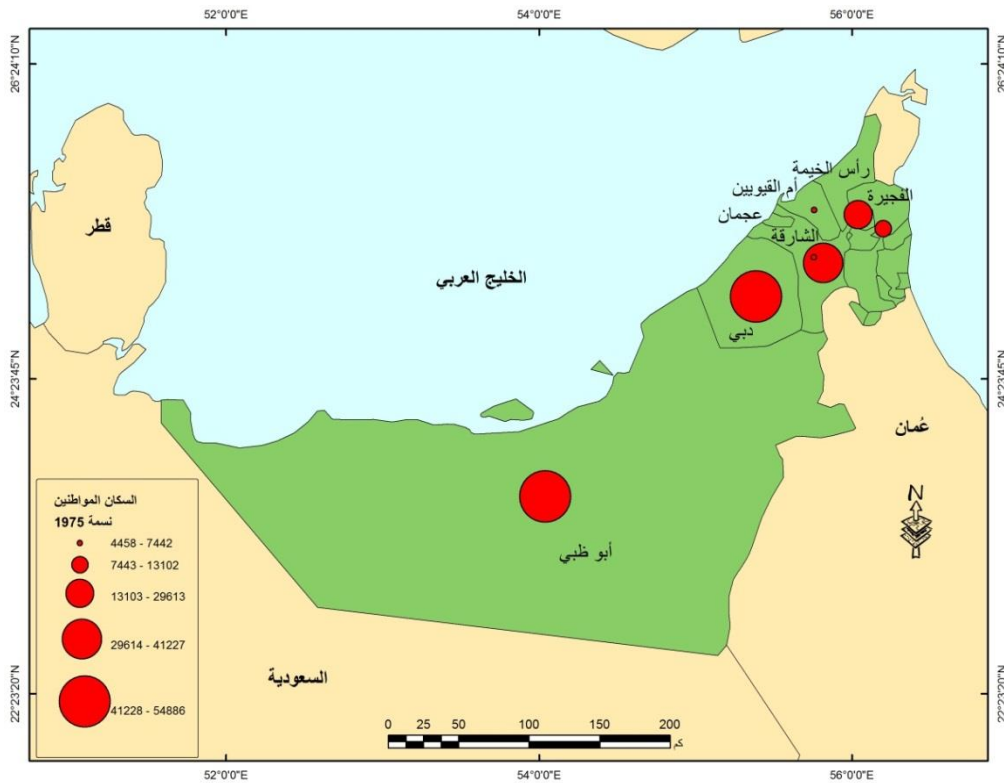
المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على تعداد الدولة 1975 – 2010 م.

ألف نسمة في تعداد سنة 1968 م إلى ما يزيد عن المليون نسمة في بداية الثمانينيات، مع ملاحظة أنه في المرحلة الأولى كانت نسبة المواطنين تشكل أكثر من 60% من مجموع السكان، أما في السبعينيات وبداية الثمانينات فقد تراجعت نسبة المواطنين إلى أقل من 20% من مجموع السكان، وهو الوضع الذي استمر كذلك في حقبة التسعينيات وحتى الإحصاء الرسمي الأخير الذي نفذته وزارة الإقتصاد في العام 2005 م.

116

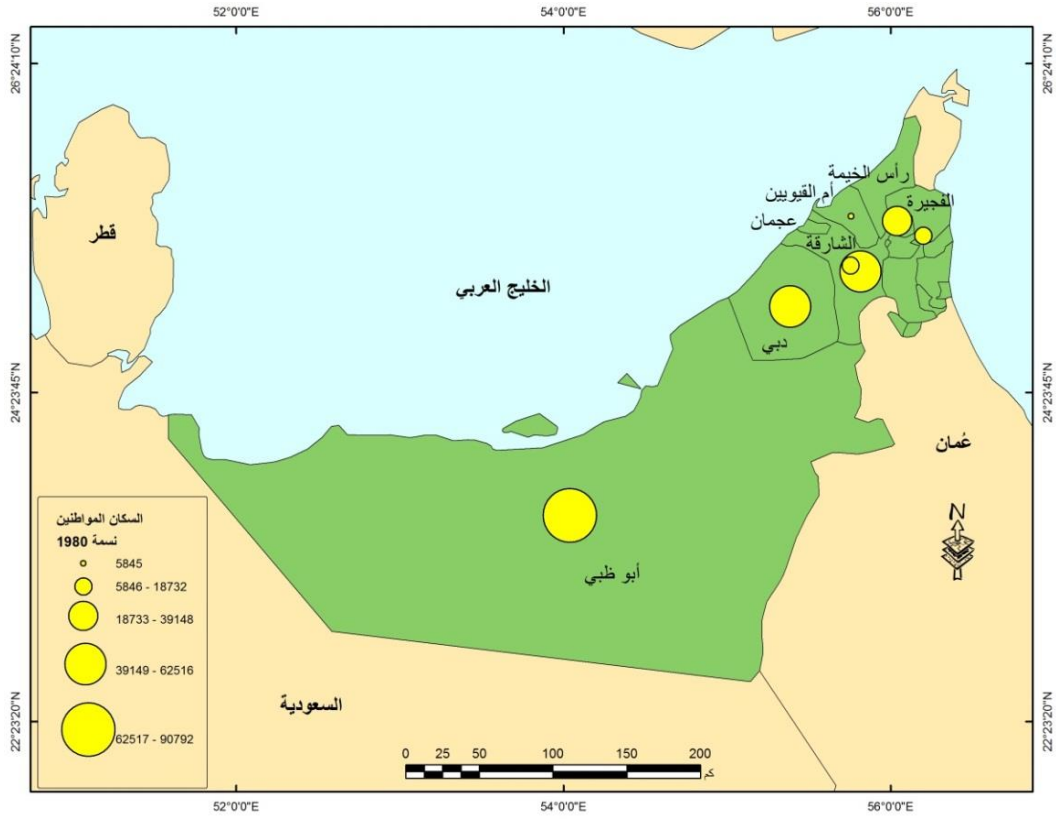
وبدأ الاختلال يصل إلى مرحلة فقدان التوازن بين السكان المواطنين وغيرهم من المقيمين، ولو ركزنا فقط على هذه القضية الحساسة، فإن الوضع لا يحتمل الانتظار؛ لأن ما بين أيدينا من معلومات وإحصاءات يشير بشكل أو بآخر إلى استمرار انخفاض أعداد المواطنين مقارنة بالوافدين العرب والأجانب، ففي سنة 1975 م كانت نسبة المواطنين 35% من إجمالي عدد السكان، ثم انخفضت إلى 28.1% في العام 1980 م، وفي دراسة أخرى أكثر تفصيلاً ورد أن عدد سكان الإمارات كان 284 ألف نسمة عام 1977 م، مثل المواطنين 25% فقط منهم، بينما مثل المهاجرون 75%، فيما كان المواطنون يمثلون عام 1968 م نحو 68% من السكان، أما في تعداد عام 1985 م فقد بلغ عدد السكان نحو 1.4 مليون نسمة، مثل المواطنون ما نسبته 18% فقط منهم، فيما مثل المهاجرون 82%، كان نصيب الهنود والباكستانيين وأبناء جنوب شرق آسيا النسبة الأكبر منها.

وهكذا يتجه المواطنون لأن يصبحوا أقلية واضحة، فبينما بلغت نسبة الزيادة الإجمالية في عدد السكان نحو 86.8% في الفترة 1975-1985 م، فإن نسبة الزيادة في المواطنين لم تتجاوز 44.2% في نفس الفترة، فيما بلغت نسبة زيادة الجاليات العربية نحو 112.6%، وفي الجاليات الأجنبية 11.2% خلال نفس الفترة، إلا أن نسبة الزيادة في عدد المواطنين لم تمثل إلا 16% فقط من عدد السكان عام 1975 م، وهو ما يعني أن 80.8% من الزيادة السكانية منبعها الهجرة الوافدة إلى دولة الإمارات العربية.



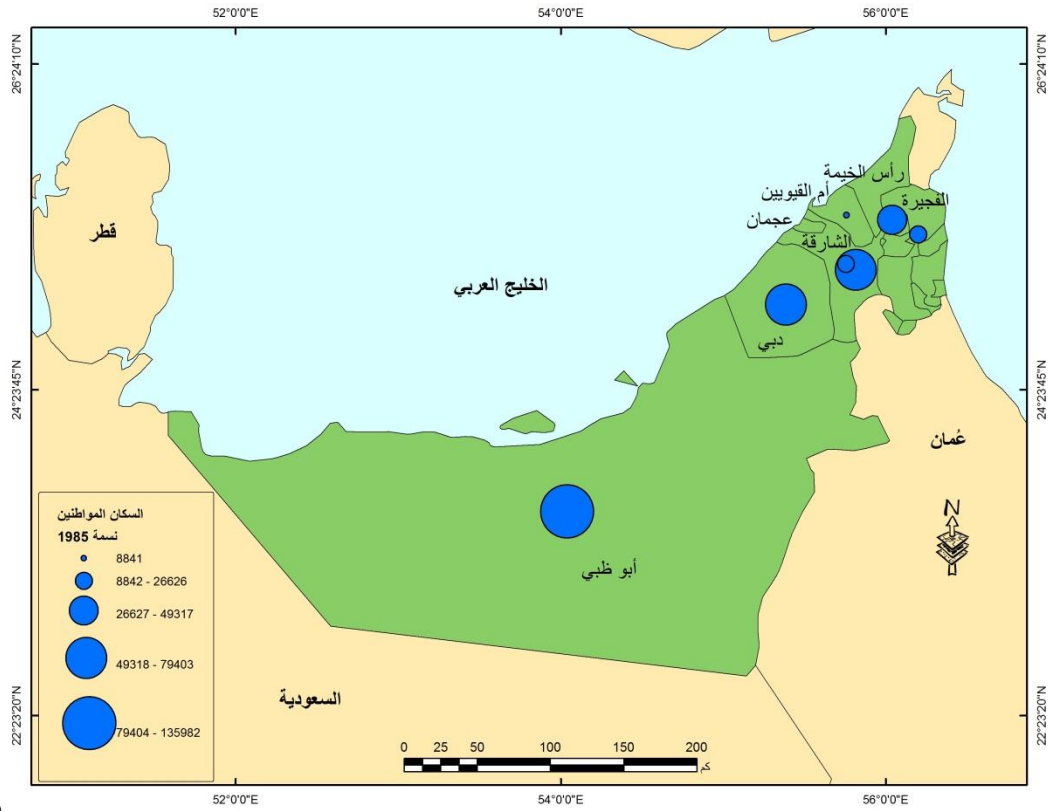
شكل (3) حجم السكان المواطنين موزعاً على إمارات الدولة للعام 1975 م.

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على المركز الوطني للإحصاء، دولة الإمارات العربية المتحدة، 2010م.



شكل (4) حجم السكان المواطنين موزعاً على إمارات الدولة للعام 1980م.

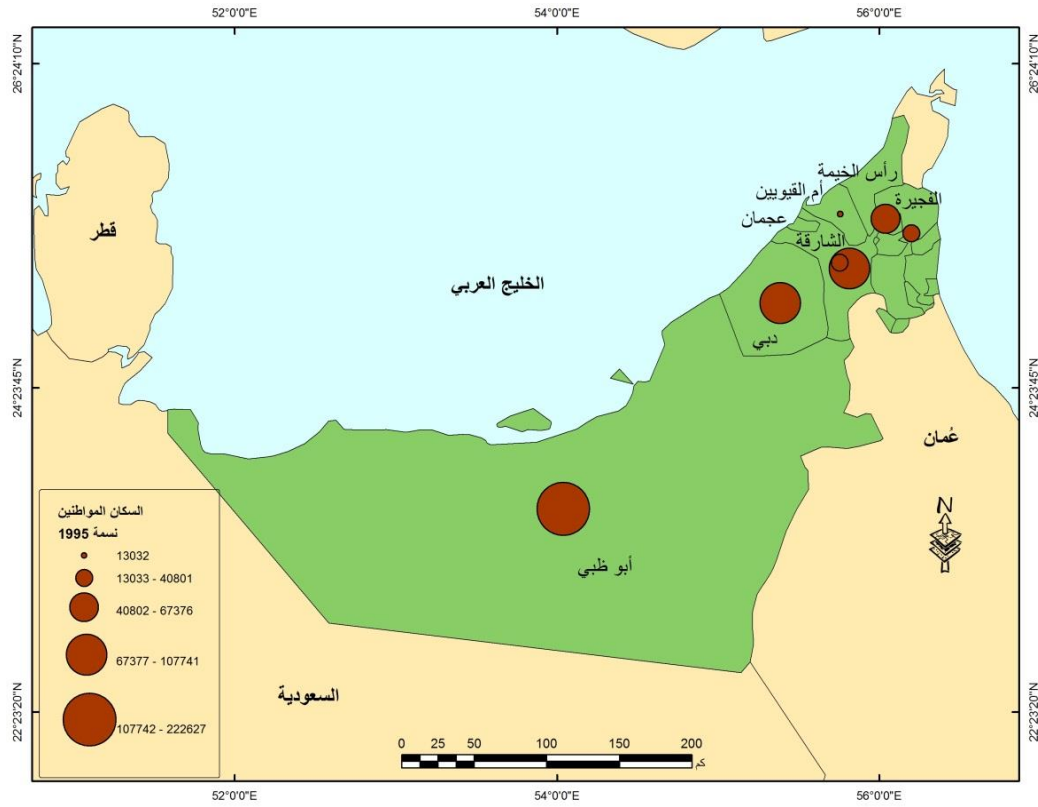
المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على المركز الوطني للإحصاء، دولة الإمارات العربية المتحدة، 2010م.



شكل (5) حجم

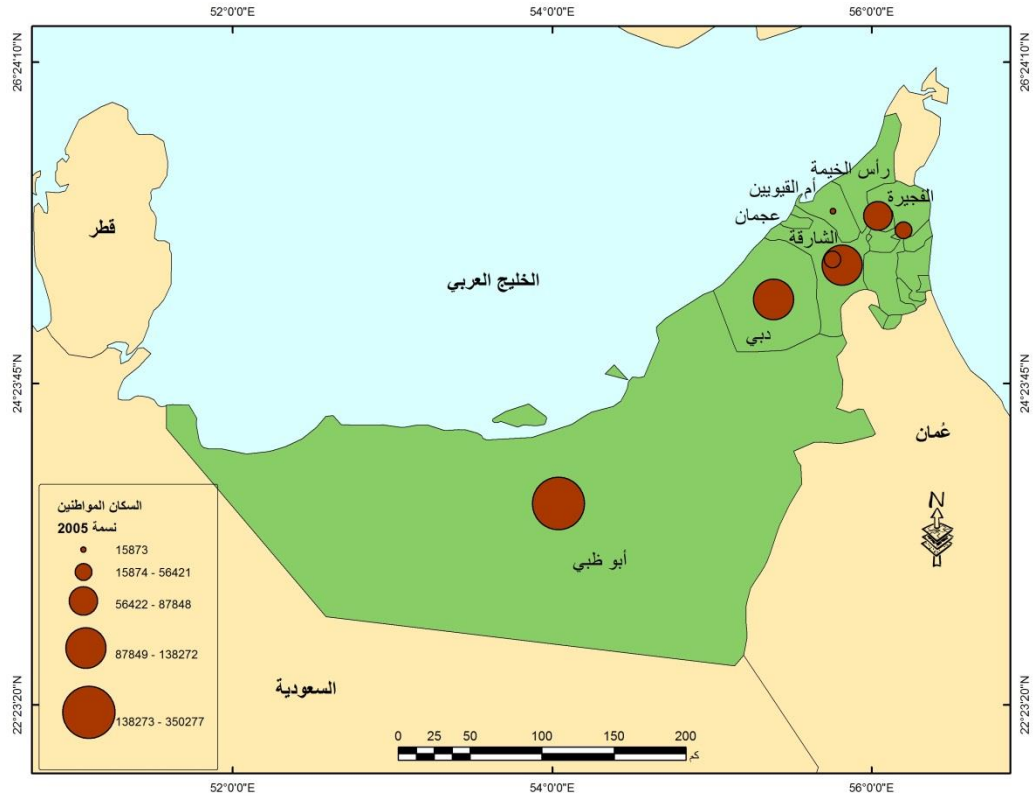
السكان المواطنين موزعاً على إمارات الدولة للعام 1985م.

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على المركز الوطني للإحصاء، دولة الإمارات العربية المتحدة، 2010م.



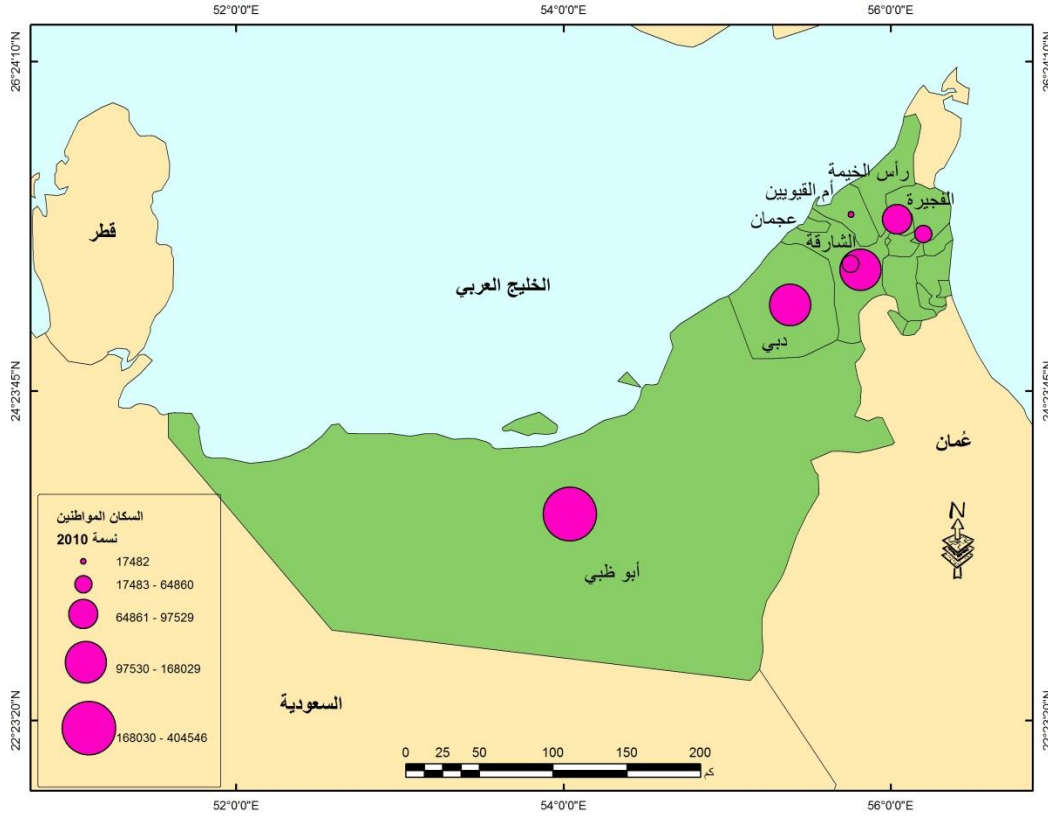
شكل (6) حجم السكان المواطنين موزعاً على إمارات الدولة للعام 1995م.

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على المركز الوطني للإحصاء، دولة الإمارات العربية المتحدة، 2010م.



شكل (7) حجم السكان المواطنين موزعاً على إمارات الدولة للعام 2005م.

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على المركز الوطني للإحصاء، دولة الإمارات العربية المتحدة، 2010م.



شكل (8) حجم السكان المواطنين موزعاً على إمارات الدولة للعام 2010م.

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على المركز الوطني للإحصاء، دولة الإمارات العربية المتحدة، 2010م.

ويتبين من دراسة وتحليل الجدول رقم (1) والأشكال رقم (2-7) الخاصه بتغير حجم السكان المواطنين في دولة الإمارات العربية المتحدة موزعاً على كل إمارة للفترة 1975 - 2010م مايالي:

شهد حجم السكان في دولة الامارات العربية المتحدة نمواً ملحوظاً ونمواً متزايداً في جميع إمارات الدولة فتشير الأرقام الواردة في الجدول (1) والشكل (9) إلى أن إمارة أبو ظبي قد ضمت وحدها عام 1975م أكبر عدد سكان بالدولة 54,886، تليها مباشرة بفارق بسيط إمارة دبي 50,816 ثم الشارقة 41,227، أي أن 73% من إجمالي السكان بالدولة عام 1975م تركزوا في هذه الامارات الثلاث، في حين بلغ اقل عدد سكان في الدولة في كل من أم القيوين 4,458 وعجمان 7,442.

ارتفع عدد السكان بالدولة بشكل ملحوظ مع بداية الثمانينيات من 201,544 نسمة عام 1975م إلى 290,544 نسمة عام 1980م، وقد اصبحت دبي في المركز الثالث في عدد السكان المواطنين عام 1985م فبلغ حجم سكان مواطنيها 76,692 نسمة، بينما اصبحت الشارقة في المركز الثاني لنفس العام فبلغ عدد سكانها من المواطنين 79,403 نسمة.

وبشكل عام فقد حافظت الامارات الثلاث "أبو ظبي، دبي، الشارقة" على الصدارة في أعلى معدل للسكان المواطنين في الدولة من إجمالي عدد السكان في باقي امارات الدولة في أعوام 1995م، 2005، 2010م.

ويتبين من دراسة وتحليل الجدول رقم (3) والأشكال رقم (9-15) الخاصه بتطور عدد السكان غير المواطنين في دولة الإمارات العربية المتحدة موزعاً على كل إمارة للفترة 1975 – 2010 م مايلي:

تجاوز حجم المهاجرين الوافدين غير المواطنين من خارج دولة الامارات العربية المتحدة 7,316.073 نسمة عام 2010م، وفق تقديرات المركز الوطني للإحصاء لدولة الامارات العربية المتحدة، ويشكل هذا العدد سبع أضعاف حجم السكان المواطنين في الدولة، وكان ذلك بمثابة طفرة في الهجرة الخارجية الوافدة إلى دولة الامارات العربية المتحدة، وكان من أسبابها التحولات السياسية والاجتماعية والإقتصادية، حيث شهدت الامارات استقراراً سياسياً ونمواً في إقتصادها وبخاصة بعد إكتشاف النفط بكميات كبيرة.

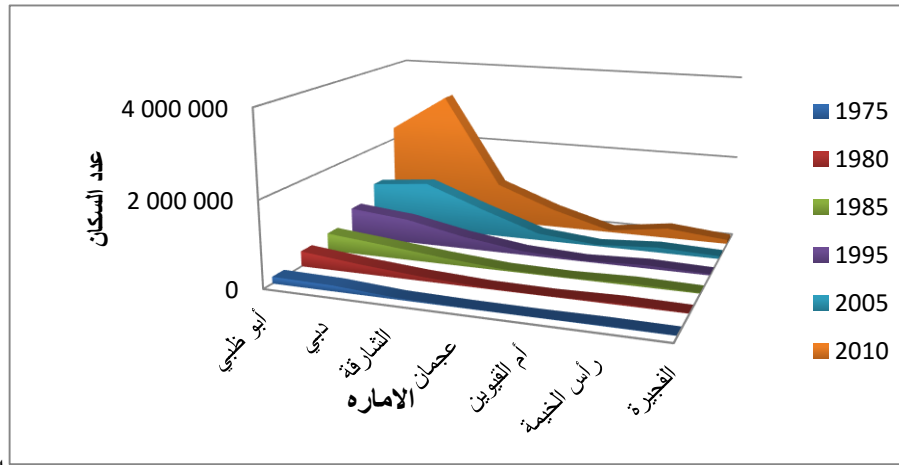
وتشير بيانات التعداد إلى أن هناك زيادة مستمرة لغير المواطنين من جملة سكان الدولة، حيث إرتفعت نسبتهم من أقل من ثلثي جملة السكان عام 1975م (63,9%) إلى أكثر من ثلاثة أرباع سكانها عام 1995م (75,6%) وهي أعلى نسبة لغير المواطنين في البناء السكاني على مستوى جميع دول الخليج العربي.

جدول رقم (3) تغير حجم السكان غير المواطنين في دولة الامارات العربية المتحدة موزعاً على امارات الدولة للفترة 1975 – 2010م.

العام	الإمارة	1975	1980	1985	1995	2005	2010
		أبوظبي	دبي	الشارقة	عجمان	أم القيوين	رأس الخيمة
		926.156	371.132	785.213	096,294	679.581	880.183.1
		056,361	724.22	293.35	659.92	766.167	301.655
		450.2	581.6	444.10	329.22	286.33	69242،
		232,14	770.34	261.47	958.75	215,122	582240،
		553.3	817,13	127,17	379.35	277.69	2799,1
		343.356	555,751	189.983	711.823.1	932.280,3	7.316.073
		جملة الدولة					

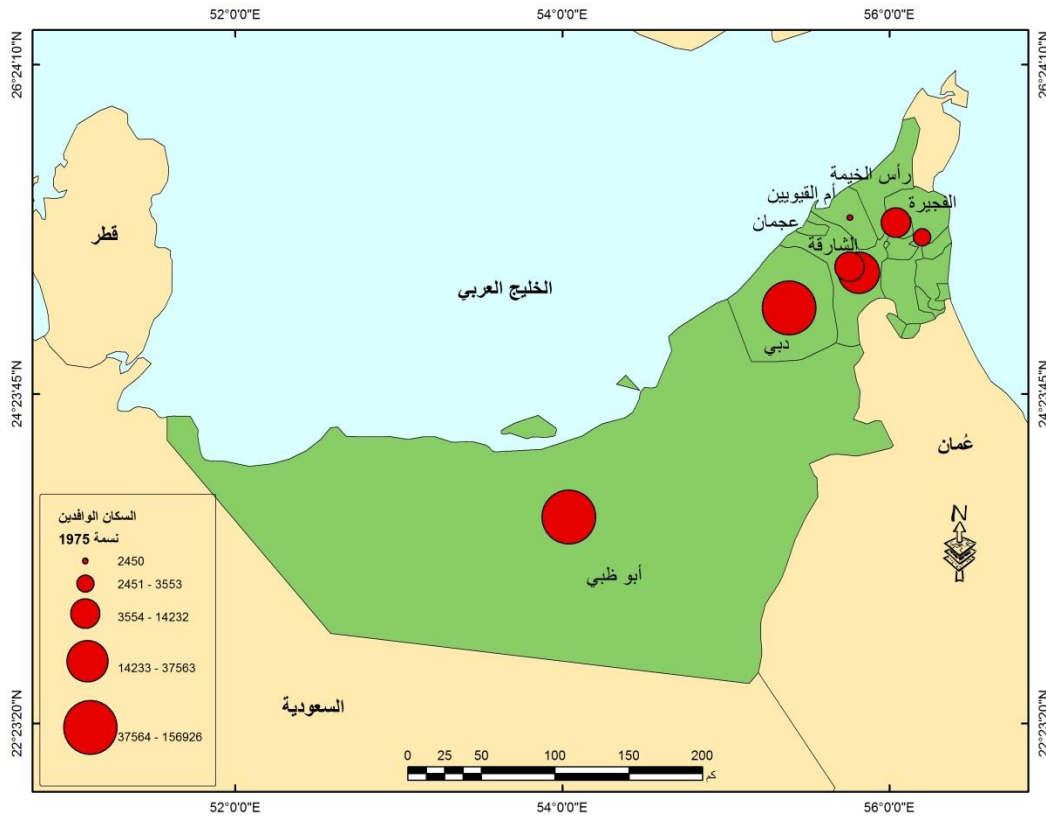
المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على تعداد الدولة 1975 – 2010م.

تزايد عدد الوافدين بمعدل خمس مرات ونصف خلال عشرون عاماً (1975 - 1995م) بنسبة زيادة بلغت 211%، 276%، 512% لأعوام 1980 و1985 و1995 على التوالي. 99172



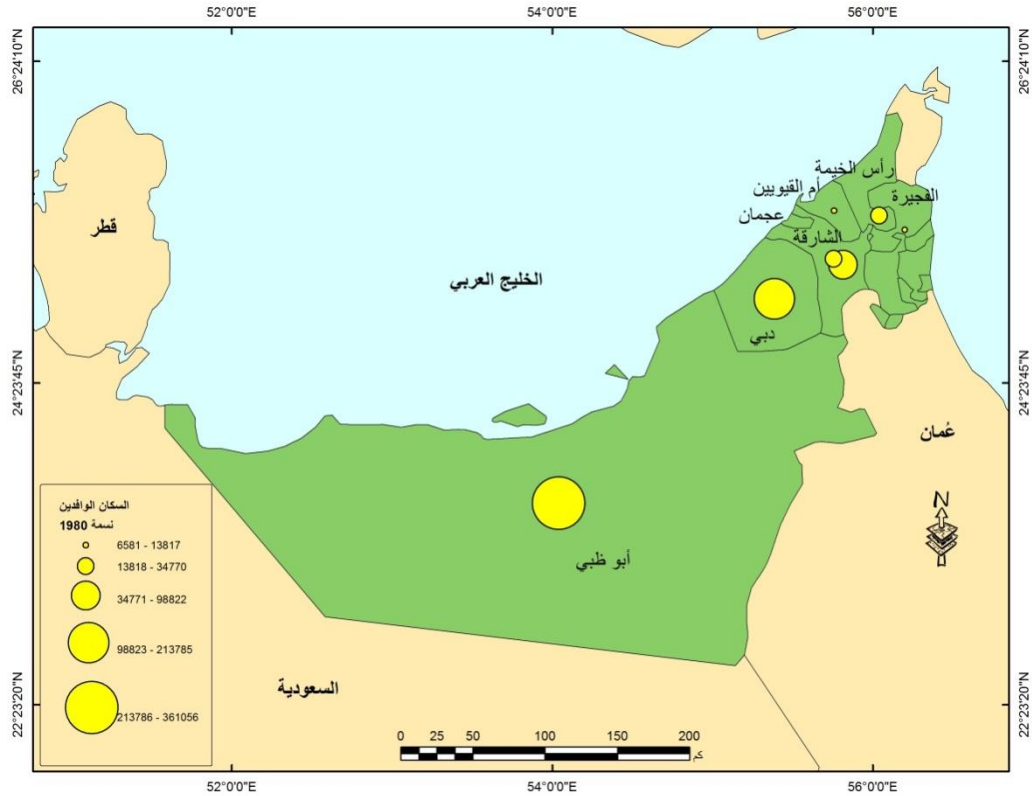
شكل (9) تغير حجم السكان غير المواطنين في دولة الامارات العربية المتحدة للفترة 2010/1975م.

المصدر: الجدول رقم (2)



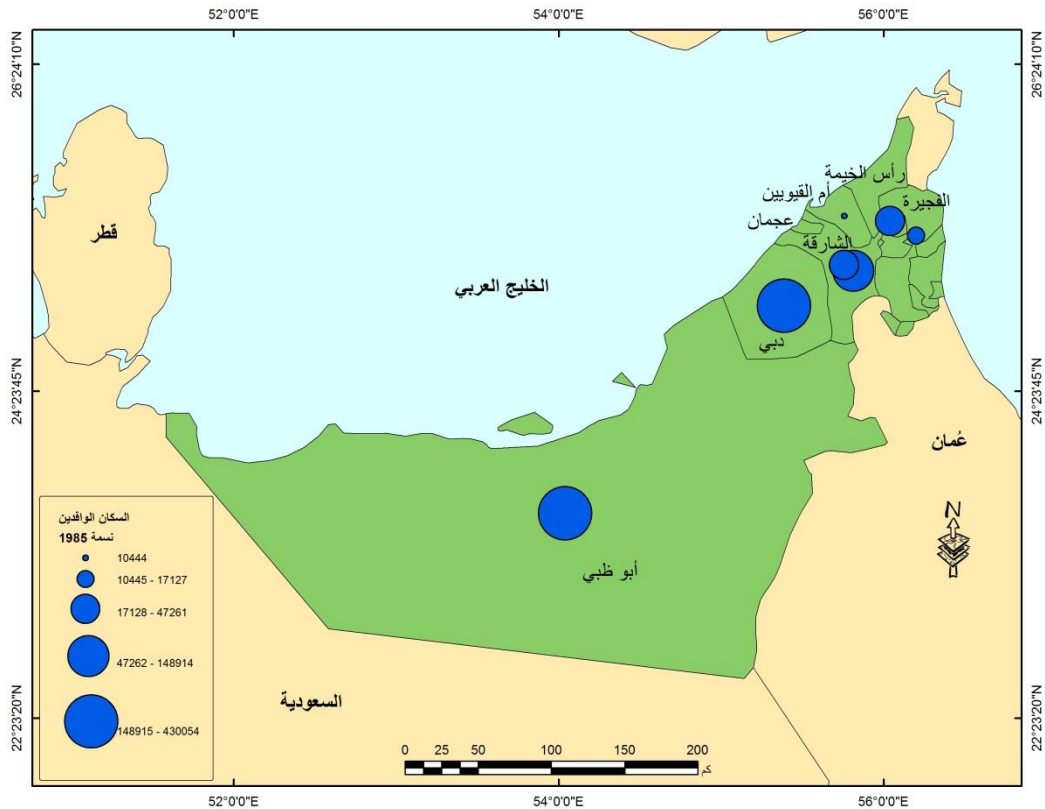
شكل (10) حجم السكان الوافدين موزعاً على إمارات الدولة للعام 1975م.

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على المركز الوطني للإحصاء، دولة الإمارات العربية المتحدة، 2010م.



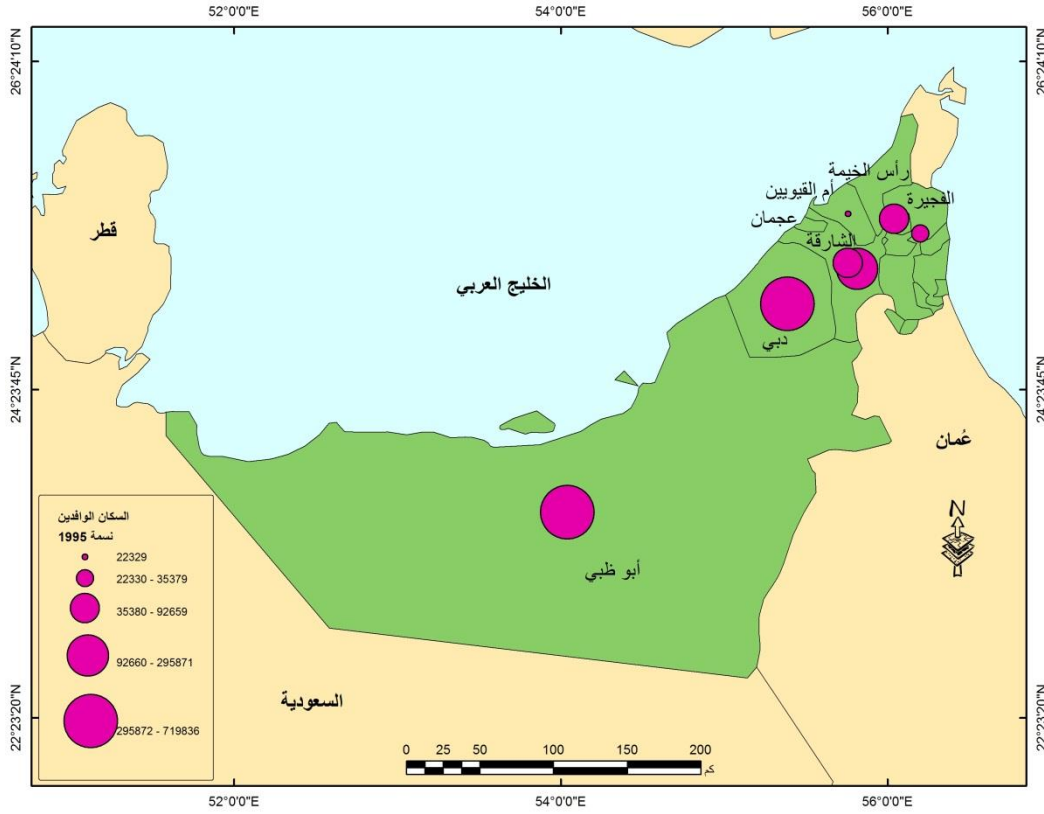
شكل (11) حجم السكان الوافدين المواطنين موزعاً على إمارات الدولة للعام 1980م.

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على المركز الوطني للإحصاء، دولة الإمارات العربية المتحدة، 2010م.



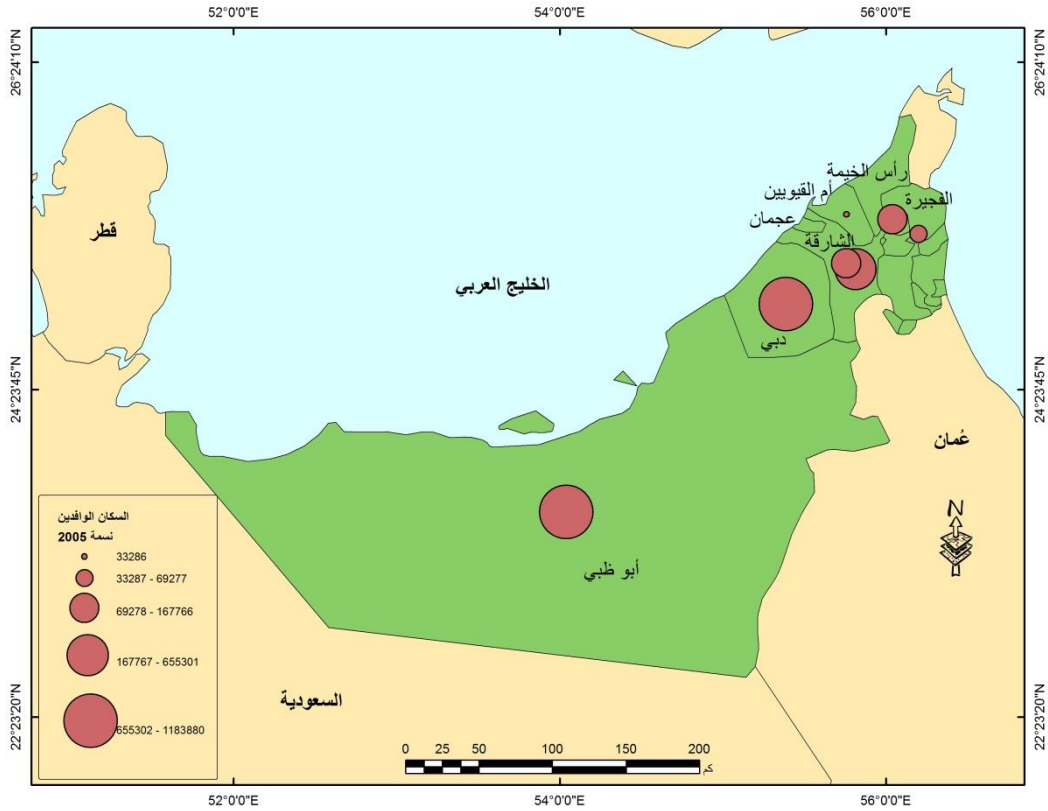
شكل (12) حجم السكان الوافدين موزعاً على إمارات الدولة للعام 1985م.

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على المركز الوطني للإحصاء، دولة الإمارات العربية المتحدة، 2010م.



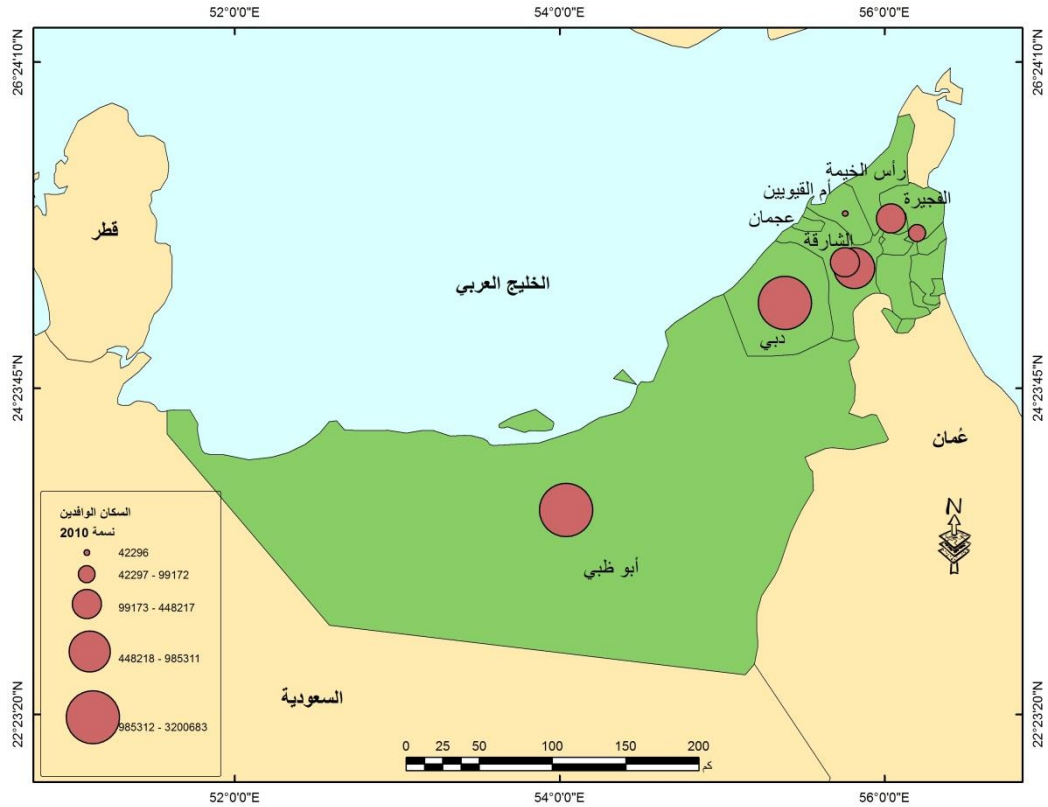
شكل (13) حجم السكان الوافدين موزعاً على إمارات الدولة للعام 1995م.

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على المركز الوطني للإحصاء، دولة الإمارات العربية المتحدة، 2010م.



شكل (14) حجم السكان الواقفين موزعاً على إمارات الدولة للعام 2005م.

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على المركز الوطني للإحصاء، دولة الإمارات العربية المتحدة، 2010م.



شكل (15) حجم السكان الوافدين موزعاً على إمارات الدولة للعام 2010م.

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على المركز الوطني للإحصاء، دولة الإمارات العربية المتحدة، 2010م.

النتائج:

- تأتي دولة الامارات العربية المتحدة في المرتبة السابعة في العالم من حيث احتياطياتها النفطية، بحيث تمتلك واحدا من أكثر الاقتصادات نموا في غرب آسيا، حيث يُشكل البترول حوالي 25% من الناتج المحلي الإجمالي، و 45% من إيرادات الصادرات و 40% من الإيرادات الحكومية في دولة الامارات العربية المتحدة.

- كما أن المسارات المتباينة لنمو وتوزيع كل من السكان المواطنين وغير المواطنين أدت وستؤدي إلى تفاقم مشكلة الاختلال في توازن التركيبة السكانية للدولة والإختلاف الاقليمي للنمو السكاني فيها، فأنحسرت نسبة المواطنين بالنسبة لإجمالي السكان من 24,4% إلى نحو 15,4% خلال الفترة بين عامي 1995 و 2006م، ثم إلى 13,3% بحلول عام 2010م.

- إن نسبة السكان المواطنين لإجمالي السكان (13,3%)، في حين أن الهجرة الوافدة تمثل (86,7%) من إجمالي السكان المواطنين والوافدين.

- إن حجم الهجرة الوافدة إلى دولة الإمارات العربية المتحدة في زيادة مستمرة حيث بلغت 356,343 مسكو عام 1975م، ووصلت إلى 7,316,073 مليون نسمة عام 2010م.

قائمة المراجع:

1. المركز الوطني للإحصاء، دولة الإمارات العربية المتحدة، 2010م.
2. عبدالله العوضي، التغير السكاني والعامل الاجتماعي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2010م.
3. نادر فرجاني، الهجرة إلى النفط: أبعاد الهجرة للعمل في البلدان النفطية وأثرها على التنمية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984م.

الأرغونوميا المدرسية في خدمة التعليم وتطويره

د.منصوري مصطفى/جامعة مستغانم، الجزائر أ.بودالي يمينة/جامعة وهران2، الجزائر

ملخص:

تناولت هذه الدراسة موضوعا جديدا في علم النفس المدرسي والصحة المدرسية، والذي كان إلى عهد قريب حكرا على علم النفس العمل والتنظيم وهو الأرغونوميا المدرسية، حيث حاولت هذه الدراسة إبراز أهمية ودور الأرغونوميا في خدمة التعليم وتطويره، إنطلاقا من البحث عن المواءمة بين العملية التعليمية والعناصر المادية لتلك العملية والمتمثلة في البناء المدرسي من حيث موقعه وتصميمه الهندسي والجمالي ومكوناته، وما يتوفر عليه من وسائل للتعليم خاصة المقاعد الدراسية والأثاث المدرسي، ومدى استجابته للظروف الفيزيائية الصحية كالإضاءة والضوضاء والتهوية، وهذا من أجل راحة المعلم والمتعلم والوصول إلى أقصى مستويات الفعالية في العملية التعليمية ومن ثم في المردود التعليمي وتطويره.

الكلمات المفتاحية: الهندسة البشرية - الأرغونوميا المدرسية - الصحة المدرسية- العملية التعليمية.

مقدمة:

إننا عندما نتناول المدرسة بالبحث ونولي العملية التعليمية والتربوية الاهتمام، عادة ما نركز على المعلم في تفاعله مع المتعلم (الطالب) مع مراعاة عناصر هذا التفاعل من طرق تدريس ومناهج تعليم وأدوات وظروف العمل؛ ولكن هذه الأخيرة إما أنها تُدرّس باعتبارها متغيرات وسيطة، أو متغير ضمن مجموعة من المتغيرات، والتي غالبا لا يولها أصحابها اهتماما، أو يمرون عليها مر الكرام؛ والكل يعلم أن أخصائيين في علم النفس العمل والتنظيم عامة والمهندسين البشريين خاصة أكدوا أن الإنسان لكي يتمكن من العمل بصورة مريحة وفعالة وأمنة يجب أن يكون منصب عمله منسجم مع قدراته، وظروف عمله تستجيب لمجموعة من المعايير المحددة عالميا.

فلتطوير التعليم والعملية التعليمية لا بد من إجراء تغييرات التربوية وتنظيمية تمس الجانبين الإنساني والمادي، والعمل على تحليل نقاط الضعف والقوة في النظام التربوي وتحليل الجوانب والمجالات التي يجب إجراء التغيير والتطوير عليها، مع الأخذ بعين الاعتبار المدخلات التي يحتاجها كل نظام تربوي ومراعاة الخصائص الثقافية والديمقراطية لكل مجتمع.

إن بيئة التعليم تعتبر منظومة فكرية وممارسات عملية تتضمن المدخلات والعمليات والإجراءات اللازمة لخلق مواقف يمكن أن يحدث فيها التعليم والتعلم بشكل بناء وفعال، وعندما يمكن حدوث التعليم يكون هناك نظام في بيئة التعليم؛ وهذا النظام يمثل الموقف الذي تتوافر فيه مجموعة من التوقعات لأعضاء المدرسة ككل يشارك فيها الجميع، وتكون هناك درجة عالية من المطابقة لهذه التوقعات، ولا يتأتى هذا العمل إلا إذا استعنا بأنظمة حديثة في تصحيح وتصميم كل ما هو مادي في العملية

التعليمية في علاقاته بتصميم العمل البشري (تحليل منصب العمل) وهندسته، وهو الاختصاص الذي يتناوله المهندسون البشريون the ergonomists بالدراسة والتحليل.

وإذا كانت البحوث في الهندسة البشرية قليلة جدا في الجامعات ومراكز البحث في الدول العربية، فإن البحوث في الأرغونوميا المدرسية لم تنل حقا سواء على المستوى الكمي أو النوعي، وهي شحيحة جدا مقارنة مع الكم الهائل من الدراسات والبحوث في علم النفس والتربية، وهو ما دفعنا لتقديم هذا البحث الذي سنتناول فيه الهندسة البشرية في الوسط المدرسي، ومجالات تدخلها، ونتائج هذه التدخلات على المستوى البشري خاصة بالنسبة للمعلم والمتعلم، وكذلك على المستوى المادي.

مفهوم الهندسة البشرية:

كلمة الهندسة البشرية أو الأرغونوميا ergonomics من أصل يوناني مقسمة إلى قسمين: Ergo وتعني العمل، و Nomos وتعني القواعد والقوانين، وبذلك فالأرغونوميا في معناها العام هي: علم قواعد العمل.

تضم الهندسة البشرية العديد من التخصصات منها الطب، وعلم الطبيعة، والميكانيكا، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والتي تشترك لأجل معرفة علمية حول الإنسان في العمل، وتهدف إلى إيجاد التناغم بين العمل ومحيط العمل والإنسان، بحيث أن هذا المسعى له آثار على الإنسان لبلوغ مستوى من الرضا الوظيفي والحصول على الراحة النفسية والحفاظ على الصحة من أجل الوصول إلى أقصى مستويات الفعالية في تأدية مهامه¹.

ومن أشهر تعريفات الهندسة البشرية التعريف الذي يرى بأنها "الدراسة العلمية التي تبحث في العلاقة بين الإنسان ومحيط عمله، ويقصد بمحيط العمل كل الظروف التي يعمل فيها الفرد إضافة إلى الآلات وأدوات العمل، وطرق العمل وتنظيمه (Murrell; 1965) بغية أداء العمل بكفاءة أكبر والتقليل من حالات التعب والإجهاد التي يتعرض لها الفرد العامل (Oborne; 1978)².

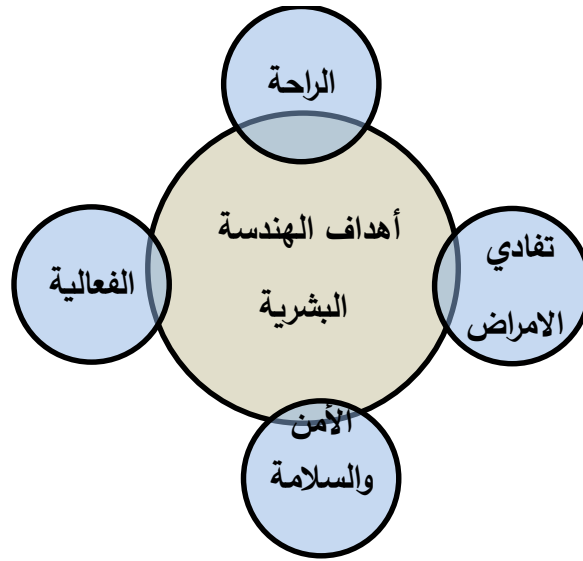
أما أحدث التعريفات للهندسة البشرية هو التعريف الذي وضعته الرابطة العالمية للأرغونوميا International Ergonomics Association (2000) التي تعرفها بأنها "ذلك التخصص العلمي الذي يهتم بالفهم العميق للعلاقة بين الإنسان وباقي عناصر التنظيم، وهي المهنة التي تطبق النظريات والمبادئ والمعطيات والطرق العلمية بغرض تحقيق أحسن مستوى من الرفاهية للفرد و أفضل أداء للتنظيم"³.

إن محيط العمل فإنه لا يقتصر على المحيط الصناعي وحده، بل يتعداه إلى المحيط المدرسي والصحي والإداري و الأمني، وعليه، فإن تناول الهندسة البشرية في المدرسة أصبح ضرورة من ضروريات البحث الأرغونومي، لأن أهدافه هي تقريبا نفس الأهداف التي قامت عليها الأرغونوميا وهي: الراحة الجسمية والنفسية، وتفادي الأمراض المهنية، وأمن وسلامة المعلمين والمتعلمين، وفعالية الأداء التعليمي والتربوي.

1- بكروي، عبد العالي (2008). دراسة أرغونومية لمنصب الدراسة في مرحلة التعليم المتوسط. رسالة ماجستير غير منشورة في الهندسة البشرية وتصميم العمل. جامعة وهران. ص 8.

2 - النعيمي، جلال محمد (1990). المدخل إلى دراسة العمل. الموصول: دار الحكمة للطباعة والنشر.

2 - بوحفص، مباركي (2008). مقدمة في علم النفس العمل والتنظيم. وهران: دار آل رضوان للنشر والتوزيع. ص 70.



الشكل (1) يبين أهداف الهندسة البشرية.

وإذا عرفنا أن الهندسة البشرية هي أحد فروع العلم التطبيقي الذي يشارك فيه كل من علماء والنفوس المهندسين، وإنما فن التعامل مع العنصر البشري، فإن المجال المدرسي هو الآخر لابد أن يأخذ جانبا من جوانب الدراسات الأرغونومية.

مفهوم الأرغونوميا المدرسية:

بما أن جوهر العملية التعليمية هو الفرد (تفاعل المعلم والمتعلم) فإنه من المفيد والضروري أن تتدخل الأرغونوميا من أجل التصميم والتصحيح الجيد لوضعية الحجرة الدراسية، والظروف الفيزيائية المحيطة بها داخليا وخارجيا، وتصميم المقاعد والطاولات والكراسي المدرسية بما يتناسب مع الأبعاد الأنثروبومترية لأجسام الطلاب ومعلمهم.

وإذا بحثنا في تاريخ استعمال مفهوم الأرغونوميا المدرسية Ergonomics Schools نجده جديد النشأة والتطبيق، إذ يرى بورشير Porcher (1982) أنه ظهر في المجال التربوي في بداية السبعينات، ويرتبط هذا المفهوم أساسا بفسولوجية منصب العمل، وبالظروف الصحية والمريحة للحياة المدرسية، حيث أن دراسة هذين العاملين من شأنهما زيادة فعالية التعليم وتحسين التدريب؛ ولقد عرفت الدراسات الأرغونومية في المجال المدرسي تطورا كبيرا في البلدان المتطورة حيث انتقلت من الدراسات الخاصة بوضعيات الجلوس مثل دراسة Mandal (1979) و Lelang (1986)، لتشمل التصميمات الأرغونومية لأدوات الدراسة والتعليم بما فيها العمل أمام الكومبيوتر.

وحسب بورشير فقد تم تشخيص مستويين للتدخل الأرغونومي في المدرسة:

- مستوى خارجي: يتناول الظروف العامة لنوعية حياة الطلاب منها المحيط الاجتماعي والاقتصادي، ونوعية الغذاء ونظام التغذية، والنوم.

- مستوى داخلي: يتناول ظروف التعلم داخل المدرسة والتي تبدأ بالعلاقات الإنسانية بين المعلمين والطلاب إلى المشاكل الأكثر دقة كلون - طلاء - جدران حجرة الدراسة، والتهوية.

من خلال ما أورده بورشير Porcher يتبين لنا أن الأرغونوميا المدرسية تتنوع لتشمل مُدخلات بشرية وأخرى مادية، فالمدخلات البشرية تضم الطلاب والمعلمين والهيئة الإدارية المدرسية، أما المدخلات المادية فهي كثيرة ومتنوعة منها تصميم المدرسة والحجرة الدراسية بتجهيزاتها المختلفة.

إن مجال التدخل الأروغونومي في المدارس يمكن أن يكون خاصا بالتصميم، وهو ما يعرف بالأروغونوميا التصميمية كالتصميم الجديد والجيد للوسائل والأدوات المدرسية، ويمكن للمؤسسات التعليمية والتربوية طلب استشارة خارجي إذا اقتضت الضرورة من ذوي الخبرة والكفاءة في التصميم (Delarsille- Yves Robaey).

كما يمكن أن يكون مجال التدخل الأروغونومي تقويم وضعية ما كالوضعية الخاطئة للجلوس أثناء العمل على الحاسوب Ergonomics Computers Posture، وهو ما يعرف بالأروغونوميا التصحيحية.

وقد أكد كل من Guérin و Laville و Daniellou و Duraffourg و Kerguelen (1977) أن الهندسة البشرية في الوسط المدرسي تعمل على الوصول إلى هدفين أساسيين وهما:

✓ تحليل العمل: لأن العمل المدرسي الحقيقي يختلف تماما عن العمل الظاهري، إذ يسمح بالوقوف على مدى قابلية المعلم والمتعلم للعمل المدرسي من خلال دراسة مجموعة من المتغيرات كالتعب والإيقاعات المدرسية.

✓ تكييف الوسائل التعليمية للمعلم والمتعلم وذلك للوصول إلى تأدية المهام دون أن تكون هناك أضرارا جسمية كالحساسية وآلام الظهر والتعب الجسدي¹.

من خلال ما سبق يمكننا أن نقول أن الأروغونوميا المدرسية تمثل مجالا علميا يضع في الاعتبار المردود المدرسي (التحصيل الدراسي) وصحة وسلامة المعلمين والمتعلمين، وراحة جموع الأفراد [حسبما يكون التفاعل المؤثر بين الأفراد والوسائل التي يستعملونها والبيئة التي يوجدون فيها]، وأن الغايات العامة للبحوث في الأروغونوميا المدرسية هي تحسين مكان التعليم وظروفه ووسائله.

ولا يمكن للهندسة البشرية في الوسط المدرسي أن تُدرس بعيدا عن ظروف العمل التي تتوفر عليها المدرسة من حيث موقعها، وبنائها، ووسائلها وتجهيزاتها التعليمية، والتي تؤثر سلبا على المعلمين والمتعلمين في حالة قلتها أو انعدامها أو عدم تطابقها مع المعايير العلمية، وهي الظروف التي سنتناولها في هذا البحث.

المباني المدرسية:

مما تتناوله الأروغونوميا على حد قول فُليه عبده (2003) إعادة هندسة الأرض التي يتفاعل عليها الإنسان من خلال إيجاد موجات قيمة جديدة، لأن هذه القيم هي التي تحدد مجالات تفكيره وسلوكه وتؤثر في تعليمه، وفي بلادنا وفي الكثير من البلدان العربية كما توجد مباني مدرسية تستجيب للمعايير الهندسية - وهي قليلة- توجد كذلك مدارس لم يهتم مصمموها لا بالنواحي الهندسية والمعمارية ولا بالنواحي الجمالية، وبالتالي فهي تشكل خطرا على صحة وسلامة المعلمين والمتعلمين، وتعتبر عاملا من عوامل النفور المدرسي لدى المتعلم والاستياء والضغط النفسي في العمل لدى المعلم؛ وهذا بدوره يؤثر على الطريقة التي يرى بها المعلم نفسه ومكان عمله والتفاعل بينهما.

ويرى كل من ليلت وماك لوغلين Lilte & McLaughlin (1993) أن المؤثرات البيئية التي يمارس المعلمون من خلالها مهامهم تؤثر على حجم الجهود التي يبذلونها، وعلى إحساسهم بقيمتهم، ودورهم في العملية التربوية، كما تؤثر على مفهومهم لوظيفة التعليم².

1 - بكروي، عبد العالي، المرجع السابق، ص 10.

1 - الجبر، زينب علي (1997). السعة المكانية والإضاءة والتهوية الخاصة بحجرات الأقسام العلمية والأدبية في مدارس التعليم بدولة الكويت، مجلة مركز البحوث التربوية، جامعة قطر، العدد 11، ص 163.

إن إنشاء المباني المدرسية عملية تكاملية تمتزج فيها متطلبات معمارية هندسية وصحية بفنون التربية ومستوى ونوعية التعليم إلى الحد الذي يساعد على تحقيق الأهداف التربوية المنشودة بأيسر الطرق؛ ويعتبر المبنى المدرسي بما يضمنه من حجرات دراسية ومخابر وورشات وأماكن للنشاط المدرسي والترفيهي وفناء واحداً من أهم مُدخلات العملية التعليمية، بل قد يكون أساسياً يساعد في تحديث التعليم وجودته، كما قد يكون بتصميمه الهجين عاملاً يعيق التعليم؛ ويؤدي إلى نفور الطلاب منه، لأن المدرسة هي الوسط الذي ينمو فيه الطلاب خارج أسرهم ويمضون فيه ساعات طويلة من يومهم، فإذا كان الهدف الأساسي للمدرسة هو التربية المتكاملة من النواحي العقلية والانفعالية والاجتماعية والأخلاقية والجسمية، تبين لنا أهمية هذا المكان (المدرسة) ومواصفاته بما يتيح للطلاب ممارسة ألوان النشاطات المتنوعة وإقامة علاقات اجتماعية جيدة تكفل لهم القدر الكبير من الصحة النفسية.

وينبغي أن يُصمم مبنى المدرسة بجميع مكوناته بحيث يستجيب استجابة وظيفية لأهداف المدرسة وأسلوب التعليم فيها، وضروب النشاط التربوي والترفيهي الذي يمارس فيها؛ إذن ما هي المعايير والأبعاد الأروغونومترية التي يجب مراعاتها في المباني المدرسية؟

لقد أورد كل من أحمد حاجي وبرتون وبروكنر E. Bertin & H. Brückner ما ينبغي أن يتوفر عليه المبنى المدرسي:

- الموقع من حيث اختياره وسهولة الوصول إليه: إن اختيار الموقع الذي تبنى عليه المدارس أمر في غاية الأهمية، إذ توجد مدارس قريبة من المولدات الكهربائية Generators التي بدورها تفرز زيوت سامة وخطيرة مسببة لمرض السرطان، كما توجد مدارس مبنية بمواد تحمل مادة الأميونت Amiante-ciment بكثرة وهذه المادة هي كذلك مسببة للسرطان؛ كما توجد مدارس مبنية على منحدرات بحيث تكون معرضة للانزلاق، بالإضافة إلى تلك المدارس الواقعة داخل التجمعات السكنية أو القريبة من محطات النقل أو القريبة من الأسواق التجارية مما يؤثر سلباً على عملية الاتصال بين المعلم والمتعلم (نقص المعلومة أو تشويهها أو تحريفها)، و الذي يؤثر بدوره على المردود المدرسي.

- هل يقدم المبنى الفراغ والتسهيلات للبرنامج الدراسي؟

- المباني من حيث البناء والتشييد والتصميم.

- الحجرات الدراسية من حيث عددها ومساحتها وموقعها: الأسقف، الحوائط، الأبواب، السبورات.

- الخدمات من حيث التهوية والإضاءة والتدفئة، والأمان من الحرائق والكهرباء، هل تحمي المباني الموجودين بها من الأخطار، وأنها ذات تأثير إيجابي لتحسين صحة الطلاب؟

- التجهيزات من حيث كفايتها وملاءمتها لسن الطلاب وللأهداف التعليمية.

- المخابر والورش من حيث مواءمتها مع عدد الطلاب، والأمان والتجهيزات، هل خططت بشكل ييسر استخدام الموارد المختلفة بسهولة؟

- الملاعب من حيث مراعاة شروط الأمان واستيفاء الشروط التربوية والرياضية.

- إدارة المدرسة من حيث مكتب المدير والناظر ومكاتب الهيئة الإدارية للمدرسة.

- الجمال: هل يسر شكل المباني المدرسية الناظر إليها؟

- المرونة: هل تم تخطيط للمباني المدرسية بشكل يمكن من التوسع المستقبلي أو إعادة تنظيمها لمواجهة حاجات تربية متجددة؟

- الاقتصاد: هل تم تخطيط المباني المدرسية بشكل يجعلها نقول أن هناك إفادة من كل ما أنفق على إنشائها؟
حجرات الدراسة:

ينبغي التأكيد على أن حجرات الدراسة لها تأثير واضح وعميق على صحة الطلاب وراحتهم النفسية بشكل ينعكس على مشاركتهم في الأنشطة التعليمية وعلى فعالية الأداء التربوي، كما ينبغي التأكيد أن المؤثرات البيئية لحجرات الدراسة تؤثر على النمو الطبيعي للطلاب وعلى نضجهم (البريري، 2005).

ومن العوامل ذات التأثير السلبي على راحة التلاميذ ونموهم :

- الجلوس الغير سليم لعدم ملائمة المقاعد لأعمار الطلاب، أو استخدامها لعدد أكثر مما هو مقرر، أو لسوء حالتها.
- الإضاءة الغير ملائمة مما يؤدي إلى إجهاد العينين.
- التقلبات الحادة في درجة حرارة الحجرة الدراسية.
- حجرة الدراسة بالنظر إلى حجم التلاميذ، وهذا حتى نتفادى مشكل الاكتظاظ الذي يعتبر سببا من أسباب مضاعفة الإرهاق لدى المعلم، وعاملا أساسيا من عوامل الضغط النفسي الخاص بمصدر ظروف العمل.

موقع النوافذ وأبعادها :

من حيث نظافتها ونسبتها إلى مساحة الحوائط وموقعها بالنسبة للطلاب ، وهذا حتى يُسمح لدخول الهواء وتلطيف الجوّ، لأن الحرارة المرتفعة بقدر ما تلحق آلاما جسمية تتمثل أساسا في ضيق التنفس، والصداع ، والإرهاق الجسدي، وإزعاجا وضغطا نفسيا لأصحابها ؛ فهي كذلك تعيق العملية التعليمية ، ويؤكد بيار بوسايورغن وسوندربيغ (1970) على ضرورة أن تكون مداخل ومخارج الهواء داخل الحجرات المستخدمة في المدرسة ذات أحجام متفاوتة و أعداد مناسبة بحيث تساعد على تدفق الهواء داخل هذه الحجرات¹.

مكتب المدير:

حسب التجارب المستقاة من علم النفس التنظيمي ، ومن التصميم الأروغونومي لمناصب العمل ، فمن الأحسن أن يكون مكتب مدير المدرسة في الوسط centrisme حتى يكون نقطة إهتمام ويستطيع أن يراقب ما يجري في المدرسة بطريقة غير مكلفة ، كما أن الاتصال به عند الحاجة يكون سهلا.

الظروف الفيزيكية للعمل:

يمكننا أن نركز في هذه الورقة من البحث على الظروف الفيزيكية التالية: الضوضاء والضوء والحرارة والبرودة والتهوية، وكلها ترتبط بالمباني المدرسية.

¹ - الجبر، - زينب علي، المرجع السابق، ص 171.

- الضوضاء:

إن الضوضاء ليست في صلب العمل المدرسي، لكن يمكن أن تأتي من المحيط الخارجي وفقا لموقع المدرسة ولبنائها؛ ومما لاشك فيه أن هناك الأدلة التي تثبت لنا كل يوم مدى الضرر النفسي والجسمي الذي يصيب نتيجة من يتعرض للضجيج.

الجدول (1) يبين توزيع الديسيبل حسب نوعية الاتصال اللغوي

حوار هادئ	55-60 ديسيبل
صوت محاضر	60-65 ديسيبل
إملاء محاضرة	65-70 ديسيبل
صرخة عالية	80-85 ديسيبل

من قراءتنا للجدول يتبين أن الصوت الذي يزيد مستواه عن 55 ديسيبل Decibels يجعل المحادثة العادية صعبة جدا ، أما إذا زاد مستوى الصوت عن 65-70 ديسيبل فإنه يترك آثارا نفسية وفسيولوجية سيئة على الفرد (عسكر، 2000: 108).
ونقلا عن كوهن Cohen (1973) بينت العديد من الدراسات تأثير الضوضاء على العديد من الوظائف العصبية والهرمونية ، وتؤدي تلك الوظائف بدورها إلى استجابات ثانوية في عدد كبير من الأعضاء والأجهزة العضوية¹.
واعتبر الكثير من المهتمين بالصحة المدرسية من أمثال تايلور S.Taylor والخزامي أن الضوضاء سبب من أسباب الضغوط النفسية ، حيث يتسبب في رفع درجة التوتر وعدم التوازن النفسي.

- الإضاءة:

إن تحديد مستوى الإضاءة المطلوب لإنجاز أي عمل من الأعمال هو نقطة البداية في تصميم الإضاءة، وشدة الإضاءة luminous intensity ليست إلا عاملا واحدا من عوامل الإضاءة ككل، فمنذ 1960 بدأ التركيز على عوامل أخرى خاصة في اختبارات البصر كإضاءة المحيط وحجم الشيء وسرعة الإدراك مما أدى إلى ظهور معايير للإضاءة.
إن الإضاءة داخل حجرات الدراسة يجب أن تكون كافية، وموزعة توزيعا عادلا، بحيث أن لا تكون ضعيفة على مجموعة من المتعلمين وساطعة على مجموعة أخرى ؛ كما يجب أن تزاج الإضاءة الطبيعية مع الإضاءة الاصطناعية ، وقد أكد مصباح عيسى وآخرون أن الإضاءة داخل المباني المدرسية يجب أن تساعد على الرؤية وتوفير الراحة للعين وتمنع التحديق².
وفي الدراسة قام بها مصطفى منصوري أكد 39%، 51 من المعلمين وأساتذة التعليم المتوسط أن الإضاءة في حجرات الدراسة التي يدرسون فيها ضعيفة³.

1- ليفي، لينارت (1995). التوتر في الصناعة ، أسبابه وآثاره والوقاية منه ، ترجمة رزوق سند إبراهيم. بيروت: دار النهضة العربية، ص 50.

2- الجبر، زينب علي، المرجع السابق، ص 171.

3- منصوري، مصطفى (2004). مصادر ضغوط العمل وعلاقتها بالرضا المهني والقلق وارتفاع ضغط الدم الجوهري، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة وهران، ص 213.

إن شدة الإضاءة حسب معيار الجمعية الأمريكية لهندسة الإضاءة IES ومعيار الجمعية الألمانية للإضاءة DIN تتراوح ما بين 500 إلى 2000 لوكس¹، وأي زيادة أو نقصان بعد ذلك في شدة الإضاءة تقلل حد الإبصار لدى الإنسان، ومن ثم يبدأ في الشعور بالآثار الضارة للتصميم السيئ لنظام الإضاءة؛ فمثلا القراءة تتطلب من أصحابها شدة إضاءة تتراوح ما بين 500 و1000 لوكس.

- الألوان:

إن للون علاقة قوية بالإضاءة، فاختيار الألوان التي تعكس أشعة الضوء الطبيعي أو الاصطناعي مبدأ يوصي به المهندسون البشريون من أمثال الباحث منسل Munsell الذي يوصي بالألوان التالية:

الجدول (2) يبين نسبة إرتياح العين للألوان – حسب منسل Munsell-

اللون	نسبة إرتياح العين
الأبيض Blanc	100 %
البرتقالي الفاتح Ivoire claire	75 %
البي الفاتح Crème	75 %
الأصفر الناعم Jaune doux	75 %
Pêche الخوي	64 %
الأصفر اللامع Jaune brillant	58 %

إن تلك الألوان حتى وإن كانت غير معيارية، فهي الأكثر استعمالا في مدارس الولايات المتحدة الأمريكية.

كما يجب أن تكون ألوان الطاولات والمكاتب والخزانات مغايرة لألوان الجدران، بحيث تفضل الألوان التالية: الرمادي المائل نحو الأخضر Gris tirant sur le vert أو البي الفاتح Brun claire: فالألوان بقدر ما هي مريحة للعين فهي كذلك مريحة من الناحية النفسية.

- الحرارة:

إن تنظيم الحرارة أمر يجعل الإنسان يعيش في توازن حراري مع بيئته ويجعله أكثر ارتياحا وأكثر كفاءة في الأداء ذهنيا وبدنيا؛ ويعتبر الجو المريح داخل حجرات الدراسة ضروري من أجل راحة المعلم والمتعلم، إذ يوصي المهندسون البشريون على أن لا تزيد درجة الحرارة فوق 24° داخل الفصول الدراسية².

¹ - بوحفص، مباركي، المرجع السابق، ص 268.

² - عسكر، علي (2000). ضغوط الحياة وأساليب مواجهتها. دمشق: دار الكتاب الحديث، 107.

- الوسائل التعليمية:

إذا كان اختيار الأثاث المدرسي والوسائل التعليمية المادية يعتبره القائمون على شؤون التربية والتعليم في أقطارنا العربية غير أساسي، فإن إهماله وعدم تكيفه مع متطلبات الطلاب والمعلمين يؤثر في النتائج النهائية للعملية التعليمية، كما يؤثر على راحتهم النفسية، فمن خلال الدراسة المسحية التي قام بها ماك برايد Mc Bride (1983) والتي استعرض فيها العديد من الدراسات التي تعرضت للضغوط في مجال التعليم منذ الثلاثينات حتى 1983، وجدها جميعاً تدرج تحت مصادر بيئة العمل مثل الظروف السيئة التي يعمل فيها المعلم، وعدم توفر الأدوات اللازمة للتعليم¹، وحول النقطة الثانية والمتمثلة في الوسائل التعليمية نركز على:

- السبورة : من حيث حجمها (طولها وعرضها)، وموقعها، ولونها، فلون السبورة يجب أن يكون أسوداً أو أخضر داكناً ، لا يلمع لسهولة الرؤية الجيدة - هذا في حالة عدم وجود السبورة البيضاء- وتوضع السبورة في منتصف الجدار المواجه للطلاب وعلى ارتفاع مناسب، وألا تقل المسافة بين المقاعد الأولى للطلاب والسبورة عن متر ونصف، وألا تبعد عن المقاعد الأخيرة أكثر من سبعة أمتار.

- المقاعد الدراسية والطاولات : من حيث ملائمتها مع الأبعاد الأنثروبومترية لأجسام الطلاب ولونها.

إن أفضل أنواع المقاعد التي يمكن استخدامها هي تلك التي يمكن ضبط ارتفاعها وفقاً لطول الطالب، كما هو متبع في المدارس اليابانية أما من حيث الشروط الأرغونومية:

- يجب أن يكون سطح الدرج مائلاً إلى الأمام بزاوية 15°، وأن يكون ارتفاع المقعد عن الأرض مساوياً لطول الساق مُقاساً من خلف مفصل الركبة حتى سطح القدم ، أما عرض المقعد والطالب جالس عليه منتصب الظهر فيجب أن يكون مساوياً لثليث طول عظمة الفخذ مع ترك الثلث الأمامي من الفخذ حراً وبعيداً عن الحد الأمامي للمقعد.

ومن الدراسات الرائدة التي اهتمت بآثار استخدام الطلاب للمقاعد الدراسية الغير ملائمة والتي لم تستجب للمعطيات الأرغونومية أثناء التصميم، نذكر دراسة أجرتها جمعية غرونوبل للأرغونومية المدرسية Association grenoblois de l'ergonomie scolaire عام 1993، وهي دراسة مقارنة بين الأثاث المدرسي الأرغونومي والتقليدي لـ 263 طالباً تتراوح أعمارهم ما بين 7 إلى 9 سنوات، يدرسون في أربع مدارس ابتدائية تابعة لدائرة إيزر Isère بفرنسا ، تكونت المجموعة الأولى من 141 طالباً وفُر لهم الأثاث المدرسي الأرغونومي، أما المجموعة التجريبية فتكونت من 122 طالباً وفُر لهم الأثاث المدرسي التقليدي، وبعد أربع سنوات من استعمال المجموعتين للأثاث المدرسي، لاحظ الباحثون ما يلي :

- أن الضغوط على العمود الفقري في المجموعة التجريبية كانت أقل من المجموعة الضابطة، بحيث قدرت نسبة الضغوط عند الطلاب المستعملين للأثاث الأرغونومي بـ 2.9% مقابل 9.6% لدى الطلاب الذين استعملوا الأثاث الدراسي التقليدي.

- لاحظ الباحثون فرقاً دالاً بين المجموعتين في الرفاهية ، والميزة العلمية ، والجمالية ، والانزعاج الصوتي، والإحساس بعدم الراحة في القدمين، ومساحة المكتب، والانحناء نحو المكتب ولصاح الطلاب الذين استعملوا الأثاث الأرغونومي².

¹ - الشهراني، عبد الله عامر ورفاع ، سعيد محمد (1995). الإجهاد النفسي، مصادره وطرق مقاومته لدى معلمي ومعلمات العلوم بالمنطقة الجنوبية الغربية من المملكة العربية السعودية ، أبها : إصدار مركز البحوث التربوية ، ص 9.

² - Association grenobloise de l'ergonomie, scolaire prévention à l'âge scolaire. Récupéré en Septembre 2016 par <http://www.ipubli.inserm.fr/>

وفي نفس الاهتمام العلمي، قام فريق من الباحثين في وحدة البحث في الأرغونوميا بكلية الطب بجامعة باريس تحت إشراف Bronislaw Kapitaniak (1987)¹ بإجراء دراسة مسحية حول تأثير الأثاث المدرسي التقليدي على آلام أسفل الظهر- الفقرات القطنية – lombalgies عند الطلبة على اختلاف عمرهم، وخرج بالنتائج التالية المبينة في الجدول التالي:

الجدول(3) يبين انتشار آلام أسفل الظهر لدى تلاميذ المدارس.

ومن الدراسات الأرغونومية الجزائرية التي تناولت الأثاث المدرسي، نذكر دراسة حمداش نوال حول "التقويم الأنثروبومتري للمقاعد الدراسية لتلاميذ الطورين الأساسيين الأول والثاني" (1995)؛ ودراسة منصوري مصطفى حول "تصميم الكرسي والطاولة المدرسية" (2005)؛ ودراسة بكرأوي عبد العالي حول دراسة "أرغونومية لمنصب الدراسة في مرحلة التعليم المتوسط" (2008).

ورغم تفاوت مدة التطبيق بين الدراسات الثلاثة، إلا أن النتائج كانت مقاربة، بحيث أظهرت أن: مقاعد الدراسة لا تستجيب للمعطيات الأنثروبومترية لأجسام الطلاب في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة، وهذا يدعو القائمين على شؤون التربية والتعليم إلى إعادة النظر في اقتناء الطاولات والكراسي المدرسية.

إضافة إلى هذا، هناك العديد من الدراسات التي بينت الأثر الإيجابي للتصميم الأرغونومي للأثاث المدرسي في خفض كمية

إسم الباحث	نوع الدراسة	البلد	عمر العينة	حجم العينة	نسبة الإصابة
Wagenhauser (1977)	عرضية	سويسرا	20-15	529	43%
Grantham (1977)	طولية	بريطانيا	18-13	1960	12%
Salminen (1984)	طولية	فنلندا	17-11	370	20%
Balagué (1987)	عرضية	سويسرا	17-7	1715	35%
Troussier (1994)	عرضية	فرنسا	20-6	1178	51%

الطاقة التي يصرفها الطلاب خلال وضعية الجلوس (Sauvplane & Saint André، 2005)؛ والأثر الإيجابي لاستعمال الأثاث المدرسي الأرغونومي في عملية التركيز مع المعلم (Breithecker، 2002)؛ وفي إمكانية التخفيف من صعوبات تعلم القراءة وما يلزمها من إزعاج (Da sliva Quercia، 2008).

الخلاصة:

أراد الباحثان من خلال هذا الموضوع أن يوضّحا أن الهندسة البشرية كعلم وتكتنية في آن واحد، يمكن أن تكون ذات الإسهام الفعال في قطاع التربية والتعليم، ولم تعد مخرجات العملية التربوية تتوقف على التفاعل بين المعلم والمتعلم، بل أن المؤثرات البيئية التي يمارس المعلمون من خلالها مهامهم (ظروف العمل وأدوات العمل) هي الأخرى تؤثر على حجم الجهود التي

¹ - Idem.

يبدلون، وعلى إحساسهم بقيمتهم، و دورهم في العملية التربوية ، وعلى مفهومهم لمهنة التعليم ، كما تؤثر على الارتياح النفسي وعلى التحصيل الدراسي للطلاب.

وعلى الرغم من أهمية ودور الهندسة البشرية في المجال المدرسي، إلا أن الدراسات التي تناولتها قليلة جداً سواء على مستوى الجامعي أو خارج الجامعة ، وعليه يوصي الباحثان بالمزيد من الدراسات والبحوث وهذا لأهميتها التطبيقية.

قائمة المراجع:

1. بوحفص، مباركي (2008). مقدمة في علم النفس العمل والتنظيم. وهران: دار آل رضوان للنشر والتوزيع.
2. جلال ، محمد النعيمي (1990). المدخل إلى دراسة العمل. الموصل: دار الحكمة للطباعة والنشر.
3. رقية ، عدنان المعاينة (2006). الأرجونوميكا ، هندسة البشر. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.
4. زينب، علي الجبر (1997). السعة المكانية والإضاءة والتهوية الخاصة بحجرات الأقسام العلمية والأدبية في مدارس التعليم بدولة الكويت، مجلة مركز البحوث التربوية، جامعة قطر، (11) 161- 201.
5. شريف أحمد خيري . مجلة العلم والمجتمع. مركز مطبوعات اليونسكو. العدد 165.
6. عبد العالي، بكر اوي. (2008). دراسة أرغونومية لمنصب الدراسة في مرحلة التعليم المتوسط. رسالة ماجستير غير منشورة في الهندسة البشرية وتصميم العمل. جامعة وهران.
7. عبد الله عامر الشهراني، وسعيد محمد رفاع (1995). الإجهاد النفسي، مصادره وطرق مقاومته لدى معلمي ومعلمات العلوم بالمنطقة الجنوبية الغربية من المملكة العربية السعودية، أبها: إصدار مركز البحوث التربوية
8. علي ، عسكر (2000). ضغوط الحياة وأساليب مواجهتها. دمشق: دار الكتاب الحديث.
9. فاروق، عبده فليح (2003). إقتصاديات التعليم، مبادئ راسخة واتجاهات حديثة. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.
10. لينارت ، ليفي (1995). التوتر في الصناعة ، أسبابه و آثاره و الوقاية منه ، ترجمة رزوق سند إبراهيم. بيروت: دار النهضة العربية.
11. محمد، عبد الخالق مدبولي (2001). التخطيط المدرسي الإستراتيجي. القاهرة: دار العربية للكتاب.
12. مصطفى ، منصوري (2004). مصادر ضغوط العمل وعلاقتها بالرضا المهني والقلق وارتفاع ضغط الدم الجوهري، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة وهران.
13. نجم الدين ، ميشكاتي (1992). أرجونوميكا – هندسة البشر- لنظم التقنيات العالية المستوى، ترجمة
14. نوال ، حمداش (1995). التقويم الأنتروبومتري لمنصب الدراسة لتلاميذ الطورين الأساسيين الأول و الثاني. رسالة ماجستير غير منشورة في علم النفس العمل ، جامعة الجزائر.

- Murell, H. (1965). Ergonomics. Man in his working environment. Chapman & Hall. UK. 15

. Récupéré en septembre 2016 par - Prévalence de lombalgies chez les élèves¹⁶



<http://www.chups.jussieu.fr>

17 - Apports de l'ergonomie aux espaces de travail scolaires. Récupéré en septembre 2016 par

<http://www.ordp.vsnet.ch/fr/resonance/>

18 - l'Association grenobloise de l'ergonomie scolaire. Prévention à l'âge scolaire. Récupéré en

Décembre 2016 par <http://www.ipubli.inserm.fr/>

التربية الإبداعية وأثرها في المجتمع

أ. أسماء علي محمد فضل/جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى رفع مستوى التفكير لحل المشكلات برؤية ابداعية وتوضيح أهمية التربية الإبداعية في حياة الفرد والمجتمع كما أنها تحمّل المؤسسات الاجتماعية (البيت + المدرسة + وسائل الإعلام) مسؤوليتها في خلق التربية الإبداعية. واتبعت المنهج الوصفي والتحليلي.

أهم النتائج:

- التربية الإبداعية خلّاقة نتيجة الفكر الإبداعي
- للأم دور في تنمية التربية الإبداعية لدى طفلها
- للمعلم دور في صقل الطفل المبدع
- أن تكون الأنشطة اللاصفية مبدعة لإيجاد طفل مبدع

أهم التوصيات:

- 1- توفير الجو المناسب للتربية الإبداعية
 - 2- للمرأة دور هام في التربية الإبداعية
 - 3- للمنهج الدراسي دور هام في تطوير التربية الإبداعية
 - 4- المجتمع لا بد أن يساهم في التربية الإبداعية
- الكلمات المفتاحية: تطوير، مفكرين، الإنتاج، موهبة، نبوغ، طاقات، إسهام

مقدمة:

إن النظام الثقافي المسيطر على الواقع العالمي حالياً هو نظام السمعى البصرى، والصورة اليوم هي المادة الثقافية التي يجرى تسويقها على أوسع نطاق، وفي عصرنا هذا هي مصدر إنتاج القيم وتشكيل الوجدان والوعي والذوق لدى الناس، وهناك الآلاف من الشركات التي تتنافس في مجال تقديم ثقافة أشبه ما تكون بالسلع الاستهلاكية، كما أن هناك مئات من الأقمار الصناعية التي ترسل عبر شاشات الملايين من أجهزة التلفاز رسائل ثقافية تستهدف تغريب الشعوب في عالمنا العربى والإسلامى عن مجتمعاتهم، وأصبحت صناعة الثقافة في وقتنا هذا من الصناعات التي تستهدف حياة البشر في جوانبها المختلفة، وتهدف إلى تسطيح الأفكار والمشاعر وإلى تغييب الوعي وتزييف العقل.

أما أحدث ثورة يعيشها الإنسان اليوم فهي الثورة الإبداعية والتقدم الحقيقي اليوم هو سباق مع التربية الإبداعية، ومعدل السير الإبداعي يتزايد في عالمنا الحاضر تزايداً مضطرباً، وهو ما يتحدانا في مجالات حياتنا لتخطي الأمية والتخلف، والتقدم في مجال التربية الإبداعية، ولن نكون متقدمين إلا بقدر ما نكون مبدعين، وبقدر ما ننظم طاقاتنا وإمكاناتنا تنظيماً إبداعياً، وإلا بقدر ما نعد الإنسان في مجتمعنا بالتربية الإبداعية، وها نحن الآن مدعوون - فيما يرى مفكروننا - لا لأن نربي، ولا لأن ننمو فحسب لكن لتتخطى تخلفنا، بل لأن نربي تربية إبداعية، وننمو نمواً إبداعياً، أي أن علينا أن نجتاز مرة واحدة تلك الفجوة الشاسعة بين الأمية والإبداع، أمية القراءة والكتابة فما زال في أمتنا العربية والإسلامية أميون، والأمية النوعية لأن أكثر الذين تعلموا في مجتمعاتنا لم يربوا تربية إبداعية، أو لم يتح لهم بعد أن يثمروا معرفتهم تثميراً إبداعياً.

ومحور دراستنا هذه تدور حول التربية الإبداعية وأثر في المجتمع من خلال عرض لمفهوم التربية الإبداعية، وشروط الإبداع، ومقوماته وأهداف التربية الإبداعية ومواصفات المنتج الإبداعي وخصائص عملية الإبداع ومراحلها، وسمات الشخص المبدع وعوامل تحفيز الإبداع وعوامل إعاقته، وأهمية التربية الإبداعية في تطوير حياة الأفراد والمجتمعات، ودور مؤسسات التنشئة الاجتماعية في تحقيق التربية الإبداعية، وفي نهاية البحث عرضنا لبعض المقترحات والتوصيات حول كيفية تفعيل دور التربية الإبداعية وحل المشكلات التي تواجهها في مجتمعاتنا العربية والإسلامية.

مشكلة الدراسة:

تتلخص الدراسة في السؤال الرئيسي التالي:

ما أثر التربية الإبداعية على تقدم المجتمع ورفقيه؟ وينبثق عن هذا السؤال الرئيسي الأسئلة الفرعية التالية:

- 1- ما المفاهيم المهيكلية للإبداع؟ مفهوم التربية الإبداعية؟ وما النظريات المفسرة لها؟
- 2- ما سمات المتعلمين المبدعين؟ وما مواصفات المنتج الإبداعي؟
- 3- ما العوامل المحفزة للإبداع؟ وما المعوقات التي تحول دون الإبداع؟
- 4- هل هناك علاقة بين الإبداع والذكاء؟ وما هو التفكير الإبداعي؟
- 5- كيف يمكن استثمار التربية الإبداعية في تحقيق طفرة علمية وتكنولوجية وحضارية للمجتمع من أجل رقيه وتقدمه وازدهاره؟

6- ما أساليب تنمية التفكير الإبداعي والإبداع في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة؟

7- كيف يمكن للتربية أن تمد المجتمع بعلماء وعظماء يساهمون في تقدم المجتمع ورفقيه ورفاهيته؟

أهمية الدراسة:

- 1- كون الشباب والنشء هم مستقبل المجتمعات وتفكيرهم أساس بناء هذا المستقبل بالتربية الإبداعية الفريدة.
- 2- قلة الدراسات التي تبحث معوقات التربية الإبداعية والتفكير الإبداعي وتفتح لها حلولاً عملية تطبيقية.
- 3- الضرورة الملحة للتربية الإبداعية في عصر يتوفر فيه سيل من المعلومات المتغيرة باستمرار فتبرز الحاجة لإيجاد حلول جديدة ووسائل مبتكرة لتحقيق الفرد لأهدافه.

4- عدم ربط المجتمع بين أثر التنشئة الاجتماعية وضعف التربية الإبداعية وكذلك عدم الربط بين ضعف التربية الإبداعية من جهة والآثار الاجتماعية والاقتصادية والفكرية الناجمة عن تكرار الأخطاء والخوف من التغيير من جهة أخرى، وهذه الدراسة تبحث في هذا الربط والأسئلة التي يثيرها.

5- ما خلصت إليه الدراسات والبحوث العلمية حول أثر التربية الإبداعية في فكر وسلوك الطفل ثم الناشئ، وأن الخبرات الاجتماعية التي يكتسبها تؤثر في نموه العقلي والانفعالي والاجتماعي واستقراره النفسي ونجاحه في النظر للمعضلات وحلها بطريقة فعالة.

6- أن الطريقة الوحيدة لحل المشكلة هي بمواجهتها وليس بإنكارها أو الاختباء منها لعلها تزول تلقائياً، فالمشاكل لا تضحل من ذاتها، أو باستخدام نفس الحلول السابقة، بل يجب مواجهتها بجرأة وإتاحة المجال أمام العقل المبدع ليسعى نحو الحلول الناجحة وإن كانت غريبة.

7- إن مساعدة شاب على تخطي مشكلة أو اثنتين هو بمثابة إطعامه وجبة ليوم واحد، غير أن تمكينه وإعداده وتزويده بأدوات الإبداع كفيل بإطعامه العمر كله، وهذا شأن تشجيع التفكير الإبداعي وإتاحة المجال أمامه ليبرز وينمو ويأخذ بيد صاحبه نحو النجاح.

8- الضرورة الملحة للتربية الإبداعية في عصر يتوفر فيه سيل من المعلومات المتغيرة باستمرار فتبرز الحاجة لإيجاد حلول جديدة ووسائل مبتكرة لتحقيق الفرد لأهدافه.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة بشكل أساسي إلى:

- 1- رفع مستوى التفكير بحلول المشكلات وتوسيع في مجال رؤية الحلول المبدعة.
- 2- الكشف عن أهمية التربية الإبداعية ودورها الضروري لاستمرار حياة ناجحة للفرد والمجتمع.
- 3- التوعية بالتأثيرات السلبية للتنشئة الاجتماعية الخاطئة على الشباب بعيداً عن التربية الإبداعية وإمكانية الحد من هذه التأثيرات من خلال مهارات يمكن اكتسابها والتدريب عليها.
- 4- رفع مستوى التفكير بحلول المشكلات وتوسيع مجال رؤية الحلول المبدعة.
- 5- توفير بيانات إحصائية واستنتاجات حول آراء الشباب المتعلقة بالتربية الإبداعية ومواقفها لديهم.
- 6- رفع الوعي لدى المؤسسات الاجتماعية بدءاً من الأم المربية وحتى وسائل الإعلام بمسئوليتهم عن التربية الإبداعية، وضرورة حصول كل من النشء والأطراف المعنيين بالتنشئة الاجتماعية على التدريب والتأهيل المناسب لتربية جيل سوى فكرياً قادراً على رؤية مشاكله واستنباط حلول إبداعية لها، ومن ثم تحقيق أهدافه الذاتية وتطوير مجتمعه.

مبررات الدراسة:

المبرر العام:

- 1- التدهور المتزايد والمتسارع للوضع العام لبعض الشباب العربي خاصة فيما يتعلق بالوقوع في مشاكل متشابهة ومتكررة بسبب قصور التربية الإبداعية والتفكير الإبداعي، وعدم توفر الرغبة أو إمكانية البحث عن حلول إبداعية، كالمشاكل الاجتماعية والاقتصادية والبيئية، مما يستلزم بذل الجهود وإجراء الأبحاث للحد من هذا التدهور عملياً.
- 2- ضرورة رفع وعي الشباب بأهمية مشاركتهم في تربيتهم الذاتية من خلال التعرف على طرق تنمية التربية الإبداعية والتفكير الابتكاري والإبداع لديهم، وبالتالي تمكينهم من التمييز بين المناهج الفكرية المحجّمة لعقولهم والمفيدة لها، وتشجيعهم على نبذ الضار والاستفادة من النافع.
- 3- رغم الدراسات التي تناولت التربية الإبداعية إلا أن معوقات التفكير الإبداعي لم تحظ بالقدر الكاف ولذلك تعد هذه الدراسة محفزاً لاستمرار الدراسات العلمية الرامية للكشف عن أهمية الإبداع وتنمية الأفراد وأثر ذلك على تطور المجتمع.
- 4- ينطوي هذا البحث على جانب كبير من الأهمية من الناحيتين المعرفية والتطبيقية:

أولاً: الناحية المعرفية:

- 1- مساهمته في توسيع المعرفة حول أهمية التربية الإبداعية وطرق تفعيلها وتنميتها في العقل البشري.
- 2- إبرازه لدور التنشئة الاجتماعية ومؤسساتها المختلفة في دعم التفكير الإبداعي أو قمعه.
- 3- الحاجة للمزيد من الدراسات التي تتناول مرحلة الشباب وقدراتهم الفكرية والإبداعية للوقوف على أفضل الأساليب لتحسين نوعية حياتهم وحلهم لمشاكلهم.
- 4- البحث عن التطبيقات العملية التي تؤثر إيجابياً في رفع الوعي حول طرق التفكير عموماً وتحسينها بهدف توسيع نطاق رؤية الحلول الجذرية والمبدعة للمشاكل.

ثانياً: الناحية التطبيقية:

- 1- تزويد الأفراد والقائمين على المؤسسات الاجتماعية المؤثرة في التنشئة الاجتماعية بمعلومات حول أساليب تنمية التربية الإبداعية في التنشئة الفكرية.
- 2- توضيح الممارسات الخاطئة المتضمنة في التنشئة الاجتماعية وأثارها المدمرة لسعة أفق الناشئ وانعكاسها على سلوكه وتوافقته الاجتماعي مع المحيط الخارجي وضعف التربية الإبداعية وذلك بهدف تجنبها وعلاجها قبل أن تتزايد وتتفاقم ليصبح إصلاحها في المستقبل عملية شاقة.
- 3- تقديم اقتراحات عملية مبنية على النتائج التي خلص إليها البحث والتي يمكن أن يستفيد منها الأفراد في مختلف المجالات لتعديل طرق تفكيرهم وتنمية إمكاناتهم الإبداعية وإمكانات أبنائهم أو طلابهم أو أي شريحة أخرى من شرائح المجتمع.

المبرر الشخصي:

- 1- الإيمان بخطورة تحجيم التفكير الإبداعي وتهميش التربية الإبداعية وتقييده على الفرد والمجتمع.

2- الشعور بالمسؤولية تجاه التوعية بمهارات التربية الإبداعية والتي يعتقد أنها يمكن أن تساهم عملياً في تحسين حياة الأفراد وتحقيق أهدافهم في مجتمع دائم التغير.

3- التفاؤل والأمل بمستقبل أفضل للأجيال القادمة، مع الاستفادة من أخطاء الماضي واستنباط الدروس من التاريخ، ومساعدة النشء على إفراح المجال لأفكارهم الإبداعية والتجديدية بما يكون له أثر فعال في تحسين أوضاع الأفراد والمجتمعات.

مصطلحات الدراسة:

(إبداع) - لغة (مادة ب د ع): أبدع الشيء: أنشأه على غير مثال سابق، والإبداع إيجاد الشيء من العدم، ومنه قوله تعالى: "قل ما كنت بدعاً من الرسل" الأحقاف: آية 9.⁽¹⁾

واصطلاحاً: مزيج من المرونة والأصالة والطلاقة للأفكار التي تجعل المفكر قادراً على تغيير طرق تفكيره المألوفة إلى طرق أخرى مختلفة، ذات نتائج تنبؤية، وهذه تعطيه رضا عن نفسه، وأحياناً عن الآخرين.⁽²⁾

والإبداع يعرفه بعض رجال التربية بأنه:

أسلوب من أساليب التفكير الموجه والهادف، يسعى الفرد من خلاله لاكتشاف علاقات جديدة، أو يصل إلى حلول جديدة لمشكلاته، أو يخترع أو يبتكر مناهج جديدة، أو طرقاً جديدة أو أجهزة جديدة.⁽³⁾

والإبداع هو امتلاك فكرة جديدة، وهناك أربعة معايير للفكرة الجديدة يجب أن تكون شخصية، أصيلة، وذات معنى، ونافعة.⁽⁴⁾

التربية الإبداعية: هي سيرة أو عملية تعليمية تضع المتعلم أمام وضعية مشكلة، بحيث يضطر إلى استحضار موارده النظرية والمنهجية والمهارية ورؤيته الثاقبة لحلها، وعلى ضوء ذلك تظهر قدرة المتعلم على إنتاج أفكار جديدة، وخاصة النابعة من حسه الإبداعي.⁽⁵⁾

الدور:

يعود أصل الكلمة إلى (دور)، وتعني في اللغة "دار الشيء يدور دوراً ودوراناً ودؤوراً واستدار، وأدركته أنا ودورته، وأداره غيره، ودور به، ودركته به وأدركته واستدركته، ودأوره مداورة ودواراً: دار معه، قال: والدور قد يكون مصدرراً في الشعر، ويكون دوراً واحداً من دور العمامة، ودور الخيل وغيره عام في الأشياء كلها"⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ فاروق عبده فلي، أحمد عبد الفتاح الزكي - معجم مصطلحات التربية لفظاً واصطلاحاً - دار الوفاء للطباعة والنشر - (ص 13) وانظر أيضاً في ذات الموضوع لسان العرب - مختار الصحاح المعجم الوجيز - المعجم الغني.

⁽²⁾ فاروق عبده فلي، أحمد عبد الفتاح الزكي - مرجع سابق ص 13.

⁽³⁾ انشراح المشرفي - المرشد في التربية الإبداعية للطفل - بتصرف.

⁽⁴⁾ جون هارتاي - (أبريل 2007م) الصناعات الإبداعية - كيف تنتج الثقافة في عالم التكنولوجيا والعولمة - ترجمة بدر السيد سليمان الرفاعي - سلسلة عالم المعرفة - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت - العدد 138 - أبريل 2007 - ص 158.

⁽⁵⁾ Suzanne Filteau (printemps 2012) la creativite sous toutes ses coutures revue pedagogie collegiale, vol 25 no3. p26 avec modifcation

⁽⁶⁾ للإمام العلامة ابن منظور، لسان العرب، ج 4، ط 1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1416هـ، ص 438.

أما المعنى الاصطلاحي لكلمة (الدور) فيعرف بأنه: "مجموعة من الأنشطة المرتبطة، أو الأطر السلوكية التي تحقق ما هو متوقع في مواقف معينة، ويترتب على الأدوار إمكانية التنبؤ بسلوك الفرد في المواقف المختلفة"⁽¹⁾

وفي هذه الدراسة يقصد بالدور: مجموع ما تقدمه التربية الإبداعية من أنشطة وأساليب تساهم في تفعيل الروح الابتكارية والإبداعية لأبنائنا.

قدرات:

في اللغة تعود كلمة (قدرات)، ومفردتها قدرة، في الأصل إلى قدر: القدير والقادر: من صفات الله عز وجل، يكونان من القدرة، ويكونان من التقدير، وقوله تعالى: (إن الله على كل شيء قدير)⁽²⁾ من القدرة.. ويقال: قدرت أي هيأت، و قدرت أي أعطت، و قدرت أي ملكت، و قدرت أي وقت"⁽³⁾.

أما من جهة التعريف الاصطلاحي للقدرات، ومفردتها قدرة، فهي: "تسخير طاقات المخلوقات المحسوسة في الكون، طبقاً للقوانين التي تنظم وجود هذه المخلوقات، ولما تمليه حاجات الإنسان في البقاء والرقى"⁽⁴⁾

وهنا يمكننا القول، أن المقصود بالقدرة في دراستنا هذه بأنها: هي تلك الطاقات والمحفزات التي تحدث تغييراً إبداعياً في طلاب المراحل المختلفة، ويكتسبوا من خلالها مجموعة من الممارسات العقلية والبدنية والخلقية التي تحسن اتجاهاتهم نحو الحوار البناء، وفق المتطلبات والحاجات الإنسانية، مما يدفعه للتعايش والبقاء والرقى داخل المجتمع.

منهج الدراسة:

استخدمت الباحثة في هذه الدراسة ما يلي:

المنهج الاستنباطي والذي يعرف بأنه "الطريقة التي تقوم فيها الباحثة ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة الآراء والمقترحات، بهدف استخراج مبادئ تربوية عامة مدعومة بالأدلة من خلال أبحاث ودراسات حول دور التربية الإبداعية في تقدم المجتمع.

واستخدمت الباحثة في هذه الدراسة الاستنباط من بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحت على التربية الإبداعية، إضافة إلى رجال التربية والعلماء والباحثين حول ذات الموضوع بهدف استخراج مبادئ عامة توجه هذا الموضوع وتؤصله.

كما استخدمت الباحثة في دراستها المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على التسلسل المنطقي للأفكار، وذلك من خلال دور التربية الإبداعية في المجتمع وكيفية تذليل العوائق التي تواجهها بهدف تذليلها، وذلك لإعداد أجيال قادرة على حمل رسالة تقدم المجتمع ورفقيه والتركيز على بعض المقترحات التي تساهم في التأكيد على أهمية استخدام التربية الإبداعية في جميع نواحي مجتمعاتنا العربية والإسلامية لصالح شعوب دولهم ورفقهم ونهضتهم.

حدود الدراسة:

وتشمل كل ما يلي:

(1) محمد منير مرسى، الإدارة التعليمية أصولها وتطبيقاتها، طبعة منقحة، القاهرة، عالم الكتب. 1993 م، ص 133.

(2) سورة البقرة، آية 20.

(3) للإمام العلامة ابن منظور/ مرجع سابق، ج 11، ص 55، 57.

(4) ماجد عرسان الكيلاني، أهداف التربية الإسلامية في تربية الفرد، مرجع سابق، ص 70.

- 1- حدود موضوعية:تناول الدراسة التربية الإبداعية ومفهومها ودورها في تقدم المجتمع ورفقيه والعوائق التي تواجهها.
- 2- حدود زمنية: تغطي الدراسة كل ما يتعلق بالتربية الإبداعية سواء منذ ظهور هذا المفهوم على الساحة حتى ما ورد عن هذا المفهوم في المراجع والمصادر الدينية كالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وحتى عصرنا الحالى.
- 3- حدود مكانية: تغطي الدراسة- بصفة عامة- كل مجالات التربية الإبداعية في المجتمع وتركز - بصفة خاصة - على دور المدرسة والأسرة والمجتمع في إبراز والتأكيد على التربية الإبداعية.

الدراسات السابقة:

تناولت العديد من الأبحاث والكتب هذا الموضوع الحيوى والهام من عدة زوايا ومنها ما يلى:

- 1- دراسة:د/حسن إبراهيم عبد العال- بعنوان "التربية الإبداعية ضرورة وجود" عن دار الفكر- بيروت- لبنان- بتاريخ 2007م على 290 صفحة وقد دارت هذه الدراسة من خلال خمسة فصول بالعناوين التالية: الفصل الأول: واقعنا المعاصر والحاجة إلى التربية الإبداعية. الفصل الثانى: الإبداع نظرياته ومقوماته وسمات أصحابه. الفصل الثالث: التربية وصناعة الإبداع. الفصل الرابع: الأسرة وتربية الإبداع. الفصل الخامس: المدرسة وتربية الإبداع.
- 2- دراسة د/عبد الإله بن إبراهيم الحيزان وذلك بعنوان: "لمحات عامة في التفكير الإبداعى"- ح- مجلة البيان 1422هـ- الرياض- السعودية 96ص وقد عرف الإبداع وعرض العلاقة بينه وبين مفاهيم أخرى مثل الذكاء والابتكار والتفكير الإبداعى ثم تحدث عن بيئة الإبداع والمنتج الإبداعى ومراحل التفكير الإبداعى وسمات الشخص المبدع والعلاقة بين التفكير الإبداعى والتحليلى ومعوقاته ومبادئ عامة فيه وطرق تنمية الإبداع وطرق التفكير الإبداعى.
- 3- دراسة/هنا العابد- إشراف د/ أديب عقل رسالة دكتوراه منشورة في جامعة الشارقة للاستشارات الأكاديمية والجامعية- بعنوان: التنشئة الاجتماعية ودورها في نمو التفكير الإبداعى لدى الشباب السورى ودارت في أكثر من 260 صفحة وبعد أن تحدثت في الفصل الأول عن منهجية الدراسة تحدثت في الفصل الثانى عن خصائص التنشئة الاجتماعية ومؤسستها ثم تحدثت في الفصل الثالث عن: التفكير الإبداعى وأهميته في تطوير حياة الأفراد والمجتمعات وفي الفصل الرابع: تحدثت عن التنشئة الاجتماعية والتفكير الإبداعى وجاء الفصل الخامس: عن الدراسة الميدانية التى قامت بها الباحثة، وتوصلت منها إلى مجموعة من النتائج العامة والمقترحات.
- 4- دراسة محمد على محمود (2002) - تنمية مهارات التفكير من خلال المناهج التعليمية (رؤية مستقبلية) - جدة - دار المجتمع للنشر والتوزيع- ط1.

محتويات الدراسة:

تحتوي الدراسة على خمسة مباحث:

- المبحث الأول: التفكير الإبداعى (خصائصه ومستوياته وشروطه) وأثرهم على التربية الإبداعية في المجتمع.
- المبحث الثانى: أثر مؤسسات التنشئة الاجتماعية في التربية الإبداعية.
- المبحث الثالث: معوقات وعقبات التربية الإبداعية.
- المبحث الرابع: دوافع وحوافز وفوائد التربية الإبداعية.

• المبحث الخامس: كيفية تطوير شخصية النشء لتفعيل دور التربية الإبداعية.

المبحث الأول: التفكير الإبداعي (خصائصه ومستوياته وشروطه) وأثرهم على التربية الإبداعية في المجتمع:

أولاً: خصائص التفكير الإبداعي:

وهي مجموعة الصفات التي يتصف بها هذا النوع من التفكير وهي:

1- القدرة على اكتشاف علاقات جديدة.

2- الربط بين العلاقات القديمة المعروفة والعلاقات الجديدة المستحدثة.

3- القدرة على التعبير عن تلك العلاقات وصياغتها.

4- توظيف العلاقات الجديدة لتحقيق أهداف محددة.

5- ترك التأثير بالأراء القديمة للآخرين إلا بما يساعد الفكرة الإبداعية.⁽¹⁾

ويمكن تسمية التفكير الإبداعي بالتفكير خارج الصندوق أى خروج عن المألوف وانبثاق للأفضل كما تخرج الشرنقة من الفراشة، والنبات من الأرض.⁽²⁾

ثانياً: مستويات التفكير الإبداعي:

يعمل العقل في التفكير الإبداعي بشكل عام على مستوى واسع لأنه يوجد أفكار جديدة فالتفكير الإبداعي ممتد أفقياً، فهو يعلق أو يوقف الحكم العقلي ليتحرك ويخبرك أين تتجه لتوجد نماذج وأشكال جديدة.⁽³⁾

وقد توصل الباحثون أيضاً إلى درجات يصعد بها التفكير الإبداعي فيها لأعلى مستوياته، وفي مقدمة الباحثين في هذه المستويات كالفن تايلور من جامعة يوتا الأمريكية وهي خمسة مستويات كالتالي:-

أ- المستوى الإبداعي التعبيري (Expressive creativity): حيث يتميز هذا الإبداع بال تلقائية والحرية والاستقلال، غالباً ما يكون الإبداع التعبيري في مجال الثقافة والأدب والفنون التعبيرية المختلفة.⁽⁴⁾

ب- المستوى الإبداعي الإنتاجي (Productive creativity): ويتميز بأنه ناتج عن نمو المستوى التعبيري بما يؤدي لإنتاج بأساليب متطورة غير مستوحاة من أعمال الآخرين، حيث مر تاريخ العمل التجارى الأمريكى بعدة مراحل من التحول من الحرف لحجم الإنتاج الكبير ثم للعملاء والجودة تم التجديد الدائم، والبحث عن طرق جديدة لإرضاء العميل، وهذا هو بلوغ مرحلة إنتاج الأساليب المتطورة غير المسبوقة.⁽⁵⁾

(1) السويديان، والعدلوني، طارق وأكرم - مبادئ الإبداع - قرطبة للنشر والتوزيع - السعودية - 2009 - ص 29.

(2) فانس وديكون - مايك وديان- التفكير خارج الصندوق - مكتبة جرير - السعودية - 2008 - ص 3.

(3) ديبونو، إدوارد - تحسين التفكير بطريقة القبعات الست - ترجمة عبد اللطيف الخياط - دار الإعلام - بالأردن- 2002 - ص 72.

(4) السويديان والعدلوني، طارق وأكرم- مبادئ الإبداع- مرجع سابق- ص 34.

(5) توفيق، عبد الرحمن/ الإبداع والقواعد غير المكتوبة- مطابع الشرطة- مصر- 2005م- ص 12.

ج- المستوى الإبداعي الاختراعي: (Syntnesis creativity): ويتطلب هذا المستوى مرونة في إدراك علاقات جديدة غير مألوفة بين أجزاء منفصلة، وعلوم ومعلومات موجودة مسبقاً دون رابط ومحاولة ربط هذه الأجزاء ودمجها بعملية ذهنية تركيبية، مثل اختراع آلة أو أساليب عمل جديدة، فهو تركيب جديد له وظيفة جديدة.⁽¹⁾

د- المستوى الإبداعي التجديدي: (Pioneer creativity) ويتطلب هذا المستوى قدرة فائقة على الرؤية التخيلية التجريدية للأشياء، مما يمكن المبدع من التعديل عليها، ومن ثم اختراع شيء جديد، فالسابقون من الناس يمتازون بإدراكهم لمسئولياتهم على نحو لا يبلغه الأشخاص العاديون، وكثيراً ما يكون الاهتمام هو الحد الفاصل بين الأعمال الناجحة والأعمال الفاشلة.⁽²⁾

هـ- المستوى الإبداعي الانبثاقي (Spiral creativity): وهو من أرفع مستويات الإبداع لأنه يتطلب تصوراً لمبدأ جديد كلي ومختلف جذرياً، ويصل لفتح آفاق لم يفكر فيها أحد من قبل.⁽³⁾

ثالثاً: شروط الإبداع:

يتطلب الإبداع المثابرة في اكتساب مهاراته، ولا شك أن امتلاك مثل هذه المهارات والقدرات يتطلب سعي الإنسان ومثابرته في اكتسابها، فما بالك إذا كانت متوفرة لدى النشء عند ولادته، ولكنها كامنة تحتاج للكشف حتى تظهر على السطح.⁽⁴⁾ ومن أهم الشروط التي ينبغي توافرها ليصبح الفرد مبدعاً ما يلي:

1- المرونة (Flexibility): تعني القدرة على تغيير الأفكار وتنويعها باستمرار، وعدم التركيز على طريقة واحدة لإيجاد الحلول، فمبدأ التنوع في الوحدة من أعظم المبادئ التي ينتفع بها عند التجديد، فالكون قائم على هذا المبدأ.⁽⁵⁾

2- الأصالة (Originality): أي أن تكون أفكار الفرد المبدع غير مألوفة ولم يسبقه إليها أحد، وكلما قل شيوع الفكرة زادت درجة أصالتها، فالاستجابات الأصلية تتميز بالطرافة، مثل أن يعطى النشء قصة ويطلب منه أكبر عدد ممكن من العناوين المدهشة والمثيرة للقصة.⁽⁶⁾

3- الحساسية: وهي القدرة على تحسس الطبيعة الخاصة بكل مشكلة والتقاط تفاصيل لا يتمكن الآخرون من إدراكها، فسلوك الإنسان غاية في الأهمية في مسألة تفجير القدرات الكامنة، مثل سلوك الفرد الذي يميل ليكون قائداً لمجموعة ينتهي إليها نظراً لإحساسه بامتلاكه قدرات خاصة لا تتوافر في الآخرين، كالقدرة على استقراء المستقبل ووضع الخطط المحققة لأهداف الجماعة.⁽⁷⁾

4- الطلاقة (Fluency): أي أن يكون للفرد القدرة على تقديم إنتاج من الأفكار الإبداعية بأنواع مختلفة وبكمية تفوق المتوسط العام في غضون فترة زمنية محددة، فإنتاج الفرد الإبداعي قد يكون لفظياً بكميات مبتكرة، أو فكرياً بأفكار مناسبة

(1) ذريق، معروف، علم النفس الإسلامي - دار المعرفة - سوريا 1993 - ص 80.

(2) بكار، عبد الكريم - فصول في التفكير الموضوعي - دار القلم - سوريا - 2005م - ص 101.

(3) السويدان، والعدلوني- طارق، وأكرم- مبادئ الإبداع- قرطبة للنشر والتوزيع- السعودية - 2009م - ص 35.

(4) فريد، أسامة، حرك مخك (برنامج متكامل للتميز في تفجير القدرات) - دار قرطبة- السعودية- 2009 - ص 10.

(5) بكار، عبد الكريم، فصول في التفكير الموضوعي- مرجع سابق- ص 166.

(6) السويدان والعدلوني- طارق وأكرم- مبادئ الإبداع- مرجع سابق- ص 82.

(7) فريد، أسامة، حرك مخك، مرجع سابق، ص 80.

سريعة أو تعبيرياً بصياغة تراكيب مترابطة أو شكلياً بابتكار تشكيلات وصفية متعددة، أو ارتباطياً بربط كلمات تشترك في المعنى.⁽¹⁾

5- الاستنباطية (Elaboration): وهي القدرة على التركيز على الأفكار واستخلاصها ثم ربطها مع بعضها وملاحظة العلاقات بينها في نفس الوقت دون أن يؤدي ذلك إلى تشويش الذهن أو انفلات بعض التفاصيل، خارج نطاق التفكير، وهذا هو أساس أي بحث تال من أبواب المنطق، وربما العنصر المشترك بين قوانين الفكر والعلم واللغة.⁽²⁾

6- القبول (Acceptance): وهو تقييم للأفكار من حيث مدى جدواها للناس وقبولهم لها ووصولها إليهم كإنتاج مفيد يحتاجه المجتمع، فالإنسان يأمر آلة يصنعها للسفر للكواكب فتذهب وتنفذ الأوامر وتعطي المعلومات وتعود، وهذه عينة من أبجدية التسخير وأفاق من العلم، التسخير هو الوصول بالعلم إلى أقصى غاياته لخدمة الإنسان في حياته العملية اليومية.⁽³⁾

المبحث الثاني: أثر مؤسسات التنشئة الاجتماعية في التربية الإبداعية:

التنشئة الاجتماعية هي: "عملية تعليم الطفل المعتقدات والقيم بما يجعله مسئولاً وعضواً صالحاً وفعالاً ومقتدراً في المجتمع."⁽⁴⁾

وبالطبع فإن الأسرة لها دور رئيسي في التنشئة الاجتماعية فالآباء لهم دور هام في تدعيم التربية الإبداعية أو تحجيم بواذر الإبداع عند الطفل، يلعبها المؤسسة الاجتماعية الثانية وهي المدرسة، فمن العوامل الأساسية التي تؤثر في أداء الطلبة الامتحاني القدرة على التعليم المستقل ومواقفه تجاه المدرسة والتعليم والتحصيل السابق للطلاب والاتجاهات العرقية التي ينتهي إليها.⁽⁵⁾ كما أن المؤسسة الدينية لها دور هام في التنشئة الاجتماعية فكانت الحلقات العلمية في المساجد تشبه الأكاديمية وتترك أثراً لا ينسى في حياة الطالب.⁽⁶⁾

كما أن الأقران هي مؤسسة اجتماعية لها تأثير لا يمكن تجاهله، فيمكن لأصدقائك أن يؤثروا بشكل هائل على موقفك وتوجهك، ولذلك فقد نختار أصدقائنا بناءً على قبولهم لنا، وهذا ليس قراراً حكيماً، فإن أعجبك أحد الشباب المتسكعين في الشوارع وأردت التقرب منه فهل تنظم إلى تسكعه وتشاركه البطالة؟⁽⁷⁾

(1) السويدان والعدلوني- طارق وأكرم- مبادئ الإبداع- مرجع سابق- ص 84.

(2) أبو النور- مبادئ الإبداع- دار الفكر- 1993- ص 11.

(3) سعيد، جودت- مذهب ابن آدم الأول- دار الفكر- لبنان- 1993- ص 234.

(4) بارون وبيرن وسالس، وروبرت ودون جيرى- استكشاف السيكولوجيا الاجتماعية، مطابع ألين وبيكون، أمريكا 1988، ص 102.

(5) على، عيسى، أثر التعليم الرسمي والخاص في مستوى تحصيل طلبة ثانوية دمشق، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية- مجلد 17، عدد 1 سوريا - 2001م، ص 212.

(6) الشكعة- مصطفى- الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان- دار الكتاب اللبناني- 1983، ص 120.

(7) كوفي، شين- العادات السبع للمراهقين الأكثر فعالية، مؤسسة فرانكلين كوفي، ترجمة دار جرير- السعودية 2004- ص 87.

إن الحاجة لأن يكون المرء مقبولاً منتمياً لجماعة تنعكس بشكل كبير على ما يفعله المبدعون، فالإبداع قائم على الشجاعة والجرأة تجاه التغيير والإقدام على ما هو مختلف.⁽¹⁾

كما أن الإعلام له دور هام في التأثير على القدرات الإبداعية للنشء، فالإعلانات والبرامج والمسلسلات والأفلام لها أهداف تجارية بحتة، وبالتالي يكون الإعلام غير مساهم في التجديد والابتكار والإبداع، كما أن التنافس بين وسائل الإعلام ظاهري، لأنها تسعى لمضاعفة الخضوع للأعراف العامة، ليعرف كل فرد دوره وموضعه، وكيف ينبغي أن يفكر ويتصرف.⁽²⁾

المبحث الثالث: معوقات وعقبات التربية الإبداعية.

للتربية الإبداعية عوائق وعقبات تنتج بسبب الأساليب الخاطئة التي تتبعها مؤسسات التنشئة الاجتماعية في تربية النشء، مما يؤدي إلى خفض فرص الابتكار والتجديد في عقولهم، ومن هذه المعوقات العقبات الذهنية والنفسية والبيئية وهي كما يلي:

1- عقبات ذهنية:

وهي المعوقات التي تتولد في الذهن بسبب التوجيه غير المباشر للعقل نحو الطرق المسدودة إبداعياً، ومن ثم تتبلور في الذهن وتنمو معه، وتستمر مع الإنسان طوال حياته ليلجأ إليها، كلما أراد التفكير، إلى أن يعرف حقيقة وضعه الذهني، ويبدأ بنفسه بالسعي إلى مراقبة ذهنيته وتعديلها وفق ما يشعر بالحاجة إلى تصحيحه، ومن هذه المعوقات ما يلي:

أ- إطلاق أحكام مسبقة وغير مدروسة:

وذلك نتيجة الانطباع الذي يأخذه الناشئ من ذويه، ومن ثم يتبنى الطفل هذا السلوك الذي يتناقض مع أهم شروط الإبداع وهو الحساسية أي القدرة على تحسس الطبيعة الخاصة بكل مشكلة على حدة، غير أن ما يحصل هو ظننا بأننا نستطيع أن نقرأ أفكار الآخرين، ونلصق بسلوكهم وأفعالهم دوافع هم منها براء.⁽³⁾

ب- التعود على طريقة التفكير الراسي:

وهو ذلك التفكير الذي يسعى نحو طرق جديدة في النظر للمشاكل بدل المتابعة فيها بمراحل عمل متسلسلة منطقياً، وبالتالي فإن المفكر بهذه الطريقة محروم من التغيير أو الخروج عن الصندوق والمرونة التي هي أحد شروط الإبداع.⁽⁴⁾

ج- النظرة السطحية للأمور:

وذلك بدافع الكسل النفسي والعقلي الناتج عن تنشئة اجتماعية تعود عقل النشء على عدم التعمق في الأشياء فإذا كان الهدف الذي نريد تحقيقه هو الحقيقة وليس الكسل أو المصلحة الخاصة، فالواجب علينا ألا نسمح به، لما له من سلبيات كبيرة في المدى البعيد.⁽⁵⁾

(1) هناء العابد- التنشئة الاجتماعية ودورها في نمو التفكير الإبداعي لدى الشباب السوري، رسالة دكتوراه - جامعة الشارقة- للاستشارات الأكاديمية والجامعية، مارس 2010- ص 49.

(2) برون، ج، ي، أساليب الإقناع، ترجمة د/ عبد اللطيف الخياط، دار الهدى- السعودية، 1999- ص 23.

(3) كارلسون- ريتشارد- لا تهتم بصغائر الأمور مع أسرتك- ترجمة دار جرير- دار مكتبة جرير- بالسعودية- 2000- ص 329.

(4) سولان، بول، دليل القادة إلى مهارات التفكير الراسي- مطابع شركة كلز المحدودة- بريطانيا 2003، ص 7.

Solan, Paul, the leader's guide to lateral thinking skills, clays ltd, great Britain 2003

(5) الأميري، أحمد البراء- فن التفكير- مكتبة العبيكان- السعودية- 2005م- ص 57.

د- التفكير الجامد النمطي:

أى التفكير الذي يقيد العقل ضمن إطار سجن لا يسمح له بالإبداع وحرية التفكير، فإذا لم يكن لدى الطفل القدرة على الاستقلال فكرياً فسيعيش حياته الفكرية معاقاً.⁽¹⁾

هـ- النظرة المجزأة للأشياء والأحداث:

أى النظر للأمور بأجزائها دون ربط أو شمولية، وهذا يؤدي إلى فقدان القدرة على إدراك الصور الشاملة والكاملة للأحداث والأشياء، ولذلك فالحل يكون بالبحث عن المعلومات الكاملة التى تشمل على الأقل أساسيات ما نبحت.⁽²⁾

2- معوقات نفسية: ومنها ما يلي:

أ- عدم الثقة بالنفس:

إن القهر يسلب الناشئ حاجاته النفسية الأساسية الست التى اتفق عليها عدد كبير من علماء التربية وهي الحاجة للحب والحاجة للحرية والاستقلال والحاجة للتعليم وتوسيع المعرفة العلمية والحاجة للتقدير واحترام الذات والحاجة للأمن والطمأنينة والحاجة إلى ضبط وتوجيه اجتماعي.⁽³⁾

ب- الخوف من التغيير:

فحين تأتينا معلومات تناقض ما تعودنا عليه فإن أكثرنا يحاول الإفلات من التغييرات التى تقتضيها المعلومات الجديدة بتحويلها أو إسقاطها أو التشكيك فى صحتها.⁽⁴⁾

ج- الاعتقاد بأن هناك قوى خارجية تتحكم فينا:

وهذا هو الشعور بالضعف والعجز إزاء قوى مختلفة مهما كان نوعها، تقف عائقاً أمام الإنسان بشكل عام والنشء بشكل خاص دون أن يكون له سيطرة عليها، إن الحال فى كل زمان تحتاج إلى إمداد سريعة من المساندة لتعيد للموهوبين ثقتهم بأنفسهم وتشجعهم على المضى فى طريقهم دون يأس أو إعياء، وذلك لكثرة ما يصيهم من تعويق المثبطين.⁽⁵⁾

د- العزلة:

وهي مشكلة عدم الانفتاح على الآخر، والبعد عنه ليس بالشكل الملموس بل أيضاً بالشكل النفسي، وذلك بسبب تنشئة اجتماعية غير مستقرة وهذا يحجم تطوير الشباب وتحملهم المسؤولية.⁽⁶⁾

(1) سعيد، جودت، مذهب ابن آدم الأول- دار الفكر- لبنان 1993- ص20.

(2) سميث، جين- فن اتخاذ القرارات الصائبة، ترجمة مركز التعريب والترجمة، الدار العربية للعلوم- لبنان- 1999- ص38.

(3) الناصر ودرويش- دور التربية فى الإبداع فى التفكير- دار الفكر- 1992- ص94.

(4) بكار، عبد الكريم- عصرنا والعيش فى زمانه الصعب- دار القلم سوريا 2004- ص161.

(5) الغزالي، محمد- جدد حياتك- دار القلم- سوريا- 2004م- ص203.

(6) ديسماريس، جوى- مقالة علمية حول تطوير مهارات القيادة من خلال تعليم الخدمة للشباب، صادرة عن المجلس الوطنى لقيادة الشباب، جامعة سانت كاترين، سانت بوليس- الولايات المتحدة الأمريكية 2000، مجلد 8 عدد9- ص35.

3- معوقات بيئية: ومنها ما يلي:

أ- منع فرص التساؤل في مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة:

وهذه العقلية للتساؤل هي أحد مكونات الإبداع لدى الطفل، فإن على كل جيل أن يعيد البحث في أساسيات الإيمان لأن المعرفة تنمو مع الزمن، ومن الخطأ الانقياد بطاعة عمياء لا تساؤليه حول آراء الأقدمين.⁽¹⁾

ب- تجاهل الأسرة والمدرسة للطفل المبدع:

إننا نشعر بالإحباط عندما لا نجد من يستمع إلينا، مما يجعلنا نحس بفقدان شيء ما في حياتنا وبعدم الرضا والحرمان.⁽²⁾

ج- عدم فصل المجتمع بين الاحترام والتقديس:

فإن كانت مؤسسات التربية الاجتماعية تعمل على غرس تقديس الأشخاص لا المبادئ فإن روح التساؤل والفهم تبعد وتلها روح الإبداع والتجديد، فالحق لا يعرف بالرجال، لكن الرجال يعرفون بالحق.⁽³⁾

د- عدم وجود مؤسسات أو آليات لاكتشاف المبدعين:

وهي الأنظمة والمؤسسات التي تبحث عن المبدعين بين الأطفال ثم تتبنى تشجيعهم بتقديم ما يلزمهم من علوم وخبرات وإمكانيات في مجالات موهبتهم ودعمهم لاستكمال مسيرتهم، ففي مجال التربية الإبداعية لابد أن تتطور المعلومات إلى اكتمال نفسي واجتماعي.⁽⁴⁾

المبحث الرابع: دوافع وحوافز فوائد التربية الإبداعية

أولاً: حوافز التربية الإبداعية والإبداع:

للتربية الإبداعية والإبداع العديد من العوامل والحوافز التي تستشيره وتوجهه نحو تحقيق الهدف ومنها ما يلي:

أ- عوامل بيئية: مثل حرية الفكر والرأي، وتوافر الوقت اللازم، والتعود على استخدام العصف الذهني وطرق عمل ودراسة تتجه نحو الاستنتاج لا التلقين، بالإضافة إلى وجود مناخ عام لقبول الآراء الجديدة وحماية المبدعين، وإمكانية التواصل والانفتاح على الجهات العليا كالمدرسة والأسرة، وتفويض السلطات وتشجيعها للأفراد على الإبداع، ومن أهم حوافز الإبداع شيوع فلسفة عامة تشجع على التفكير الابتكاري والمبادرة إليه دون خوف من الفشل أو العقاب، وإعطاء صلاحيات لذلك، ورصد المكافآت للمبتكرين.⁽⁵⁾

ب- عوامل نفسية داخلية: كالإخلاص وصدق التوجه نحو الله، واستشعار العجز بين يدي الله، بالإضافة إلى إعمال العقل وممارسة العمل الجماعي والتفكير العلمي والقراءة والقدرة على الملاحظة وخصوصية الخيال ووضوح الأهداف.

(1) لانغ، جيفري- حتى الملائكة تسأل- دار الفكر- سوريا- 2001م- ص13.

(2) كارلسون، ريتشارد- لا تهتم بصغائر الأمور مع أسرتك- ترجمة دار جرير- دار مكتبة جرير- السعودية- 2000- ص30.

(3) الأميري، أحمد البراء- فن التفكير- مكتبة العبيكان- السعودية- 2005، ص64.

(4) الغزالي، محمد- جدد حياتك، دار القلم- سوريا- 2004- ص58.

(5) أسامة فريد، حرك مخك (برنامج متكامل للتميز في تفجير القدرات) دار قرطبة، السعودية، 2009م، ص34.

فلكل منا طموحه الشخصي والرغبة في التميز، وطموحنا يظهر في العمل الذي نقوم به من خلال المجموعات والمنظمات، وإيجاد هدف مستمر هو طريقة التعبير عن الطموحات مع تعبير عن مستوى الالتزام الشخصي⁽¹⁾.

ج- عوامل عملية: وهي القيام بالتدوين السريع للأفكار الهامة قبل ضياعها وإيجابية التفكير، والتفاؤل والتمهل وعدم الاستعجال والتركيز، فمن عوامل التسريع التي تساعد على تحفيز الإبداع التعود على التركيز واستخدام الخريطة الذهنية في التفكير⁽²⁾.

ثانياً: دوافع التربية الإبداعية:

يؤدي التعرف على الدوافع التي تكمن وراء العمل الإبداعي إلى إيجاد الوسائل والتدريبات المناسبة التي يمكن من خلالها تطوير التربية الإبداعية ورفع مستواها إلى أعلى درجة ممكنة، ويمكن تلخيص هذه الدوافع فيما يلي:

أ- الدوافع البيئية: وهي الدوافع المتعلقة بمدى الحاجة إلى مجال معين من الإبداع في المجتمع مثل (إبداع علمي - فني - مهني) وذلك بالإضافة إلى النمو الذي يولده الإبداع والحيوية التي يضيفها على أي مشروع، وما يؤدي إليه من حلول لمشكلات، كما أن العالم يتغير اليوم باستمرار وبسرعة مما يدفع إلى البحث عن حلول تواكب التغير السريع الذي يشهده العالم، وتساهم في تقدم المجتمعات، وبالتالي تسعى المنظمات الآن إلى زيادة قدراتها التنافسية عن طريق الوصول إلى أفكار جديدة قابلة للتنفيذ، رغبة منها للوصول إلى تحقيق شهرة عالمية لتسبق باقي المؤسسات في سلعة معينة، وهذا التسابق للإبداع والتفكير الابتكاري يساعد على تحقيق التميز⁽³⁾.

ب- الدوافع الذاتية المعنوية: وهي الدوافع المتعلقة بالشخص بنفسه ومدى رغبته في خدمة مجتمعه مثل الحصول على رضا الله، وخدمة الأسرة والوطن والتقدير المعنوي وتحقيق الذات، فمن الأقوال الرمزية أن لكل شخص يولد على جهته علامة تقول: "من فضلك إجعلني أشعر أنني مهم، فالإنسان يلتقي مع الحيوان في الحاجة إلى الطعام والشراب، أما الإنسان فهو يرغب فوق كل شيء في نيل الاعتراف والتقدير"⁽⁴⁾.

ج- الدوافع المادية: وهي النتائج التي يمكن أن يحصل عليها الفرد من عمله الإبداعي من مكافآت مالية ودرجة علمية ودرجة وظيفية وشكر وسمعه، وعندما تحقق هذه الدوافع قيم رفيعة فإنها تتجه إلى التفكير في أفضل الوسائل المبتكرة للحصول على الرزق وإنفاقه في وجوه الخير، كما وصف النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنين بأنهم يحبون جمع المال من أطيب سبل وصرفه في أحسن وجوهه⁽⁵⁾.

د- دوافع متعلقة بالعمل الإبداعي: وهي الرغبة الشديدة في إيجاد الفكرة الإبداعية، فالرغبة في الإبداع تحول الحواس إلى برج مراقبة يلتقط كل جديد ويحوّله إلى العقل للمعالجة وربط الأمور ببعضها وغربلتها واستبعاد غير الصالح منها وصولاً إلى الصالح⁽⁶⁾.

(1) عبد الرحمن توفيق، الإبداع والقواعد الغير مكتوبة، مطابع الشرطة، مصر، 2005م، ص 130.

(2) طارق السويدان وأكرم العدلوني، مبادئ الإبداع، قرطبة للنشر والتوزيع، السعودية، 2009م، ص 117.

(3) أسامة فريد، حرك مخك، مرجع سابق، ص 22.

(4) عبد الكريم بكار، مدخل إلى التنمية المتكاملة، دار القلم، سوريا، 2001م، ص 194.

(5) مهند الحاج على بكر، وعلمناه صنعة، دار الفكر، سوريا، 2009م، ص 12.

(6) طارق السويدان وأكرم العدلوني، مبادئ الإبداع، مرجع سابق، ص 20.

البيئة المساندة للإبداع:

مهما كانت قدرات الأطفال الإبداعية الكامنة، فإنها لن تؤتي أكلها ما لم تكن محاطة ببيئة مساندة دافئة، تكشف عن هذه القدرات وتوجيهها وتساعد على النمو والتطور. فكل الأطفال يولدون ولديهم قدرات إبداعية، ولكن الأمر يعود إلينا لتوفير البيئة المساندة لجهود الطفل الإبداعية.

"وعالم النفس كارل روجرز يقول: "إن الناس يحتاجون إلى شرطين إذا أرادوا أن يقوموا بعمل مبدع: الأمن النفسي، والحرية النفسية. وإحساس الطفل بالأمن النفسي ينتج من ثلاث عمليات مترابطة:

1. تقبل الطفل كفرد ذي قيمة غير مشروطة، والإيمان بالطفل بصرف النظر عن وضعه الحالي.

2. تجنب التقييم الخارجي، ودعم تقييم الذات.

3. التعاطف مع الطفل، ومحاولة رؤية العالم من وجهة نظره، وتفهمه وتقبله.

ثالثاً: فوائد التربية الإبداعية

أما فوائد هذه التربية الإبداعية، فهي كثيرة جداً، ومنها على سبيل المثال:

1- الابتكار:

يعتبر الابتكار من أبرز ثمار التربية الإبداعية، لما فيه من الاختراع غير المسبوق، فليس عجباً أن نرى أبنائنا في الصف المتوسط قادرون على الاختراع والابتكار وتحويل علوم الرياضيات والفيزياء إلى مخترعات، ليس عجباً أن نراهم يحاولون ذلك بحب وحماسة، طالما أننا نغذي عندهم روح الإبداع ونفسح لهم المجال حتى يتقدموا ونشجعهم على ذلك وندعمهم.

(فالابتكار لا يأتي في أغلب الأحوال وأظهرها إلا من أولئك الذين تلقوا تربية نموذجية متفوقة، أو أُتيحت لهم الفرصة للتعلم والتفكير، سيما إذا كان ذلك في إطار توجيه تربوي متألق فاعل.

لذلك فإن الدراسات النفسية تقرر أن الأطفال أفضل ما يتعلمون عندما يُعطون الفرصة للتعلم بطرائق تتناسب مع قابليتهم وحوافزهم، وبالتالي فإنه حين يغير المعلمون من طرقهم في التعليم إلى طرق ذات معنى يتوافق مع قابلية الطلاب، فإنما يحققون فيهم التربية الإبداعية المتألقة)⁽¹⁾

2- التطوير:

بمعنى أن تكون دائم التفكير في كيفية تحسين الأشياء، كيف يمكن أن أحسن طريقة مذاكرتي، كيف أنتفع بما أشاهده من برامج، وكيف يمكن إعادة استخدام هذا الشيء... إلخ.

ما ذكرناه إنما هي روح أبنائنا المبدعين التي تُبث في الأشياء فتبحث دائماً عن تطويرها، وآلية الاستفادة القصوى منها، إنها روح الإبداع المرفرفة بداخلهم، والتي فتح الآباء نوافذها فحلقت في سماء التطوير والإبداع.

(فالتطوير من سمات التربية الإبداعية التي تحقق في أفرادها الميل إلى التطوير والتحسين والبحث عن ذلك مع عدم الوقوف عند المألوف والمعتاد، سيما في المجالات التي يخضع التقدم فيها لتطوير أدواتها، وإجراءاتها، وليس ذلك التطور محصوراً في

(1) فاخر عاقل، الإبداع وتربيته، ص (152).

الآليات الصناعية والكيميائية والفيزيائية والهندسية كما هو اعتقاد كثير من الناس، بل إن مجالات التطور أرحب من ذلك، فهي في الإدارة، وفي اللوائح والأنظمة، وفي طرق وأساليب البحث العلمي، وأدواته، ومنهجيته، وغير ذلك.

والنزعة التطويرية هي من ثمار التربية، إذا أحسنت الإدارة التربوية استخدام المناهج التربوية والمعرفية التي تحقق ذلك⁽¹⁾

3- ترتيب الأولويات:

التربية الإبداعية تنمي لدى أبنائنا القدرة على ترتيب الأولويات حسب أهميتها وتأثيرها والحاجة إليها، فنجد اهتمامهم حسب الأولويات، ويصل الأمر إلى ترتيب كلماتهم ومفرداتهم، بحيث يصبح حديثهم أكثر تأثيراً وترتيباً وكأننا نتحدث مع شاب كبير، إنها قوة التربية الإبداعية.

(ومنهج التربية الإسلامية مبني على ترتيب الأولويات، كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في نزول القرآن الكريم: {إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً. ولو نزل لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً} [رواه البخاري].

4- حسن الاختيار:

كم من الطلاب يتخرجون من المرحلة الثانوية، ويقتدون ببعضهم في الالتحاق بالدراسات الجامعية، ثم يكتشف كثير منهم بعد مضي سنتين أو أكثر أنه أساء الاختيار لمجاردة الأتباع والخلان. وهنا يأتي عمق التربية المدرسية في توليد وتحقيق الإبداع في حسن الاختيار، الذي يحفظ وقت وجهد الإنسان من الضياع والتبديد.

ومنهج التربية الإسلامية يحث أتباعه على حسن الاختيار، وتَحْمُلُ تَبِعَاتِ إِسَاءَةِ الاختيار، لذا علينا أن نربي أبنائنا على أن يعملوا تفكيرهم دائماً ويوازنوا بين الصالح والفساد، ونعلمهم كيف يضعون أهدافهم وكيف يسعون في تحقيقها وكيف يصلون إليها، ونعودهم. بعد أن نعلمهم. أن يتحملوا مسئولية اختياراتهم، فنحقق الثنائية الهامة: التعليم والبيان من جهة والتدريب من خلال الصواب والخطأ من جهة أخرى.

المبحث الخامس: كيفية تطوير شخصية النشء لتفعيل دور التربية الإبداعية:

نستعرض فيما يلي بعض الأساليب المقترحة لمواجهة معوقات التربية الإبداعية في تطوير شخصية الطفل المبدع:

1- عدم الاستهتار بمساهمته في شيء حتى لو كان صغيراً:

فالمشاركة الصغيرة قد تساهم في حل مشكلة كبيرة وهامة كما قال رسول الله صل الله عليه وسلم: "لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق" فيجب ألا تحتقر من المعروف شيئاً ولو كان صغيراً ولا تميز في فعل الخير بين البر والفاجر.⁽²⁾

2- مواجهة الأفكار والإحياءات السلبية:

فلا تقل مثلاً: أنا طاقتي محدودة، أنا رأيي غير مسموع، أنا لا يمكن أن أغير الواقع، أنا لا أستطيع مقاومة التيار، أنا من النوع الذي يطبق الأوامر، أخاف من الإحراج.⁽³⁾

(1) خالد بن حامد الحازمي، التربية الإبداعية في منظور التربية الإسلامية.

(2) ألمط، محمد فائز- من كنوز الإسلام- الدار المتحدة، سوريا- 1992م- ص58.

(3) السويدان، والعدلوني- طارق وأكرم، مبادئ الإبداع- قرطبة للنشر والتوزيع- السعودية- 2009- ص124.

3- مواجهة النفس:

وهي عملية التساؤل بهدف التعرف على الذات وما تريده وما هي طاقتها وميولها وإيجابياتها وسلبياتها، دون إصدار أحكام مسبقة على الذات، إن الشك بالأعراف والبدعيات التقليدية ورفضها، ثم بدء هدم السلي منها بهدف البناء والبدء من جديد من نقطة جديدة نحو هدف جديد وبأساليب مختلفة غير تقليدية هو أهم طرق التربية الإبداعية.⁽¹⁾

4- التدريب الشخصي وتوسيع الأفق:

وذلك بالقراءة والاطلاع، لأن القصور الجدلي يؤدي للعجز عن رؤية كافة البدائل الممكنة وعزلها عن نتائجها، مما يقلل القدرة على التكيف والرؤية النسبية للظواهر مما يمنع اختيار أنسب الحلول وتطبيقها.⁽²⁾

5- الخروج من روح التقليد والمحاكاة:

وهو أمر هام لكل من يريد الإبداع، فالتقليد والانصراف المسرف في شخصيات الآخرين وأد للموهبة وإلغاء متعمد للتميز والتفرد المقصود من الخليفة.⁽³⁾

6- استخدام التفكير العلمي:

وذلك في جميع نواحي الحياة وبحث الاختيارات المتاحة، ويأتى التفكير العلمى بمرحلة ملاحظة منظمة للظواهر الطبيعية التي يراد بحثها، ثم تأتى التجربة ثم الاستعانة بالقوانين الجزئية وقد نلجأ للاستنباط العقلى حيث نتخذ من النظرية نقطة ارتكاز ويستخلص منها نتائج محددة بطرق منطقية رياضية.⁽⁴⁾

7- تدريب عقل النشء على التخيل:

بتوجيه أسئلة تثير خياله وتحفزه على الإبداع والخروج عن المألوف مثلاً: ماذا ستفعل إذا فهمت لغة الحيوانات؟ ماذا كنت ستشعر لو كنت شجرة قريبة من جدول ماء؟ ماذا ستقول لو أنك تمكنت من الحديث مع شخصية قيادية هامة؟⁽⁵⁾

8- استمرارية تدريب النشء على مهارات الإبداع:

فمن أسرار تفوق الشعب اليابانى عنايته الهائلة بالتدريب والتأهيل المستمر نتيجة لحكمة يابانية تقول: إعطاء الفرد سمكة يوفر له الغذاء ليوم واحد، أما أن تعلمه كيف يصطاد فإنه يضمن له الغذاء المتجدد دائماً.⁽⁶⁾

9- مساعدة النشء على الخروج من سلطان القديم والماضى:

فالقوانين البشرية تتغير عبر الزمان والمكان، ويجب أن يكون الباحث على الاقتناع بالمبدأ هي القناعة الذاتية بمنطقه، وتوافقه مع المبادئ التي تم التوصل إليها بحرية واستقلال.⁽⁷⁾

(1) العمرى، أحمد خيرى، البوصلة القرآنية، دار الفكر- سوريا- 2003م- ص 61.

(2) بكار، عد الكريم، مدخل إلى التنمية المتكاملة- دار القلم- سوريا- 2001م- ص 56.

(3) القرنى، عائض، لا تحزن. مكتبة العبيكان- السعودية- 2003- ص 137.

(4) بكار، عبد الكريم، فصول في التفكير الموضوعى- دار القلم- سوريا- 2005- ص 41.

(5) السويديان والعدلونى، طارق وأكرم- مبادئ الإبداع- مرجع سابق- ص 129.

(6) بكار، عبد الكريم- مدخل إلى التنمية المتكاملة- مرجع سابق- ص 87.

(7) بكار، عبد الكريم- فصول في التفكير الموضوعى- مرجع سابق- ص 273.

10-ملاحظة ردود أفعالنا للتفكير الإبداعي ومواجهة السلبى منه:

فالمربى الذي يلجأ لأساليب سلبية في التعامل مع أبنائه هو في الواقع ينطلق من أفكار سلبية ويتحكم في سلوكه تفكير سلبى، كما أن تغيير الأساليب السلبية في حاجة لتغيير نمط التفكير السلبى.⁽¹⁾

11- عدم الإيحاء للمتعلم بأن رأى المعلم هو الرأى الوحيد الصحيح: لأن هذا المبدأ يقلل من فرصة الإبداع.

12 - توعية النشء بأخطار الأجهزة الإعلامية:

فقد أخذ أطفالنا يتلقون معلوماتهم من المصادر التى تتبعهم الأشياء بدل الأسرة والمدرسة والدين.⁽²⁾

13- تدريب الأسرة لعقل الطفل على مهارات التفكير الإبداعي:

إن لفت نظر النشء إلى تجارب الآخرين ومدى نجاحها وأسباب فشلها والحديث مع طفلها بشأنه، يساعد على تنمية التفكير الإبداعي لديه.⁽³⁾

دور الكتب المدرسية في تنمية التربية الإبداعية لدى التلاميذ:

"وتستطيع الكتب المدرسية - باعتبارها من أهم قطاعات كتب الأطفال - أن تنمى قدرتهم على الإبداع إذا راعت أموراً منها:

1- عرض المادة بتسلسل منطقي.

2- عرض بعض المادة عن طريق أسئلة ومشكلات تثير قدرات الطالب على الحل والبحث والدراسة.

3- ألا تقتصر التمارين على أسئلة الاستدعاء والتذكر، بل يجب أن تتضمن أسئلة عن تحليل المواقف وإعمال الفكر، وأسئلة تقتضي من الطالب أن يعرض رأيه، ويدافع عنه ويبرره، ويبرهن على صحته.

4- أن تتضمن المادة - كلما أمكن - عرضاً لبعض المواقف التي يتضح فيها إبداع العلماء وقدرتهم على الابتكار، وأساليهم في حل المشكلات، وفي التفكير العلمي وما إلى ذلك.

5- أن تصاحب المادة المكتوبة الصور والخرائط التوضيحية الجذابة المناسبة.

6- أن تشجع الكتب المدرسية الطالب على التعلم الذاتي.

7- أن تتضمن المستحدثات العصرية المناسبة في مجال المادة الدراسية"⁽⁴⁾.

وأدب الأطفال الناجح يحبب الأطفال في الكتب والقراءة، وكل أوعية العلم والمعرفة الحديثة، ويحقق الألفة بينها وبين الأطفال.

دور الكتابة الإبداعية في التربية الإبداعية:

"يقصد بالكتابة الإبداعية قيام التلاميذ بالتعبير عن أحاسيسهم، وخلجات نفوسهم، وانطباعاتهم، عما رأوه، أو سمعوه، أو اتصلوا به، تعبيراً نابعاً من الوجدان، وأهدافها:

(1) أبو سعد- مصطفى، الوالدية الإيجابية من خلال استراتيجيات التربية الإيجابية- دار الملتقى- سوريا- 2006م، ص35.

(2) المهايبي العظم، سحر، حى الاستهلاك- دار الفكر- سوريا- 2007م- ص23.

(3) أبو سعد، مصطفى، الوالدية الإيجابية من خلال استراتيجيات التربية الإيجابية- مرجع سابق- ص171.

(4) أحمد نجيب، أدب الأطفال علم وفن. القاهرة - مصر، دار الفكر العربي، 1994م.

1- تعويد التلاميذ على الطلاقة في التعبير.

2- تنمية قدرات التلاميذ التفكيرية.

3- تنمية الخيال لدى التلاميذ، وإفساح المجال لخيالهم في التعبير الهادف.

4- تدريب التلاميذ على جمع الأفكار، وترتيبها ترتيباً مترابطاً عبارات.

5- توسيع خبرات التلاميذ ومعلوماتهم، وتنمية ثروتهم اللغوية.

6- تدريب التلاميذ على الكتابة⁽¹⁾.

وإذا كان الطفل لا يستطيع الكتابة بنفسه (طفل الروضة مثلاً) بسبب عدم امتلاكه مهارة الكتابة بعد، فإنه يلجأ للتعبير عن أفكاره ومشاعره شفويًا، ويقوم المعلم أو المعلمة بكتابة ما يمليه الطفل.

ويمكن للمعلم أن يشجع كتابة الطالب الإبداعية بوسائل عدة، منها:

1- الدفتر الشخصي:

يتمثل الإبداع أصلاً في الكتابة الحرة خارج الصف، وبدوافع ذاتية داخلية، يكتب التلميذ إبداعه في دفتر شخصي، قد يُطلع معلمه أو زملاءه على محتواه وقد لا يطلعهم. وفي هذا الدفتر يكتب التلميذ النوع الأدبي الذي يستهويه، كقصة واقعية عاشها، أو خيالية نسج أحداثها بنفسه، أو قصيدة نظمها، أو خلجات وخواطر يجد متنفساً في البوح بها.

2- فرص الكتابة الإبداعية في الصف:

على الرغم من أن الكتابة الإبداعية تتم أساساً خارج الصف، فإنه قد تتوفر بعض الفرص في الصف لتشجيع الإبداع، كوقوع حادثة مؤثرة، أو مرور الصف بتجربة جمالية معينة، كمشاهدة منظر يثير الإعجاب أو فيلم أو رسم أو سماع قصة أو قصيدة وغيرها. وعلى المعلم أن يكون عوناً للتلاميذ إذا طلبوا الكتابة في أحد هذه المواضيع.

3- منابر لتشجيع الإبداع:

حلقات للكتابة الإبداعية وأخرى للتمثيل (تشجيع الحواريات والمسرحيات، وتمثيل الملائم منها).

• صندوق البريد المدرسي لتشجيع الكتابة الشخصية المغفلة (غير الموقعة).

• قراءة نتاج التلاميذ في الصف أو في اللقاءات (بموافقتهم).

• جريدة الصف أو المدرسة.

• الإذاعة المدرسية.

(1) هشام الحسن، طرق تعليم الأطفال القراءة والكتابة، عمان- الأردن، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1990م.

ساعات الإرشاد:

من الضروري تخصيص أوقات محددة يتلقى فيها التلاميذ الراغبون إرشاداً شخصياً من المعلم، فيتباحث معهم في سبل رفع مستوى كتابتهم، دون أن يُملي على التلميذ ذوقه في النوع الأدبي أو الأسلوب. كما يستطيع المعلم اختيار بعض هذا النتاج، بشرط موافقة أصحابه، لإفادة تلاميذ آخرين في الصف، أو في ساعات الإرشاد.

دور المرأة في التربية الإبداعية:

إن المرأة كائن عظيم الشأن في التفكير والإبداع تماماً كما هو الرجل، ويجب أن تستفيد مما أودعه الله فيها من القدرة على التفكير الإبداعي، ففي البيت تكتسب الاتجاهات وتثبت لدى الأبناء، وفيه يتعلم الصغار أساليب العيش والتعامل، غير أن الاهتمام بتأهيل المرأة للقيام بدورها في تربية الجيل والمهمات الزوجية والأمومة ضئيل لا يتناسب مع حجم الطاقات والإمكانات الإبداعية المتوفرة⁽¹⁾.

إن العمل المنتج الإبداعي الذي تحتاج إليه المرأة اليوم هو أن توجد لنفسها إمكانية التفكير والتعلم بعلم حقيقى لا يقتصر على حفظ الكتب بل يتجاوز ذلك إلى الفهم لسبب وجودها، مما يفتح المجال لبدء التفكير الإبداعي في ما يفيد حقاً في أولويات الحياة واختيار العمل المنتج، بل وإبداع الوسائل والحلول الجذرية للمشكلات⁽²⁾.

التوصيات والمقترحات:

نعرض الآن لبعض التوصيات التي تتعلق بالتربية الإبداعية والتي يجب أن تراعيها كل من الأسرة والمدرسة، وهذه التوصيات تكمن فيما يلي:

أولاً: توصيات عامة.

- 1) الاهتمام بالتفكير الإبداعي ورفع قيمته، وتشجيع الأفكار الجديدة، وتنمية المواهب الإبداعية.
- 2) تشجيع تناول الأشياء ومعالجة الأفكار وتنمية حساسية الأطفال للمثيرات البيئية.
- 3) تنمية القدرة على التسامح مع الأفكار الجديدة وتعليم الأطفال كيفية اختبار كل فكرة على شكل منظم.
- 4) توفير جواً خلاقاً ومريحاً وغير مزعج وعدم فرض أنماطاً محددة على الأطفال.
- 5) تعليم الأطفال مهارات تساعد على أن يكونوا أكثر وعياً بمشاعر الآخرين، ومراعاتها، وتعليمهم احترام تفكيرهم الإبداعي.
- 6) تزويد الأطفال بمعلومات عن العملية الإبداعية، وذلك بتعريفهم طرق الاكتشاف الذاتي.
- 7) تخفيف إحساس الأطفال من الرهبة أمام الروائع الفنية والأدبية والعلمية، وتعريفهم بالصعوبات التي واجهها المشاهير.
- 8) وضع أسئلة تثير المناقشة والجدل بين الأطفال وتشجيع التعليم الذي يبدأ فيه الطفل بنفسه.
- 9) توفير فترات نشاط وفترات هدوء للأطفال وتنمية القدرة على النقد البناء.
- 10) تشجيع الأطفال أن يكتسبوا المعارف من ميادين مختلفة ومتنوعة واحترام خيالات الأطفال التي تصدر عنهم.

(1) عبد الكريم بكار، أصول في التفكير الموضوعي، مرجع سابق، ص 197.

(2) مالك بن نبي، بين الرشاد والتهيه، دار الفكر، سوريا، 2002م، ص 120.

ويقصد بتلك العوامل كل ما يحيط بالطفل من متغيرات متعلقة بالأسرة والمعلمة، ومحتوى المنهج والإدارة المدرسية، ونظام التعليم والمجتمع بصفة عامة، والتي من شأنها الإسهام في تنمية أو إعاقة التفكير الإبداعي للطفل.

ثانياً: توصيات حول تهيئة المناخ المدرسي العام ويتمثل في.

- (1) تقبل النقد البناء واحترام الرأي الآخر وتقبل واحترام التنوع والاختلاف في الأفكار والاتجاهات.
- (2) ضمان حرية التعبير والمشاركة بالأخذ والعطاء والعمل بروح الفريق، وبمشاركة جميع الأطراف ذات العلاقة.
- (3) إيضاح فلسفة التربية وأهدافها لجميع الأطراف المرتبطة بالعملية التربوية (إداريين، معلمين، أطفال، أولياء أمور).
- (4) الحرص على المساواة بين الأطفال في المعاملة وتنمية حب الاستطلاع عند الطفل.
- (5) إتاحة فرص استثارة الدهشة والاستغراب وإتاحة الفرص للتدريب على حل المشكلات.
- (6) تشجيع الأسئلة والتساؤل في جو ديمقراطي تسوده المحبة والاحترام، واحترام خيالات الأطفال التي تصدر عنهم.
- (7) اتسامه بالمرونة ومراعاة الفروق الفردية ليسمح لكل متعلم أن يتقدم حسب قابليته.
- (8) أن تتحدى الأنشطة قدرات الأطفال دون التسبب في الإحباط.
- (9) أن يراعي الخصائص للأنشطة المتضمنة للمنهج وأن تساعد على حب الاستطلاع، وأن تكون مثيرة.
- (10) العلاقات المدرسية الإيجابية بين المعلمين والأطفال والإداريين وأولياء الأمور والمجتمع المحلي.

ثالثاً: توصيات حول دور الأسرة في توفير البيئة الملائمة لإبداع الأبناء

- (1) توفير الجو الهادئ داخل الأسرة، بحيث يهيئ للأبناء فرصة التفكير المستقل.
- (2) توفير الرعاية الصحية داخل الأسرة، بحيث تساعد الأبناء على النمو السليم في مختلف جوانب شخصياتهم.
- (3) إرشاد الوالدين للأبناء إلى الطريقة المثلى لاستغلال أوقات فراغهم.
- (4) اهتمام الأسرة إلى حد كبير بالعلم، وتقديرها لجهود العلماء والباحثين.
- (5) إتباع أسلوب التفاهم والمناقشة الحرة مع الأبناء.
- (6) تقبل أفكار الأطفال الغير عادية.

رابعاً: توصيات حول دور المعلم في التربية الإبداعية.

- (1) تقليل كثافة الفصول، وتوفير الجو الصحي داخلها.
- (2) إعطاء المعلم الفرصة لاستغلال إمكانياته العقلية والمعرفية، وعدم قيده بقيود تحد من حركته.
- (3) اهتمام إدارة المدرسة بالأنشطة والرحلات خارج المنزل.
- (4) التخلص من الروتين الذي يسود العملية التعليمية، ويعيق حركتها.
- (5) اهتمام إدارة المدرسة بالتفكير الإبداعي والمبدعين من التلاميذ ورعايتهم.

(6) الاهتمام بالجوانب الصحية والنفسية والعقلية للأطفال.

خاتمة:

لقد أصبحت التربية الإبداعية والتفكير الإبداعي مطلبين مهمين يحتاجهما المدرس مع تلاميذه، والخطيب على منبره، والناقد في نقاشه، وطالب العمل السياسي، والمجاهد في العمل الجماهيري، والأمم التي حققت طفرات اقتصادية وعلمية وثقافية وعسكرية ضخمة هي الأمم التي اهتمت بالتربية الإبداعية لأبنائها، وبرعاية المبدعين والموهوبين في شتي المجالات فحققت لشعوبها التقدم والرقى والازدهار.

إن الدراسات حول التربية الإبداعية هي نتيجة تجارب في الميدان التعليمي استمرت لعشرات السنين والمعلوم أن الإنسان يبدأ في التعلم عندما يعلم لأن حاجة الإنسان للتربية والتعليم تتواصل مدى الحياة، ونرجو أن تحصل الفائدة من هذه الدراسة، وأن تحظى بالنقد لكي نعدل كل ما يجب تعديله وكل إنسان خطأ، ولكن الغاية من البحث في المجال التربوي هي تمكين أبنائنا من امتلاك القدرة على الإبداع والتميز، وهذا ما يمكننا من بلوغ أعلى درجات التقدم والتفوق على الحضارات الأخرى.

إن المبادرة يجب أن تكون بيد المفكرين العرب والمسلمين الذين يستطيعون الإبداع وابتكار نظريات جديدة في مجال التربية الإبداعية تكون ذات جدوى ومنفعة للأجيال القادمة، والاعتماد على مواهب مبدعيها، دون الحاجة إلى اقتباس النماذج الجاهزة من البلدان المتقدمة، ولما لا نحاول القيام بالتجارب على الأفكار الإصلاحية في مجال التربية الإبداعية على عدة مدارس للتأكد من نجاحها، ثم نشرها على بقية المدارس والمؤسسات التعليمية الأخرى، وبذلك تصبح أمة مجددة ومبدعة بالاعتماد على عقول أبنائها.

إن جميع مؤسسات المجتمع بدءاً من الأسرة مروراً بالمدرسة والمسجد ودور العبادة ووسائل الإعلام، وكذلك النوادي الرياضية، وجماعة الأقران كلها مسئولة عن تنشئة أبنائنا تنشئة إبداعية في كافة المجالات: (العلمية - الفنية - الرياضية - الثقافية - المهنية) فكل فرد يمكن أن يبدع في مجاله مما يؤدي إلى طفرة غير مسبوقة في المجال الذي يبدع فيه، وذلك سينعكس بالإيجاب على المجتمع بالخير والتقدم والازدهار.

إن كل من برعوا ونبغوا وحصلوا على جوائز عالمية من العرب والمسلمين سواء في مجال العلوم، قد أبدعوا في مجالاتهم وحققوا لأنفسهم وأمتهم مجداً تليداً، واسماً رفيعاً سيظل خالداً على مدار التاريخ، وذلك ببذل الجهد والعطاء والصبر والتضحية حتى يصلوا إلى المكانة السامية التي وصلوا إليها.

إن كل شخص على وجه الأرض يملك القدرة ليكون شخصاً مبدعاً وموهوباً، وقد أثبتت الدراسات الحديثة حول التربية الإبداعية أنها يمكن تعلمها والتدريب عليها، ومن ثم المهارة فيها تماماً كما يتعلم أحدنا مهارة الرسم، ويتعلم لاعب كرة القدم مهارة تسجيل الأهداف، أو أن يتعلم أحدنا فن التمثيل، أو يبدع أحدنا في اختراع يفيد البشرية.

وأنت مدعو معنا للإبداع في المجال الذي تهواه وتحقق فيه لنفسك ولأسرتك ولمجتمعك المكانة والمنزلة التي تتمناها، فليس معنى أن تخفق مرة في مجال ما أنك شخص غير ناجح أو غير مبدع، فكثيراً ما أخفق العلماء والمخترعون في تجاربهم عدة مرات قبل أن يصلوا إلى إنجازات مذهلة خلدها التاريخ، وكل إنسان بداخله طاقات إبداعية لو أحسن استغلالها لانعكس ذلك عليه وعلى المحيطين به بالخير والسعادة والرفاهية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الأحاديث النبوية الشريفة.

ثالثاً: مراجع باللغة العربية:

1. ابن منظور، لسان العرب، ج4، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1416هـ.
2. أبو النور- مبادئ الإبداع- دار الفكر- 1993م.
3. أبو سعد- مصطفى، الوالدية الإيجابية من خلال استراتيجيات التربية الإيجابية- دار الملتقى- سوريا- 2006م.
4. أحمد نجيب، أدب الأطفال علم وفن. القاهرة - مصر، دار الفكر العربي، 1994م.
5. أسامة فريد، حرك مخك (برنامج متكامل للتميز في تفجير القدرات) دار قرطبة، السعودية، 2009م.
6. ألمط، محمد فائز- من كنوز الإسلام- الدار المتحدة، سوريا- 1992م.
7. الأميري، أحمد البراء- فن التفكير- مكتبة العبيكان- السعودية- 2005م.
8. الأميري، أحمد البراء- فن التفكير- مكتبة العبيكان- السعودية- 2005م.
9. انشراح المشرفي- المرشد في التربية الإبداعية للطفل.
10. بارون وبايرن وسالس، وروبرت ودون جيري- استكشاف السيكولوجيا الاجتماعية، مطابع ألين وبيكون، أمريكا 1988م.
11. برون، ج، ي، أساليب الإقناع، ترجمة د/ عبد اللطيف الخياط، دار الهدى- السعودية، 1999م.
12. بكار، عبد الكريم - فصول في التفكير الموضوعي - دار القلم - سوريا - 2005م.
13. بكار، عبد الكريم- عصرنا والعيش في زمانه الصعب- دار القلم سوريا 2004م.
14. بكار، عبد الكريم، فصول في التفكير الموضوعي- دار القلم- سوريا- 2005م.
15. بكار، عد الكريم، مدخل إلى التنمية المتكاملة- دار القلم- سوريا- 2001م.
16. توفيق، عبد الرحمن/ الإبداع والقواعد غير المكتوبة- مطابع الشرطة- مصر- 2005م.
17. جون هارتاي- (أبريل 2007م) الصناعات الإبداعية- كيف تنتج الثقافة في عالم التكنولوجيا والعولمة- ترجمة بدر السيد سليمان الرفاعي- سلسلة عالم المعرفة- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت- العدد 138- أبريل 2007.
18. خالد بن حامد الحازمي، التربية الإبداعية في منظور التربية الإسلامية.
19. ديبونو، إداورد - تحسين التفكير بطريقة القبعات الست - ترجمة عبد اللطيف الخياط - دار الإعلام - بالأردن- 2002.
20. ديسماريس، جوى- مقالة علمية حول تطوير مهارات القيادة من خلال تعليم الخدمة للشباب، صادرة عن المجلس الوطني لقيادة الشباب، جامعة سانت كاترين، سانت بوليس- الولايات المتحدة الأمريكية 2000، مجلد 8 عدد9.

21. ذريق، معروف، علم النفس الإسلامي – دار المعرفة – سوريا 1993م.
22. سعيد، جودت- مذهب ابن آدم الأول- دار الفكر- لبنان- 1993م.
23. سعيد، جودت، مذهب ابن آدم الأول- دار الفكر- لبنان 1993م.
24. سميث، جين- فن اتخاذ القرارات الصائبة، ترجمة مركز التعريب والترجمة ، الدار العربية للعلوم- لبنان- 1999م.
25. سولان، بول، دليل القادة إلى مهارات التفكير الراسي- مطابع شركة كليز المحدودة- بريطانيا 2003م.
26. السويدان، والعدلوني- طارق وأكرم، مبادئ الإبداع- قرطبة للنشر والتوزيع- السعودية- 2009م.
27. السويدان، والعدلوني- طارق، وأكرم- مبادئ الإبداع- قرطبة للنشر والتوزيع- السعودية – 2009م.
28. السويدان، والعدلوني، طارق وأكرم – مبادئ الإبداع - قرطبة للنشر والتوزيع - السعودية - 2009.
29. الشكعة- مصطفى- الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان- دار الكتاب اللبناني- 1983م.
30. طارق السويدان وأكرم العدلوني ، مبادئ الإبداع ، قرطبة للنشر والتوزيع، السعودية، 2009م.
31. عبد الرحمن توفيق، الإبداع والقواعد الغير مكتوبة، مطابع الشرطة، مصر، 2005م.
32. عبد الكريم بكار، مدخل إلى التنمية المتكاملة، دار القلم، سوريا، 2001م.
33. على، عيسى، أثر التعليم الرسمي والخاص في مستوى تحصيل طلبة ثانوية دمشق، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية- مجلد 17، عدد 1 سوريا - 2001م.
34. العمرى، أحمد خيرى، البوصلة القرآنية، دار الفكر- سوريا- 2003م.
35. الغزالى، محمد- جدد حياتك- دار القلم- سوريا- 2004م.
36. الغزالى، محمد- جدد حياتك، دار القلم- سوريا- 2004م.
37. فاخر عاقل، الإبداع وتربيته.
38. فاروق عبده فليه، أحمد عبد الفتاح الزكى- معجم مصطلحات التربية لفظاً واصطلاحاً- دار الوفاء للطباعة والنشر.
39. فانس وديكون – مايك وديان- التفكير خارج الصندوق – مكتبة جرير – السعودية – 2008.
40. فريد، أسامة، حرك مخك (برنامج متكامل للتميز في تفجير القدرات) – دار قرطبة- السعودية- 2009م.
41. القرنى، عائض، لا تحزن. مكتبة العبيكان- السعودية- 2003م.
42. كارلسون- ريتشارد- لا تهتم بصغائر الأمور مع أسرتك- ترجمة دار جرير- دار مكتبة جرير- بالسعودية- 2000م.
43. كارلسون، ريتشارد- لا تهتم بصغائر الأمور مع أسرتك- ترجمة دار جرير- دار مكتبة جرير- السعودية- 2000م.
44. كوفى، شين- العادات السبع للمراهقين الأكثر فعالية، مؤسسة فرانكلين كوفى، ترجمة دار جرير- السعودية 2004م.
45. لانغ، جيفرى- حتى الملائكة تسأل- دار الفكر- سوريا- 2001م.

46. ماجد عرسان الكيلاني، أهداف التربية الإسلامية في تربية الفرد، مرجع سابق.

47. مالك بن نبي، بين الرشاد والتهيه، دار الفكر، سوريا، 2002م، ص 120.

48. محمد منير مرسى، الإدارة التعليمية أصولها وتطبيقاتها، طبعة منقحة، القاهرة، عالم الكتب، 1993م.

49. المهدي العظم، سحر، حتى الاستهلاك- دار الفكر- سوريا- 2007م.

50. مهند الحاج على بكر، وعلمناه صنعة، دار الفكر، سوريا، 2009م.

51. الناصر ودرويش- دور التربية في الإبداع في التفكير- دار الفكر- 1992م.

52. هشام الحسن، طرق تعليم الأطفال القراءة والكتابة، عمان- الأردن، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1990م.

53. هناء العابد- التنشئة الاجتماعية ودورها في نمو التفكير الإبداعي لدى الشباب السوري، رسالة دكتوراه - جامعة الشارقة- للاستشارات الأكاديمية والجامعية، مارس 2010م.

رابعاً: مراجع باللغة الأجنبية:

54. Baron, Byrne and suls, Robert, DON AND Jerry, Exploring social psychology, Allyn and Bacon, USA, 1988.

55. Des Marais, Joy, Service- Learning Leadership Development for Youths, National Youth leadership council, college of St Catherine, St paul, Minneapolis, USA, 2000, vol 81, Issue 9.

56. Solan, Paul, the leader's guide to lateral thinking skils, clays ltd, great Britain 2003.

57. Suzanne Filteau (printemps 2012) la creativite sous toutes ses coutures revue pedagogie collegiale, vol 25 no3.



جميع الحقوق محفوظة

لمركز جيل البحث العلمي © 2017